هيلين روز ايبَو

حركة

فتح الله كولن

تنوير
للنشر والإعلام

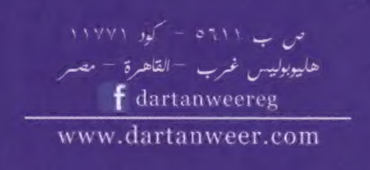


هذا كتاب عن الداعية التركي فتح الله گولن، وعن الحركة المدنيّة التي ألهمها في تركيا، وفي أنحاء مختلفة من العالم. لقد جاب گولن ربوع تركيا، خلال عقود الستينيات والسبعينيات والثمانينيات؛ خطيبًا في المساجد والأماكن العامة، وكتب مئات المقالات والكتب التي تعرض أفكاره. وتدريجيًا تفاعل الكثيرون من الأتراك، من كافة المشارب؛ مع أفكاره عن التعليم والتحديث والعلاقات الإيجابيّة مع الغرب والحوار بين الأديان، وذلك بإنشاء المدارس، حيث التعليم الجيد، خصوصًا في العلوم الطبيعية والتقنية؛ يدعمه التزامٌ بالقيم الإسلاميّة كما يُحددها. ومع سقوط الاتحاد السوڤييتي؛ انتشرت أفكاره وامتدت خدماته إلى الجمهوريّات الإسلاميّة التي استقلت عن السوڤييت، ثم إلى شرق أوروبا، وأمريكا الشماليّة، وآسيا، وأفريقيا، وأستراليا، وبلدان الشرق الأوسط. واليوم؛ تملك الحركة التي ألهمها گولن ما يربو على الألف مدرسة في مائة دولة تغطي خمس قارات. وهي حركة مدنية مُتجذِّرة في ما تسميه المؤلفة ب"الإسلام المعتدل"؛ ملتزمةٌ بتعليم النشء، ورعاية الحوار بين الأديان والثقافات، ومساعدة المعوزين، والمساهمة في بناء السلام العالمي. واعتمادًا على لقاءات المؤلفة وزياراتها لمؤسسات الحركة في أمريكا وتركيا؛ يصف هذا الكتاب حركة گولن مع العناية بهيكلها وبنيتها، وآليات الالتزام وطرق التمويل، ونماذج من أنشطتها.

هيلين روز ايبَو

أستاذ علم الاجتماع بجامعة هيوستن. نالت درجة الدكتوراة من جامعة كولومبيا عام ١٩٧٥م في اجتماع الدين والاجتماع التنظيمي. نشرت العديد من الكتب والمقالات والأوراق البحثية في الدوريّات المتخصصة، كما رأست عدّة مؤسسات أكاديمية أمريكيّة، وأشرفت على مشروعات بحثيّة في حقل علم اجتماع الدين. ومن مشروعاتها العلميّة دراسة أثر الدين على المهاجرين الجُدد إلى أمريكا. وهي ذات خبرة تتجاوز ٢٠ عامًا في العلاقات بين الأديان.


ISBN 978-977-5015-22-8





تصميم الغلاف: محمد عصام



تحليل سوسيولوجي لحركة مدنية

متجذرة في الإسلام المعتدل

عبدالرحمن أبوذكري؛ أديب ومفكر ومترجم وناشر مصري. وُلِد بالقاهرة، وتخرَّج في كلية الآداب بجامعتها. نشر عدة مقالات وأوراقًا بحثية في موضوعاتٍ متنوعة؛ تصُب جميعًا في استعادة مركزية الوحي الإلهي وتجديد الاجتهاد في الفكر والحركة الإسلاميين. مُهتمٌ بالنقد الأدبي. ويمكن اعتباره امتدادًا لمدرسة «تجديد الدرس الكلامي الإسلامي» التي دشّنها سيّد قطب، ورسّخها علي عزت بيغوفيتش، وأثراها عبد الوهاب المسيري. نشر له كتاب: «أفكار خارج القفص»، وله عدة كتب وترجمات في طريقها للطبع، منها: «طير بلا أجنحة»، و«في أصول التصوّر الإسلامي».

هيلين روز ايبَو

حركة



تحليل سوسيولوجي لحركة مدنية متجذرة في الإسلام المعتدل

نقله إلى العربية

عبدالرحمن أبوذكري



الطبعة الأولى
٢٠١٥م / ١٤٣٧هـ

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠١٥/٩٢٩٣

ISBN 978-977-5015-22-8



هَذِهِ هِيَ التَّرْجَمَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْكَامِلَةُ لِكِتَابِ
The Gülen Movement
by Helen Rose Ebaugh

بِالِاتِّفَاقِ مَعَ أَصْحَابِ الْحُقُوقِ



ص ب ٥٦١١ - كود ١١٧٧١
هليوبوليس غرب - القاهرة - مصر
البريد الالكتروني: info@dartanweer.com
dartanweereg
www.dartanweer.com

بسم الله الرحمن الرحيم

"ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله
وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين"

صدق الله العظيم

(فصلت : ٣٣)

المحتويات

تمهيد

في مايو ٢٠٠٥م؛ دُعيتُ لإلقاء الكلمة الافتتاحية في مؤتمر حرَّان الدولي، في غوتنبورغ بالسويد؛ وكل ما كنت أعرفه عن الفعَالية أنها لقاء للحوار بين الأديان مع أشخاص ينتمون للأديان الإبراهيمية، برعاية سفير السويد في تركيا؛ وقد علمت بعد بحثٍ سريع على الإنترنت أن حرّان مدينة في جنوب تركيا، عاش بها النبي إبراهيم لفترة؛ وكان ذلك المؤتمر هو الثالث الذي يُعنى بالحوار بين الأديان.

وقد عُقِد المؤتمر في السويد، في ذلك الوقت؛ حتى يتسنّى للقادة الدينيين من الأمريكيين والسوريين، والقساوسة الأرثوذكس اليونانيين، وكبار العلماء المسلمين، والحاخامات اليهود؛ أن يلتقوا على أرض محايدة، ولا يتعرضوا لضغط الجماهير التي ينتمون إليها.

وفي سياق التحضير؛ تناولت الغداء مع «لِن ميتشل Lynn Mitchell»، عالِم الأديان بجامعتنا؛ والذي كان قد عاد من رحلة حوار بين الأديان في تركيا، موَّلتها حركة گولن كما أخبرني. وحين سألته؛ بدأ في وصف الأستاذ گولن، عالم الدين الذي ألهم الحركة؛ باعتباره مسلمًا معتدلًا كرّس حياته لتمكين العلم والحداثة من خلال مشروعات تعليمية، مؤكِّدًا على العولمة والحوار بين الأديان.

وقد دعاني البروفسور ميتشل أيضًا إلى مؤتمر رعاه عن «حوار الحضارات» في الحرم الجامعي، وكان لاكتشاف أفكار گولن. وفي ذلك المؤتمر؛ التقيت اثنين من خريجي قسم علم الاجتماع المنتمين للحركة، واللذَيْن أشرفتُ فيما بعد على رسالتيهما.

ومن هذين الطالبين، وآخرين تبعوهم في نفس البرنامج؛ تعرَّفتُ أكثر على تاريخ الحركة وأفكارها وأهدافها ومشروعاتها الخدمية. لقد كنت أدرِّس مُقررات في علم الاجتماع عن أديان العالم، ومنذ أحداث ١١ سبتمبر تساءلت مرارًا أين يمكن سماع صوت الإسلام المعتدل في مواجهة الإسلام المتطرِّف، الحاضر بشكل مستمر في إعلام الولايات المتحدة. وكلما ازدادت معرفتي بحركة گولن؛ كلما زاد اعتقادي أنها أحد نماذج الإسلام المعتدل الذي يُناقِض الكثير ممّا يعرضه الإعلام.

وخلال رحلتي الأولى لتركيا، عام ٢٠٠٦م؛ زرت العديد من المدارس التي أُسِّسَت بإلهامٍ من أفكار گولن، فضلًا عن جامعةٍ وعدة مستشفياتٍ أقيمت على أساسٍ من القِيم التي نشرها گولن. وكان من الواضح أن تلك الحركة تنمو داخل تركيا، مثلما تنمو بين الأتراك المغتربين في جميع أنحاء العالم. ومن نوعية المؤسسات التي زرتُها؛ ثبُت لي أن الحركة تُموَّل بشكلٍ جيدٍ.

ولعقود، ركَّزت أبحاثي الأكاديمية على الحركات الدينية، وحديثًا على أثر المجموعات الدينية على حياة المهاجرين المستقرّين في الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة في مدينة هيوستن بولاية تكساس. كما أصبحت أكثر نشاطًا في دوائر الحوار بين الأديان. ونتيجة لذلك؛ صار اهتمامي «طبيعيًا» بحركة گولن، باعتبارها حركة دينية مزدهرة عابرة للحدود القومية. وبالإضافة إلى ذلك، صرت معجبةً بالعديد من المشروعات الخدمية التي تموّلها الحركة، وتتضمن مدارس عالية الجودة، ومستشفيات من الطراز الأول، ووكالة إغاثة مزدهرة؛ فضلًا عن فعالياتٍ عديدةٍ للحوار بين الأديان، والتي تمثل سمة مميزة للحركة.

ومن وجهة نظر سوسيولوجية، أخذًا في الاعتبار الطبيعة الطوعية للمشاركة في أنشطة الحركة، والطبيعة غير الهرمية الواضحة لهيكلها؛ فقد كنتُ مهتمّة بصفة خاصة بطرق تنظيم المتمين، لتعظيم الالتزام بأهداف ومشروعات الحركة. وثمة مسألة تتعلق بالكم الكبير من المال الضروري لإقامة المشروعات الخدمية،

والحفاظ عليها. فما هو مصدر هذا المال؟ ولو كان مصدره حقًّا هو المساهمة الفردية؛ فما الذي حرَّك المنتمين للتبرُّع؟

وللإجابة على تلك الأسئلة؛ بدأتُ بترتيب مقابلات شبه مُنظّمة مع عينة واسعة من المنتمين للحركة في كل من تركيا وهيوستن. ومدى تنوع وسمات الأشخاص الذين التقيتهم قد تم بسطه في المقدمة. وقد تحريت الموضوعية والمنهج العلمي قدر الإمكان، وطرح الأسئلة والإنصات للردود، وتسجيلها بكل دقةٍ ممكنةٍ لتحليلها. وقد كان كل شخص أُجرِيت معه مقابلة يعلم أنني أستاذة جامعية تبحثُ محاولةً فهم الحركة، بغرض تأليف كتاب يصفها وأنصارها ومشاريعها.

وبالإضافة إلى نقل ما سمعت؛ فقد قدّمتُ في هذا الكتاب أيضًا تفسيرات تحليلية أوسع مما اكتسبتُه من دُربتي باعتباري متخصصةٍ في علم الاجتماع. لم أكن أكتب من وجهة نظر المنتسب للحركة الفاهم لها من الداخل، ولكن بوصفي أكاديمية من خارجها تستمع للمنتمين وتحاول إدراك تصوراتهم عن كثب قدر الإمكان، مع لجوئي في ذات الوقت لمناظير تحليلية اكتسبتُها من مساري الأكاديمي. وكان هدفي وقت تأليف هذا الكتاب هو نقل ما سمعتُ بدقّة، قدر الإمكان؛ ممن التقيتهم، بينما أُحلّل ملاحظاتهم من خلال عدسة التفسير السوسيولوجي.

وثمة عدد من الأشخاص الذين أود شكرهم على مساهماتهم القيّمة في هذا الكتاب، ومنهم الدكتور «واي ألپ أصلان دوغان»؛ الذي عمل مترجمًا في المقابلات التي أجريتها في تركيا. وبالإضافة إلى مهارته في الترجمة؛ فقد تعلمت منه الكثير عن تاريخ تركيا وثقافتها بينما كنا نتنقل بين شطري إسطنبول الآسيوي والأوروبي، وحول المدن التركية. وفي بداية المشروع؛ أجرى السيد «دوغان كوك» مقابلات مع رجال أعمال في أنقرة. وقد قرأ الدكتور «محمد تشيتين Muhammed Çetin» مسوّدة الكتاب وزودني باقتراحات قيمة، خاصةً فيما يتعلق بالحقائق التاريخية والثقافية التي عزَّزتْ فهم مساهمات گولن، في فترة اضطلاعه بالدعوة في تركيا. ولقد تحدثتُ إلى البروفسور «ماريا كيرتس»، من جامعة هيوستن كليرليك؛ لأفهم بشكل أفضل

دور النساء في الحركة. وساعدني «سيباي أوزلودينيز»، وهو طالب دراسات عليا في قسم علم الاجتماع بجامعتنا؛ بإجراء مقابلات مع منتقدي الحركة، الذين أناقشهم في الملحق.

وقرأتْ ابنتي «سارة ايبو» المسوّدة، وتحدثتني، خاصة في الفصل الأخير؛ أن أكون أكثر وضوحًا في إثبات حُجتي بأن الحركة حاليًا ليست لها خصائص الحركة «الخطرة» أو الطائفية. وقد شجّعتني محرري في دار نشر شبرنجر؛ في كل خطوة خلال عملية النشر، وكان العمل معها ممتعًا. وأشكر كل شخص أنفق وقته الثمين في الحديث معي عن الحركة؛ فهذا الكتاب عنهم في حقيقة الأمر. وأخيرًا أشكر زوجي «ألبرت ل. ايبو»، الذي رافقني في رحلاتي الأربع إلى تركيا، وخلال معظم المقابلات التي أجريتها. وهو يستحق الحصول على جائزة بوصفه شريكًا مهتمًا وداعمًا متحمّسًا.

الفصل الأول

مقدِّمة

مثَّلت الهجمات الإرهابية في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م حدثًا فاصلًا ليس للولايات المتحدة فقط، ولكن للعالم أجمع. فبعد عدة ساعات من الأحداث في واشنطن ونيويورك؛ استُهدِفَ المسلمون باعتبارهم الجُناة. وفجأة؛ أدرك الأمريكيون، المتسمِّرون أمام شاشات التلفاز والحاسوب؛ أن المسلمين ليسوا فقط مجموعة غير متجانسة في الشرق الأوسط، لكنهم يعيشون في أحياء أمريكية ويعملون في أماكن عمل أمريكية ويذهبون إلى جامعات أمريكية، بل إنهم متواجدون حتى مع أبنائهم في المدارس المتوسطة والثانوية. وكان الناس في كل أنحاء أمريكا يتساءلون: من هَؤلاءِ الأشخاص؟ وما الذي يؤمنون به؟ وكيف يمكن لدينٍ الدعوة لتدمير حياة الآلاف من البشر؟ إذ فجأة ركَّزت وسائل الإعلام الإخبارية، والجماهير في جميع أنحاء الولايات المتحدة؛ على دينٍ كان غريبًا على معظمهم.

وفي اليوم التالي، الثاني عشر من سبتمبر؛ نبَّه الرئيس بوش الأمريكيين، أثناء إعلانه «حربه على الإرهاب»؛ إلى أنه ليس كل المسلمين إرهابيين، وأن الإسلام دينُ سلام لا يقبل بالعنف. وأخذ زمام المبادرة لصياغة أحداث اليوم السابق، باعتبارها أفعالًا لمجموعات راديكالية متطرِّفة داخل دينٍ سِلمي. ودعا الأمريكيين ألَّا يثأروا من المسلمين بالاعتداء عليهم في مدنهم وأحيائهم.

ومنذ الحادي عشر من سبتمبر، فاض الاهتمام بالإسلام في الولايات المتحدة، وهو ما يدُل عليه تزايد أعداد الكتب والأخبار الصحفية ومقالات المجلات التي تتناول الإسلام، وتوجه العديد من البرامج التليفزيونية لوصف المعتقدات والممارسات الإسلامية، فضلًا عن التكاثر المفرط في أعداد المقررات الدراسية الجامعية عن الإسلام وديانات العالم في العموم. ونتيجة لذلك؛ صار المزيد من الأمريكيين يتعرفون على الأنماط العديدة والمختلفة للتديُّن الإسلامي، وحقيقة أنّ هناك متطرفين في كل ديانة، وأنه لا يمكن لوم دين بأكمله بسبب أفعال أقلية من معتنقيه. إلَّا أن المفاهيم الخاطئة المتعلقة بالإسلام ظلَّت رغم ذلك منتشرة على نطاق واسع، واستمر ميل العديدين لتسوية المسلم بالإرهابي.[1]

الإسلام «المعتدل»

أحد ردود فعل المسلمين على الإسلام المتطرِّف، في جميع أنحاء العالم؛ كان حركات إسلامية «معتدلة» أو لا عنفية. إحدى الحركات التي تنطبق عليها هذه الأوصاف وتشهد نموًا سريعًا في تركيا، موطنها الأصلي؛ وأيضًا في دول الاتحاد السوڤييتي السابق وأوروبا وأستراليا وكندا وأفريقيا، ومؤخرًا في الولايات المتحدة الأمريكية؛ هي حركة گولن. تلك الحركة التي ألهمها إمام المسجد السابق والعالم الإسلامي الأستاذ فتح الله گولن، الذي وُلِد في تركيا عام ١٩٤١م وأصبح إمامًا وخطيبًا ومُدرِّسًا ومؤلِّفًا وشاعرًا مشهورًا في السبعينيات والثمانينيات، وانتقل للعيش في الولايات المتحدة عام ١٩٩٩م.

في اليوم التالي لهجمات الحادي عشر من سبتمبر؛ نشر گولن بيانًا من صفحة كاملة، في نيويورك تايمز؛ أدان فيه الهجمات، وذكر أن الجناة لا يمثِّلون الإسلام.

---

(١) لمعلومات عن المسح الإحصائي لردود أفعال الأمريكيين إزاء المسلمين؛ راجع:

- Wuthnow (2005); Eck (2001); CAIR (2006).

وكانت رسالته تدعو للتسامُح والاحترام والحوار بين الأديان، وتؤكد على ضرورة مد الجسور بين العالم الإسلامي والغرب. ويصر الأستاذ گولن على ضرورة تحقيق تقدّم تِكنولوجي وعلمي في العالم الإسلامي من خلال الوسائل التعليمية. وكما يصف إبراهيم أبو ربيع؛ «فإن گولن يدافع عن مفهوم تقدّمي للإسلام، يكون فيه المسلمون قادرين على مُخالطة العالم كليًا دون تحاملٍ أو خوف».[١]

ويرغم دعوة العديد من صانعي السياسة لدعم الإسلام المعتدل، كإستراتيجية لمواجهة الجماعات الإسلامية الراديكالية؛ فإن مصطلح الإسلام «المعتدل» لازال محل خلاف بين العلماء وصانعي السياسة[٢] وبين المسلمين أنفسهم، الذين يحتجون بأن المصطلح يُستخدم بحمولة دلالية سلبية للإشارة لمسلم أكثر علمانيَّة وأقلّ إسلامية من النموذج المثالي الذي يمثل الأغلبية.[٣] ونوّه «ستيفن كوك» زميل دوغلاس في مجلس العلاقات الخارجية بأنَّ الاعتدال «مسألة نسبيّة» تختلف باختلاف وجهات النظر، وأنه يتعين على صُنَّاع القرار التركيز على تحديد أولئك الذين يُمْكِنهم المساهمة بحلول براغماتية في المنطقة، سواء كانوا «معتدلين» أم لا.[٤] وعلى نفس المنوال؛ يؤمن «جاي تلسون» أن تعريفات الاعتدال تعكس الانتماءات الأيديولوجية والسياسية للقائم بالتعريف، إذ يعتنق المحافظون فَهْمًا أكثر صرامة ووجهات نظر أكثر ضيقًا عن الاعتدال، في حين يرى الليبراليون مزيدًا من ظلال القبول.[٥] وبينما يدور جدل حول المصطلح؛ فقد استخدمته في عنوان الكتاب للإشارة إلى مجموعة إسلامية ترغب في التعايش بسلام مع أصحاب الديانات الأخرى؛ يدعمون الديمقراطية، ويُقدِّرون حرية التفكير والمساعي التعليمية مُعترفين بدور الإيمان والدين، ويدينون

---

(1) Abu-Rabi (2008).

(٢) لاستعراض الجدل حول مصطلح «الإسلام المعتدل» راجع: - Cook (2007).

(٣) ويرفض الأستاذ گولن نفسه اعتبار خطابه ممثلًا لنوعٍ من «الإسلام المعتدل»؛ فهو يذهب إلى أن الإسلام معتدل في ذاته.

(4) Cook (2007).

(5) Tolson (2008)

استخدام العنف باسم الإسلام. وفي إطار هذه المعايير؛ فإن حركة گولن مثالٌ قوي على الإسلام المعتدِل في العالم المعاصر.

الاهتمام الإعلامي الحديث بحركة گولن

انتبهت العديد من الصحف المعروفة وواسعة الانتشار مؤخرًا للأستاذ گولن ومشروعاته الخدمية المتعددة؛ مثل المدارس والمستشفيات وبيوت الطلبة، والمؤسسات الخيرية غير الربحية التي كان أساسها أفكاره التي يطرَحها في خُطبه ومقالاته وكتبه، وأسطواناته الرقمية، ومواقعه الإلكترونية، والزيارات الشخصية لأتباعه الذين يأتون إلى بيته في پنسلڤانيا؛ طلبًا لنصيحته لقضاء وقت في صحبته. ولقد نشرت «فوربس أكسفورد أنالِتيكا Forbes'Oxford Analytica» مقالًا (١٨/ ١/ ٢٠٠٨م) بعنوان «گولن يُلهم المسلمين حول العالم»، وأشارت فيه إلى قدرة الحركة على «حشد موارد معتبرة وتأثيرها على صانعي القرار»، وفي مايو (٤/ ٥/ ٢٠٠٨م) نشرت «نيويورك تايمز New York Times» افتتاحية عن مدارس گولن في پاكستان، والتي تروّج «إسلامًا ألطف» من خلال طرح رؤية للإسلام باعتباره «معتدلًا ومَرِنًا، ويتعايش بشكل مُريح مع الغرب بينما يحتفظ بخصائصه التي تكفل له تميزه»، وقامت «لوموند الفرنسية Le Monde» بتحقيق صحفي (٥/ ١١/ ٢٠٠٦م) حول إنجازات المدارس التي افتتحها أتباع گولن في ألمانيا، مشيرة إلى أن تلك المدارس واجهت المشاكل التعليمية للأطفال المهاجرين، ويمكن أن تحتذي بها المدارس الألمانية.

وكتبت «هيراليد تريبيون الدولية International Herald Tribune» (١٨/ ١/ ٢٠٠٨م) أن گولن مثَّل «إلهامًا للمسلمين الذين يشعرون بالانتماء للعالم الحديث»، ونقلتْ مجلة «فوربس Forbes» ذلك المقال أيضًا، ونشرت «الإيكونومست The Economist» ثلاثة مقالات حديثة عن الحركة: مقالًا (٣٠/ ١/ ٢٠٠٨م) عن المشكلة الكردية التركية يصف گولن بأنه «رجل دين ليبرالي مسلم يعيش في

منفى اختياري بالولايات المتحدة الأمريكية»، ويَذْكُر المقال أيضًا أن أتباع گولن وزَّعوا اللحوم على نحو ٦٠ ألف عائلة خلال عيد الأضحى، وأن الأطباء من أتباع گولن يعرضون خدمات الفحص والعلاج المجاني في المناطق الكردية، مجسدين رسالة أخوة الأكراد والأتراك في الإسلام. وفي عدد لاحق من «الإيكونومست The Economist» (٦/ ٣/ ٢٠٠٨م)؛ نُشِرت مقالتان عن حركة گولن، وقرظتا المشروعات التعليمية والخَدَمية التي توفرها على مستوى العالم. بالإضافة إلى ذلك؛ أبرز تقرير نشر بعنوان «الإسلام والغرب: التقرير السنوي لحالة الحوار» في المنتدى الاقتصادي العالمي بدافوس، سويسرا؛ شبكة گولن المكوَّنة من مئة مدرسة، موَّزعة في دول آسيا الوسطى؛ كمثال على مجهود مُهِمّ لتعزيز الحوار بين الثقافات.

وفي أغسطس ٢٠٠٨م؛ طلبت مجلة «فورين پوليسي Foreign Policy» من القُرَّاء التصويت على أبرز/ أهم مُفكِّر عالمي. وقد فاز فتح الله گولن بأغلبية ساحقة، ربما بسبب الملايين من أصوات أنصاره، الذين قرؤوا عن الاستطلاع في «زمان»؛ الصحيفة التركية التي يُطالعها أكثر الأشخاص المنتمين للحركة. ومن المثير للاهتمام؛ أن أول عشرة مفكرين في القائمة كانوا مسلمين، وربما كان ذلك من آثار تصويت أنصار گولن، الذين لم يصوتوا لقائدهم فحسب، ولكن لمسلمين آخرين شملهم الاستطلاع. ولئن افتقد ذلك الاستطلاع للدقة العلمية، فيما يتعلق بعشوائية عينة المصوتين؛ فقد كشفت النتائج قوة الشبكة التي تُوحِّد الملايين من أنصار گولن.

ومنذ عام ٢٠٠٥م، أَلِف مئات الأمريكيين حركة گولن نتيجة مشاركتهم في رحلات الحوار الديني إلى تركيا، التي ترعاها مجموعات محلية تنتمي لحركة گولن، وتستضيفها الحركة في تركيا. لقد تشكلت تلك الرحلات الحوارية في هيوستن، تكساس؛ وهي تتمدد الآن في أنحاء الولايات المتحدة. ويتعرَّف المشاركون في الرحلات، التي تتراوح مُدتها من ٨ إلى ١٠ أيام؛ على أهم المعالم التاريخية والثقافية والدينية في تركيا، وتتوفر لهم فرصة للتفاعُل مع عائلات مسلمة محلية، تنتمي العديد منها لحركة گولن. وليس الغرض من تلك الرحلات الدعوة للانتماء للحركة، بل

يتم تنظيمها للترويج للحوار الديني بين المجموعات الدينية في الولايات المتحدة وتركيا. لكن بما أن من ينظم ويرعى تلك الرحلات هم أتباع گولن؛ فهي تشمل غالبًا العديد من ولائم العشاء في منازل أتراك مسلمين من الأعضاء المنتمين للحركة، وزيارات للعديد من المدارس والمستشفيات المدعومة من الحركة، لذلك تزداد ألفة المشاركين في تلك الرحلات بها.

ونظرًا إلى أن قاعدة الحركة مُتجذِّرة وليس لها بيروقراطية مركزية، لذلك فمن المستحيل تحديد عدد المنتمين لها والمشاركين في أنشطتها على وجه الدقّة. لكن التقديرات تفيد بأن ١٠-١٥٪ من السبعين مليون تركي مرتبطون بالحركة،[١] مضافًا لهم ٨-١٠ ملايين عضو حول العالم، في مئة دولة وخمس قارات.[٢] كذلك من المستحيل إحصاء المشروعات الخدمية العديدة والمتنوِّعة، التي ألهمتها أفكار گولن ودشنها أعضاء الحركة. لكن أفضل التقديرات تُفيد بوجود أكثر من ألف مدرسة في القارات الخمس، في مئة دولة؛ حيث يقيم أعضاء الحركة، بالإضافة إلى ستة من أفضل المستشفيات، وجامعة خاصة واحدة، ومئات من بيوت الطلبة، ومقار عقد الدورات التحضيرية لامتحانات القبول بالجامعات القومية في تركيا، ومنظمة إغاثة عالمية، ومنظمات محلية لأعضاء الحركة في جميع أنحاء العالم، والتي تمول رحلات الحوار الديني إلى تركيا، والإفطارات الرمضانية، ومؤتمرات گولن، وفعاليات الحوار الديني في المناطق الإقليمية والمحلية.

---

(١) ثمة مبالغة واضحة في أعداد المنتمين إلى الحركة، وهي النسبة التي كذبتها الكتلة التصويتية في الانتخابات السابقة. (المترجم)

(٢) يرى أحد الباحثين أن أتباع گولن يديرون ما يقرب من ١٥٠ مدرسة خاصة، و١٥٠ مركز تعليمي، وعددًا أكبر من بيوت الطلبة في تركيا، وأكثر من ٢٥٠ مؤسسة تعليمية في جميع أنحاء العالم، في حين يقدر آخر امتلاكهم لـ٣٠٠ مؤسسة تعليمية (من مدارس ابتدائية وثانوية، ومعاهد تحضيرية للجامعة، وبيوت طلبة وجامعات) في ٥٠ دولة مختلفة. أمّا عند غيره فالتقديرات أعلى بشكل واضح؛ إذ يذهب لوجود ٢٠٠٠ مدرسة في ٥٢ دولة في خمس قارات، تشمل ١٢٥ مدرسة في تركيا. وأخيرًا يذهب البعض لوجود أكثر من ٥٠٠ مؤسسة تعليمية وثقافية في أكثر من ٩٠ دولة.

گولن وحركته بوصفهما جاذبين للانتقادات

وفي الوقت الذي تزدهر فيه حركة گولن في تركيا وحول العالم، وربما بسبب نجاحها؛ برز منتقدو گولن وحركته الذين يعارضون الحركة بشدة ويخشون نتائجها على تركيا.[1] وهم يخافون من محاولة گولن الاستيلاء سياسيًا على تركيا، كما فعل آية الله الخميني في إيران السبعينيات؛ بتغيير النظام والإطاحة بجهود الشاه التحديثية، وأحل محلها حكومة إسلامية شديدة المحافظة. وكذا يخشى النُقَّاد أن تُعيد الحركة تركيا القهقرى بصيغة دينية تقليدية تضع حدًا لتحديث تركيا ومساعيها للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي. ويكمن خلف تلك المخاوف اعتقادات النُقَّاد أنّ الغرب، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية؛ يمول المشروعات الخَدَمية في الحركة مثل المدارس، والمستشفيات، والإمبراطورية الإعلامية الهائلة؛ لتؤسِّس لحضور الإسلام المعتدل في الشرق الأوسط كترياق مضاد لإرهاب الإسلام المُتَطرِّف. وباختصار؛ صار گولن جاذبًا للانتقادات، مما سبب اضطرابًا عاصفًا ليس في تركيا فحسب، بل حول العالم وأينما هاجر أتباعه.

وفي نوفمبر عام ٢٠٠٧م؛ رفضت هيئة الهجرة والجنسية (USCIS) منح گولن بطاقة الإقامة الدائمة، المعروفة بـ«البطاقة الخضراء»؛ برغم أنه كان يعيش في الولايات المتحدة طوال تسع سنوات. ورفضت أيضًا الاستئناف الذي تقدم به لإعادة النظر في الحكم. لقد وجدت المحكمة أن استناد الدفاع إلى كَوْن گولن «شخصية أكاديمية موهوبة بشكل استثنائي» غير كافٍ لمنحه الإقامة الدائمة، كعالِمٍ؛ في الولايات المتحدة. وقد زعم المدعي العام، في طرحه التفصيلي؛ أن مصادر تمويلِ گولن وحركته تأتي من المملكة العربية السعودية وإيران والحكومة التركية والمخابرات المركزية الأمريكية، وقدَّر محامو وزارة الخارجية الأمريكية حجم تلك التمويلات بما قيمته ٢٥ مليار دولار. وفي ١٦ يوليو ٢٠٠٨م؛ ألغت محكمة

(١) يناقش ياڤوز أربعة مجالات يتعرّض فيها گولن وحركته للنقد في تركيا هي: العلاقات بين الجنسين، والصمت تجاه المسألة الكردية، ودعم انقلاب ٢٨ فبراير ١٩٩٧م الناعم، وفرضهم نظامًا تعليميًا مُلزمًا اجتماعيًا وغير نقدي.

فيدرالية القرار الأصلي بناءً على نقص الأدلة، وأمرت وزير الأمن الداخلي بالموافقة على طلب گولن الحصول على «البطاقة الخضراء». وفي أكتوبر ٢٠٠٨م؛ مُنِح گولن البطاقة الخضراء رسميًا مِن قِبل حكومة الولايات المتحدة الأمريكية.[١]

قبلها بثماني سنوات، وتحديدًا في الحادي والثلاثين من أغسطس ٢٠٠٠م؛ اتّهم النائب العام التركي، «نوح مته يوكسل Noh Mete Yuksel»؛ گولن بتنظيم حركة لتغيير الحكومة العلمانية، التي أسّسها مصطفى كمال أتاتورك عام ١٩٢٣م عندما أصبحت تركيا جمهورية؛ وتحويلها إلى دولة ثيوقراطية. وبعد سنوات من جلسات الاستماع في المحكمة، والعديد من التحقيقات والمستندات القانونية، وتحديدًا في مايو عام ٢٠٠٦م؛ حفظت محكمة أمن الدولة القضية ضد گولن وبُرِّئ مِن أي اتهامات.[٢]

مَنْ هو الرجل الذي ولّد هذا الاهتمام الإعلامي والقضائي، فضلًا عن اهتمام أتباعه وناقديه؟ أهو غاندي جديد مثلما يدعي بعض أتباعه، أم خميني آخر كما تصور المخاوف لنقاده؟ أهو أسوة تُحتذى أم مُستبدٌ جديرٌ بالاحتقار والإدانة؟ وما هي حركة گولن التي تدعي انتساب ملايين الأتباع لها حول العالم، والتي تجتذب الموارد المالية المستفزة للشكوك في ضرورة دعم بعض الحكومات للحركة؟ ومن أين يأتي المال لبناء وصيانة مئات المدارس في أكثر من مئة دولة، وستة من أفضل المستشفيات الخاصة، وأكبر صحيفة في تركيا من حيث عدد القراء، وأكبر بنك إسلامي في تركيا، ومنظمة إغاثية تُنفِق أكثر من ١٦ مليون دولار سنويًا للمساعدة في إغاثة المتضررين من الكوارث؟ مجرد رجل تركي واحد، يبلغ ٧٠ عامًا من عمره تقريبًا وصحته متردية، ويعيش حاليًا في الولايات المتحدة الأمريكية؛ لماذا يكنّ له بعض الأتراك

---

(١) لاستعراض تلك القضية، راجع:

- http://arama.hurriyet.com for July 19, 2008; also: http://www.todayszaman.com for July 23, 2008.

(٢) للمزيد حول تلك القضية، راجع:

- Aslan Doğan (2006); also:
- www.sundayszaman.com for October 21, 2007.

هذه الكراهية الخارقة ويخافونه؟ وما الذي جعل حركة گولن ناجحة لهذه الدرجة خلال بضعة وثلاثين عامًا من إنشائها؟ وما الذي يُفسِّر حقيقة توسّع الحركة حاليًا خارج تركيا، لتكسب مشاركين من الأتراك وغير الأتراك حول العالم؟

والهدف من هذا الكتاب هو تقديم فتح الله گولن والحركة التي يُلهمها إلى القارئ الناطق بالإنكليزية، والإجابة على التساؤلات السالفة؛ وذلك من خلال معلومات تم جمعها خلال رحلاتي الميدانية إلى تركيا وأثناء مقابلاتي مع أتباع گولن في هيوستن بولاية تكساس. وبناءً على حواراتي مع زملائي في أنحاء أمريكا، وكذا جماهير مُحاضراتي وطلابي في فصول جامعة تكساس؛ بدا أن گولن وحركته غير معروفين لمعظم الأمريكيين. ومع ذلك، فبتزايُد الاهتمام الإعلامي بالحركة، ومشاركة المزيد من الأمريكيين في رحلات الحوار الديني لتركيا، ولفعاليات يَدْعَمها أنصار گولن في الولايات المتحدة الأمريكية؛ ثمة اهتمام متزايد بتلك الحركة الإسلامية التركية المعتدلة والمُزْدَهِرة.

الأُطُر النظرية

هناك إطاران نظريان يُعينان على تفسير أسباب نجاح حركة گولن في كل من تركيا والعالم. أولًا: نظرية تعبئة الموارد، والتي تلقي الضوء على الموارد البشرية والمالية التي تمكّن حركةً ما من النمو وتحقيق أهدافها، وثانيًا: نظرية الالتزام التنظيمي، والتي تُركِّز على الإستراتيجيات الحركية الضرورية لحثّ الأعضاء على الالتزام بتوفير الموارد الضرورية، ونتائج مثل ذلك الالتزام على بناء الولاء للحركة، وبالتالي ضمان الحفاظ على حيويتها ونُموها.

- نظرية تعبئة المَوَارِد:

تعبئة المَـوَارِد هي نظرية اجتماعية تُعنى بأنواع المصادر الضرورية واللازمة لاستمرار ونمو الحركات الاجتماعية. وتُرَكِّز النظريّة في صورتها الأولى على الجانب

النفس-اجتماعي للمشاركين في الحركة، الذين يُعَدّون ساخطين على جانب أو أكثر في المجتمع.[1] ونظرية تعبئة الموارد، التي ظهرت في السبعينيات؛ تعتبر الحركات الاجتماعية شبكات من الأفراد القادرين على اجتذاب أنواع ومقادير مِن التمويل والجُهد البَشَرِي لتحدث تغييرًا في المجتمع.[2] وطبقًا لمنظّري تعبئة المَوَارِد فثمة ما يكفي دائمًا من الاستياء في أي مجتمع، لتوفير دعم قاعدي للحركة. ولتكثيف وتنظيم الاستياء في حركة اجتماعية؛ من الضروري لمجموعة أساسية من المفكرين الإستراتيجيين تنظيم هؤلاء الأشخاص الساخطين، وتحفيزهم على جذب الأموال والأنصار، واجتذاب الاهتمام الإعلامي والتحالف مع أصحاب السلطة، وبناء هَيْكل تنظيمي.[3] وتَفْتَرِض هذه النظرية أنه بدون تلك المَوَارِد لن يتسنى للحركات الاجتماعية التأثير، وأن المعارضة والسخط وحدهما غير كافيين لإحداث تغيير اجتماعي من خلال الحركة الاجتماعية. وإذا لم تتوفر الموارد الماليّة والبشرية لدعم أهداف الحركة؛ فإنها في نهاية المطاف سوف تنهار أو تُدمَج في حركة أخرى أكثر نجاحًا في توفير الموارد اللازمة. ولذلك؛ فنظرية تعبئة المَوَارِد تتعامل تحديدًا مع الديناميات والتكتيكات اللازمة لنمو واضمحلال وتغير الحركة الاجتماعية.

يتفق مُعظم منظري تعبئة المَـوَارِد[4] على أن المَـوَارِد الآتية ضرورية لنجاح الحركة الاجتماعية: الأموال والشرعيّة والعمالة. فإنّ توافر تدفقات كافية ومنتظمة مِن المال تجعل مِن الممكن دفع الرواتب ودعم العاملين بالحركة، وتوفير المقار الإدارية والحَوَاسِب الآلية، وآلات التصوير... إلخ، الضرورية لإبراز وترويج

---

(١) المنظرون الذين يقترحون منظور علم النفس الاجتماعي، منهم:

Gurr (1970); Turner and Killian(1972); Smelser (1963); Byrne (1996); Eyerman and Jamison (1991).

(2) Oberschall (1973); Tilly (1978); Snow et al. (1980); McAdam et al. (1996); Melucci (1999); Edwards and McCarthy (2004).

(3) McCarthy and Zald (1977); Kendall (2005); Gamson and Fireman (1979).

(4) McCarthy and Zald (1977); Jenkins (1983); Edwards and McCarthy (2004); Garner (1996); McCarthy and Wolfson (1996).

رسالة وأهداف الحركة بنَشر الإعلانات واللوحات الدعائية الخارجية، والمواقع الإلكترونية، وغيرها من وسائل الإعلام التي تَحشِد المشاركين المحتملين وتمول المشروعات والفَعَاليّات التي ترعاها الحركة. وسوف تُستخدَم نظرية تعبئة المَوَارِد في الفصل الرابع خاصة، وعنوانه «شبكة من الدوائر المحلية»؛ والفصل السادس المعنون «تمويل مشروعات گولن الخدمية»، وذلك لتأطير وتحليل آليات الحركة للحصول على الموارد اللازمة لنموها ونجاحها.

- نظرية الالتزام التنظيمي:

يرتبط بمسألة الحصول على المَوَارِد، التي تحتاجها الحركة لتنجح؛ سؤال حافز المشاركة. لماذا يلتزم ملايين الأفراد تجاه الحركة بمنحها وقتًا وجهدًا ومشاركة وجدانية وتمويلًا ماليًا لتحقيق أهدافها؟ فالالتزام يتضمن ربط مصير الفرد بنجاح أو فشل المجموعة.[١] وعادة ما يتم اختبار هذا في المزج بين الخصائص الشخصية والتنظيميّة، التي تزيد الرغبة في بذل مستويات عالية من الجهد، ليصير الفرد عضوًا في التنظيم، ويقبل أهدافه وقيمه الرئيسة، ويُثمِّن التنظيم باعتباره يستحق الجهد.

ويظل بحث عالم الاجتماع «روزابيث كانتر Rosabeth Kanter»، في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات؛ حول الالتزام داخل كوميونات الولايات المتحدة،[٢] يظل وثيقة كلاسيكية حول الآليات التنظيميّة التي تولّد التزام الأعضاء. فقد كانت مهتمة بكيفية حفاظ المجموعات على تماسُكها، وركَّزت على المتطلَّبات التنظيميّة التي تؤثّر على الأفراد، وتدفعهم للشعور بأن مصالحهم الذاتية لا يُمكن تمييزها عن مصلحة المجموعة، أي شعورهم بالالتزام. وذهبت إلى أن الإنسان يلتزم بعلاقة أو جماعة إلى الدرجة التي يراها تعبيرًا عن أو استكمالًا لبعض نقصه الأساسي، وتصير أهداف المجموعة بمثابة تغذية لشعوره بذاته. والشخص المُلْتَزِم وَفيٌّ ومَعْنيٌّ

---

(1) Kanter (1972).

(2) Ibid.

بها التزم تجاهه، ولديه شعور بالانتماء؛ شعورٌ بأن المجموعة امتداد له وأنه امتداد للمجموعة. وباختصار؛ توفِّر نظريتا تعبئة المَوَارِد والالتزام التنظيمي عدسة يُمكن مِن خِلالها استعراض حركة گولن، والوقوف على أسباب تناميها وازدهارها. وتوفِّر تلك الأدوات النظريّة، جنبًا إلى جنب مع تحليل السِياقين التاريخي والسياسي اللذيْن اضطلع فيهما فتح الله گولن بالدعوة في تركيا، فضلًا على استيعاب المفاهيم التركية الإسلامية للعطاء وحسن الضيافة؛ توفر لنا صورة مُركّبة للمعتقدات والقيم والديناميات الاجتماعية، التي تدفع بالحركة للبروز محليًا وعالميًا.

التساؤلات البحثيّة

وبناءً على نظريتي تعبئة الموارد والالتزام التنظيمي، اللتين تمّ وصفهما سلفًا؛ فثمة ثلاثة أسئلة أساسية تُوَجِّه البحث الذي يتضمنه هذا الكتاب:

١- من وجهة نظر سوسيولوجية؛ ما هي آليات الالتزام التنظيمي، التي تفسر ما حظيت به حركة فتح الله گولن من حماسة ملايين الأتراك داخل بلدهم، وكذا في البلاد التي هاجروا إليها؟

٢- بأي الطرق أسهمت الآليات الماليّة في تمويل المشروعات الخدميّة، بالترويج للمشاركة والحماسة والالتزام عند مؤيدي الحركة؟ وكيف يتم تحفيزّ الأنصار للتبرُّع؟

٣- ما هي الترتيبات الماليّة للمؤسسات المرتبطة بحركة گولن، وبأي الطرق يرتبط الأنصار ماليًا بالمشروعات المستوحاة من گولن؟

إن تصميم البحث، الذي ولَّد المعلومات المذكورة في هذا الكتاب؛ هو من نتاج الأسئلة البحثية المذكورة أعلاه. وقد قرّرتُ زيارة المؤسسات المستوحاة من فكر گولن، ومحاورة كل مِن الإداريين والعاملين في تلك المؤسسات. وبالإضافة

إلى ذلك؛ فقد حاورت عددًا كبيرًا مِن الأشخاص الذين يدعمون الحركة بمالهم وبعملهم التطوعي. وبما أن الحافز للخدمة يتشكَّل داخل الدوائر المحلية التي تمتاز بها الحركة؛ انصب تركيزي بشكل خاص على تلك المجموعات.

مِن المهم التأكيد على ما لن يتضمنه تصميم البحث، كما تم التأكيد على ما يتضمَّنه. وهذه هي الحال خصوصًا بالنظر للموضوع المشحون أيديولوجيًا، الذي يُركز عليه الكتاب. إن هناك العديد من النقّاد للحركة في كل من تركيا والمهجر. وبرغم أني حاورت بعض هؤلاء النقاد؛ فإني لم أُجر مقابلاتي بشكل منظم بناءً على عينة عشوائية أو ممثِّلة لكافة أطيافهم. وبما أن المنظور النقدي لم يكن جزءًا من التصميم الأصلي للبحث، فهذا الكتاب ليس تقييمًا للحركة من وجهات نظر مختلفة. وعلاوة على ذلك؛ فأنا لا أعرض تقييمًا نقديًا للدور التاريخي أو السياسي لحركة گولن في المجتمع الترْكي. وبالأحرى؛ فمعلوماتي مُقيَّدة بالأسئلة البحثية الثلاثة المذكورة آنفًا، وقد تمت الإجابة على ثلاثتها من خلال حواراتي مع أنصار من داخل الحركة.

هذا الكتاب تحليلٌ سوسيولوجي لحركة گولن، مبنيٌّ على خلفيتي باعتباري عالم اجتماع. وبينما يعرض الفصل الثاني، «الإسلام والدولة عبر التاريخ التركي»؛ موجَزًا لتاريخ العلاقة بين الإسلام والدولة طوال التاريخ الترْكي، فلم يكن الهدف منه إنجاز عمل تأريخي أكاديمي في الموضوع، ولكنه فصلٌ كُتِبَ بمصطلحٍ شائعٍ كمقدمةٍ لتعريف القارئ الغربي بالمعالم الكبرى للتاريخ التركي، التي توفر سياقًا لكشف تطوّر حركة گولن، مع الترْكيز على العلاقات بين الدين والدولة في تركيا. وبالمثل يَعرِض الفصل الخامس، «ثقافة العطاء الإسلامية التُّركية»، وبنفس المصطلح المبسَّط؛ ما يهيئ القارئ الغربي بالإطار العام للمفاهيم التاريخيَّة والدينيَّة، التي تمثِّل خلفيَّة المشروعات الخِدمية التي ترعاها حركة گولن، وتبيّن أن الأستاذ گولن يلجأ إلى سِمات تلك الثقافة في تحفيز أنصاره للمشاركة في خدمة المحتاجين.

مصادر المعلومات في هذا الكتاب

خلال السنوات الثلاث الماضية؛ قضيتُ ثمانية أسابيع في تركيا مُقسمةً على أربع زيارات مختلفة، استمرت كل منها أسبوعين. وقد أتاحت لي تلك الزيارات فرصة لأخبُرَ كل من ثقافة البلد وثقافة حركة گولن التي تصدُر عنها.

وخلال تلك الزيارات استطعتُ زيارة ما يَقرُب من ثمان من مدارس گولن في إسطنبول وأنطاليا وإزمير وبورصة وأنقرة وقونيه وأورفا. كذا حاورت أطباء وإداريين في أربعة مستشفيات مستوحاة من گولن في تلك المدن، بالإضافة إلى زياراتي لمؤسسات تجاريَّة مُرتبطة بالحركة مثل وَقف الصحفيين والكُتَّاب، ومحطة تلفاز «STV»، وصحيفة زمان، ووكالة إغاثة «كيمسه يوق مو Kimse Yok mu»، كانت الزيارتان الأُوليان جزءًا مِن رحلات الحوار الديني التي قمت بها مع حوالي اثني عشر شخصًا آخر من الولايات المتحدة. وتمَّت استضافتنا لتناول الطعام والحوار في ما يقرب من عشرة بيوت تركية مسلمة مُرتبطة بالحركة. وقد وفَّرت هاتان الزياراتان الأوليان سياقًا وألفةً عامةً مع مؤسسات الحركة ومع أبناء للحركة تحسُّبًا لزيارتي الثالثة، التي كانت رحلة بحثية الوجهة بشكلٍ واضحٍ، ومقصورةً على اللقاءات الحوارية.

وفي أبريل ٢٠٠٨م؛ قضيتُ أسبوعين في إسطنبول وبورصة ومودانيا، لأجري حوارات رسميّة مع الإدارة العليا في المؤسسات المرتبطة بگولن؛ بهدف توثيق التاريخ التمويلي وهياكل المؤسسات. وركَّزتُ على كيفية البدء بتأسيس وإطلاق مؤسسة أو مشروع خِدمي، والتكاليف المرتبطة بالمشروع الأصلي، ومصادر التمويل، والتاريخ التمويلي لصيانة واستمرار المشروع مع مرور الوقت. والوضع المالي الحالي، بما يشمل النفقات ومصادر الدخل. وكنت فضولية بشكل خاص بشأن أي دعم حكومي للمشروعات، ليس فقط بالمال، ولكن بالأرض، والمباني، والتسهيلات الضريبية. وقد تضمَّنَتْ حواراتي المؤسسات والمشروعات التالية المرتبطة بگولن:

١- بنك «آسيا Asya».

٢- محطة تلفاز «Samanyolu T.V».

٣- صحيفة «زمان Zaman».

٤- وَقف الصحفيين والكُتَّاب.

٥- جامعة «الفاتح Fatih».

٦- المستشفيات: مستشفى «سما Sema» بإسطنبول، ومستشفى «بهار Bahar» في بورصة.

٧- ثلاث مدارس استلهمت فكر گولن.

٨- وكالة «كيمسه يوق مو Kimse Yok Mu» الإغاثية.

وقد سجلتُ كل لقاء بإذن الأشخاص المعنيين، وقمت بتفريغ تلك التسجيلات كتابةً في وقت لاحق لتيسير التحليل.

وبالإضافة إلى ذلك؛ أجريت حوارات مع قطاع عرضي من المشاركين في الحركة. كانت بعض تلك الحوارات وجهًا لوجه مع أفراد يُساهمون بالمال والوقت في المشروعات الخِدمية، والبعض الآخر اقتصر على مجموعات من دوائر محلية مختلفة ينتمي لها أعضاء الحركة. وقد حاورت مجموعتين من أهم داعمي مشروعات الحركة من رجال الأعمال، واحدة في إسطنبول والأخرى في بورصة. وكل من رجال الأعمال الذين شاركوا في تلك المجموعات يتبرع على الأقل بمليون دولار سنويًا للمشروعات الخِدمية. كذا أجريتُ مقابلات مع دوائر محلية من الأطباء والمهندسين بالإضافة إلى مجموعتين من العمال ذوي الياقات الزرقاء.[1] وقد زودتني تلك المقابلات بنظرةٍ من الداخل على كمية الأموال التي ساهم بها الأفراد المنتمون إلى المجموعات المهنية المختلفة، بالإضافة إلى حوافز العطاء والمزايا المرتبطة بالمشاركة في الحركة.

(١) مصطلح يُطلق على العمال اليدويين في المصانع أو الحرفيين.

وفي مارس ٢٠٠٩م؛ عُدْتُ إلى تركيا مع مجموعة من المتخصصين في علم اجتماع الدين من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا. وبالنسبة لغالبيتهم؛ كانت هذه الرحلة أول تعرُّفٍ بكلٍ من حركة گولن وتركيا. زرنا المدارس التي ألهمها گولن، والمستشفيات، والمنظمة الإغاثية، فضلًا عن مُشاركتنا وجبات الطعام لأهل ثلاثة بيوت مسلمة مُختلفة، ممّا ولَّد كثيرًا من الملاحظات والنقاشات حول الحركة. وقد كان من المفيد لي سماع زملائي من علماء الاجتماع يتأملون ويعلقون على جوانب مختلفة للحركة. فاطمأننت أن مُلاحظاتي واستنتاجاتي السابقة، في مُجملها؛ مدعومةٌ بتحليلات زملائي المتخصصين.

ما الذي يُفسِّر استحواذ حركة گولن على التزام وحماس ملايين الأتراك داخل بلدهم أو في الدول التي هاجروا إليها؟ وكذا؛ لماذا تجتذب الحركة غير الأتراك في المناطق التي استقر فيها الأتراك للعمل والدراسة؟ وسواء قيست من حيث أعداد الأعضاء، والامتداد العالمي، أو التزام الأعضاء؛ فإن حركة گولن تزدهر. فما هو تفسير نجاحها؟ وجزئيًا؛ تمثل هذه الأسئلة وجهة الكتاب. ويَعْرِض الفصل الثاني، «الإسلام والدولة عبر التاريخ التركي»؛ نظرة عامة على تاريخ تركيا، منذ عهد الإمبراطورية العثمانية إلى العصر الحاضر؛ من منظور العلاقات بين الدين والدولة (الدين هنا هو الإسلام). وتعتبر هذه الخلفية التاريخية والسياسية ضرورية لفهم السياق الاجتماعي الذي ترعرع فيه گولن، وطوّر أفكاره التي طرحها، استجابةً لذلك السياق؛ في خطبه وكتاباته. وفي الفصل الثالث، «فتح الله گولن؛ حياته ومعتقداته والحركة التي ألهمها»؛ أقدِّم للقارئ فتح الله گولن بتوصيف قصة حياته واستعراض التأثيرات الفكرية والروحانية التي وقعت عليه، والمعتقدات والقيم التي يتبناها، وتطوّر الحركة التي ألهمها. وفي الفصول الثالث والرابع والخامس أستخدم عدسة نظرية الحركة الاجتماعية، وبخاصة منظورَيْ تعبئة الموارد والالتزام التنظيمي؛ لوصف العديد من المشروعات الخِدمية التي تمثِّل قلب الحركة. وفي الفصل الرابع، «شبكة الدوائر المحلية»؛ والفصل الخامس، «ثقافة العطاء الإسلامية

التركية»؛ يجري التركيز على المفاهيم الثقافية والدينية عميقة الجذور في المجتمع التركي، والتي توفر الحافز والإلهام الكامنين خلف الأعمال الخيرة لحركة گولن. هذه المشروعات الخِدمية الضخمة يدعمها العمل الطوّعي والمساهمات الماليّة لملايين الأعضاء حول العالم، بما يشمل كلًّا من رجال الأعمال الأغنياء، الذين يتبرعون بأقسامٍ مُعتبرة من ثرواتهم للحركة؛ والعاملين أصحاب الأجور الضئيلة، الذين يقدّمون تضحيات كبيرة للتبرع بدولارات قليلة كل شهر للمساعدة في المشروعات الخِدمية. والفصل السادس، «تمويل مشروعات گولن الخِدمية»؛ يُحلل الدعم المالي للحركة، وآثار العطاء على التزام الأعضاء. وأخيرًا؛ أعود في المُلخّص إلى الأسئلة البحثية الثلاثة، التي طرحتُها في المقدّمة؛ وألخّص النتائج الرئيسة في الكتاب، والتي تُجيبُ على هذه الأسئلة.

الفصل الثاني

الإسلام والدولة عبر التاريخ التركي

لاستيعاب أهمية حياة وتعاليم فتح الله گولن، وعُمق المخاوف والاتهامات الموجَّهة إليه مِن قبل نُقَّادِه؛ فمِن الضروري وضعه في السياق التاريخي التركي، خصوصًا في علاقة ذلك السياق بمسألة معقّدة هي الدين والسياسة. إذ لم يتحقق مُطلقًا، عبر التاريخ التركي؛ الفصل الكامل بين الإسلام والدولة. إلاّ أن العلمانية كانت أحد الركائز الست للجمهورية الجديدة التي أنشأها مصطفى كمال أتاتورك في ١٩٢٣م، تأسيسًا استلهم النموذج الفرنسي لهيمنة الدولة على الدين. وفي هذا الفصل؛ سأبرز التغييرات الكبري التي حدثت في تركيا على مدار الأعوام المائة الماضية، لتحديد دور الإسلام في سياسات الدولة.

الإمبراطورية العثمانية

طوال معظم قرون حكم الإمبراطورية العثمانية (١٣٠٠-١٩٢٢م تقريبًا) كانت هناك علاقة وثيقة وتكاملية بين السلاطين (الحكام السياسيّين) والخلفاء (القادة الإسلاميين). اتجه الإسلام إلى الحكام طلبًا للحماية، والحكام غالبًا ما استغلوه لاكتساب شرعيتهم السياسية.[1] ولذلك تبلورت علاقة مُعقَّدة بين الإسلام والدولة.

(1) Balci (2007).

كذا حُكِمت الإمبراطورية العثمانية بالقانون الإسلامي، «الشريعة»؛ والتي لم تكُن تمنح غير المسلمين حقوقًا مساوية للمسلمين. فقد تجاوزت سلطات القيادة الدينية الرسمية (العلماء) الشؤون الدينية، وسيطرت على النظام التعليمي وبعض جوانب النظام القضائي في الإمبراطورية؛ فأدارَ العُلماء المدارس الدينية، التي تلقَّى فيها أكثر موظفي قاعدة البيروقراطية العثمانية تعليمهم.[1]

وقد استهدفت الإصلاحات العثمانية، منتصف القرن التاسع عشر؛ المحافظة على الإمبراطورية في وقتٍ أضعفت فيه الهزائم العسكرية السلاطين. وقد شكَّلت السلطات الدينية قلب المعارضة للإصلاحات العثمانية، خاصة تلك التي عمدت لتجاهُل الشريعة في جهود تحديث الدولة ومنح المساواة لكل المواطنين. وبرغم معارضة العلماء؛ أنشأ الحكام العثمانيون مدارس على الطراز الأوروبي يضطلع بالتدريس فيها معلّمون أوروبيّون، جنبًا إلى جنب مع إنشاء محاكم جديدة خارج منظومة الشريعة. وفي عام ١٨٥٠م؛ أصبح القانون التجاري هو أول قانون يُشكَّل خارج دائرة نُفوذ القادة الدينيين. وفي نفس الوقت؛ تخرَّج جيل جديد من الشباب في المدارس الحديثة وفق النظام الأوروبي، وابتُعِثوا إلى أوروبا لاستكمال تعليمهم العالي. هذه الحفنة من الطلاب صارت نواة «حركة العثمانيون الشباب»، الذين طالبوا بإصلاحاتٍ أكبر، وحقّقوها بواسطة إنجاز قواعد مؤسسة ملكية دستورية وأول دستور عُثماني. وبعدها بعام؛ حين حل السلطان عبد الحميد الثاني البرلمان وعَطّل العمل بالدستور، تحوّل «العثمانيون الشباب» للعمل السري، وتطوَّروا خفية وظهروا في بدايات القرن العشرين على المسرح التركي باسم «تركيا الفتاة»، ثم في صورة «جمعية الاتحاد والترقِّي» ليوجِّهوا تركيا إلى عصرها الجمهوري.

---

(1) Ibid.

الإسلام والدولة في التاريخ المبكر لتُركيا الحديثة

بدءًا من عام ١٩١٣م؛ اضطلعت «جمعية الاتحاد والترقِّي» بسلسلة إصلاحات مهَّدت الطريق لهجر الشريعة بالكامل، وأخضعت المحاكم الشرعية لسلطة المحاكم العلمانية. وفي ١٩١٥م؛ وُضِعت المحاكم الشرعية تحت إشراف وزارة العدل وحُيِّد العلماء، ووضِع الإسلام تحت سيطرة الدولة. ونُقِلَت ملكية الأوقاف الخاصة بالمؤسسات الدينية إلى وزارة المالية. وفي عام ١٩٢٤م؛ أُلغِيت الخِلافة، وأنشئت إدارة الشؤون الدينية كإدارة حكومية لرعاية الشؤون الدينية الإسلامية؛ وأوكلت إدارة المدارس الدينية الإسلامية لوزارة التعليم. وأُلغي التقويمان الشمسي والقمري إلا في الشؤون الدينية. ومُهِّد الطريق للعلمانية التي جاء بها مؤسِّس الجمهورية التركية الجديدة؛ مصطفى كمال أتاتورك (١٨٨١-١٩٣٨م).

وفي ١٩٢٣م؛ نظَّم الأتراك بقيادة مصطفى كمال مقاومة ضد غزو القوات اليونانية المدعومة من القوى الغربية، وظفروا بالسيادة على تراقيا الشرقية وكل الأناضول، وتحوَّلت الأمة إلى جمهورية تركيا. كان الهدف الأساسي لأتاتورك هو صياغة مسار مخالف تمامًا لمسار الإمبراطورية العثمانية، خاصة في بناء دولة قومية علمانية بمنأى عن أدنى أثر للإسلام في السياسة. وفضَّلت النُخبة الجمهورية الحديثة، مع وجود أتاتورك قائدًا وناطقًا باسمها؛ الحداثة الكاملة، التي رأوا فيها مهربًا من الرجعية، وتعبيرًا عن رفضهم وعدم ثِقتهم في كل ما ارتبط بالنظام البائد والطرق القديمة للحياة. وقد اعتبر الدين والمؤسسات الدينية، خصوصًا؛ نقيضًا للحضارة المعاصرة.[١] وسعى أتاتورك، وأتباعه الكماليون؛ إلى خلق دولة تركية قومية حديثة تقوم بشكل واضح على القومية العرقية، لتحلّ محلّ الإمبراطورية العثمانية متعددة الأعراق والأديان وقيمها المتأثرة بالإسلام.[٢]

---

(1) Yilmaz (2005).

(2) Fuller (2008).

ولكونه سياسيًا بارعًا؛ أقحم أتاتورك إصلاحاته ببطء، واستخدم الإسلام في البداية لتوحيد وحشد الجماهير؛ خصوصًا ضد غزو الجيوش الأوروبية.[١] وفقط في عام ١٩٢٤م؛ أعلن أن القومية التُركية، بدلًا مِن الإسلام؛ هي رابط الوحدة الحصري بين الأتـراك.[٢] واستخدمت الدولة المدارس، والجيش، والإعلام؛ لغرس الهوية القومية التركية والقطيعة مع الإسلام والإرث العثماني. ولإنجاز ذلك، والحدّ من تأثير الإسلام؛ أغلق أتاتورك تكايا الدراويش، ومنع الطُرُق الصوفية من ممارسة شعائرها وطقوسها، وحَظَر ملابسها، واعتبر الطربوش غطاء رأس الرجعيين والحجاب تجسيدًا لخضوع المرأة. وتم تغيير لغة الأذان من العربية إلى التُركية، وتُرجِم القرآن أيضًا وطُبِع بالحروف اللاتينية. ولتصير الدولة أكثر تغرُّبًا وحداثة؛ استعاض بالحروف اللاتينية عن الحروف الهجائية العربية، واعُتمد التقويم الغريغوري بدلًا من الإسلامي. وكذا دشن لمساواة المرأة بالرجل، وفي عام ١٩٣٤م؛ مُنِحت المرأة حق التصويت في تُركيا.

وفي عام ١٩٢٨م؛ أُزيل الإسلام من الدستور بوصفه دين الدولة التركية الرسمي. وبرغم بقاء الإسلام جُزءًا لا يتجزأ من الثقافة التُركية؛ فقد انتهى دوره المحوري في السياسة. وفي عام ١٩٣٧م؛ حلّت مبادئ الأيديولوجية العلمانية محلّ الإسلام في الدستور.

أيديولوجية أتاتورك العلمانية

بين عامي ١٩٢٥ و١٩٢٨م؛ سنَّ البرلمان شديد التأثُّر بالكمالية[٣] عددًا من القوانين لعلمنة الحياة العامة. لقد آمن أتاتورك بأنه على تركيا التخلي عن ماضيها

(1) Balci (2007); Yavuz and Esposito (2003).

(٢) يري يافوز، أن الجسد التركي يطوي تناقضًا لا يمكن حلّه، وهو ما تأسَّس خلال تَشكيل الجمهورية. فمن جانب؛ استغلّت الدولة الإسلام لتوحيد مُختلف المجموعات العرقية واللغوية، ومن جانب آخر؛ حدّدت أيديولوجيتها الحضارية التقدمية كنقيض للإسلام.

(٣) تشير لفظة «الكمالية» إلى الأفكار والسياسات التي روَّج لها مصطفى كمال أتاتورك.

واحتذاء النموذج الأوروبي. ولذا؛ سعى لتذليل جميع العقبات لخلق دولة قومية علمانية غربية. وبعد تحقيق الاستقلال القومي؛ أنفذت الجمهورية حكمها في صيغة علمانية مُتصلِّبة تنفي أي دور للإسلام في تشكيل النظام الجديد.

كان النموذج العلماني الذي فرضه أتاتورك على الجمهورية التركية نظامًا لائكيًا، على غرار النظام الأوروبي والفرنسي بوجه خاص. إذ توسّع تلك اللائكية سلطة الدولة، وتقيد الدين في المجال الخاص. وهي شكل من أشكال الأيديولوجية العلمانية التي يلزمها إقصاء المعتقدات والممارسات الدينية من الحياة العامة، وتتوقع استخدام الدولة قوتها لتحقيق ذلك الإقصاء. وتعادي تلك اللائكية الدين، وتسعى للتحكُّم فيه أو تحييده. وذلك على عكس النموذج العلماني الأنغلو-أمريكي، الذي يسعى لحماية الأديان من تدخُّلات الدولة، ويُشجِّع الشبكات الاجتماعية للمتدينين على بناء المجتمع المدني.[1] وقد بُنيت العلمانية التُركية على قاعدة التغيير الاجتماعي من خلال سلطة الدولة، وبإقصاء الدين من المجال العام. وحقيقة الأمر؛ فإن أي محاولة لاستخدام الخطاب الديني، مِن قِبل فرد أو حزب في النقاش العام أو حتّى في البرلمان؛ قد تستخدم لعقاب هذا الفرد أو حظر ذاك الحزب في ظل النظام اللائكي.

وقد أصبحت اللائكية هي المبدأ الأساسي الموجِّه لمساعي الكماليين لبناء دولة قومية حديثة، حيث انحصر الدين في الشئون الخاصة وتحكّمت به الدولة. وفي المؤتمر الرابع لحزب الشعب الجمهوري، عام ١٩٣٥م؛ قنن مصطفى كمال أتاتورك أفكاره وأهدافه باسم «الكمالية»، التي تشكّلت من ستة مبادئ لتوجيه الحزب والشعب؛ وهي: القومية، والعلمانية، والجمهورية، والأيديولوجية الدولتية، والإصلاحية، والشعبوية. كان مصدر تلك المبادئ هو الأيديولوجيات الأوروبية المهيمنة في ذلك الوقت، والتي كانت تعتبر التحديث محض تغريب. وقضت أيديولوجية وممارسة الكمالية على مصادر الصراع المتمثلة في الطبقة والعرق والدين، عن طريق خلق مجتمع تركي قومي علماني لاطبقي؛ يخلو من أي إشارة أو ممارسة دينية في المجال العام.

(1) Yavuz and Esposito (2003).

وعلاوة على ذلك، فبهذا التأثير القوي للوضعية واللائكية الفرنسية على القيادة الجديدة؛ كانت الأداة الكمالية الشرعية الوحيدة لتحقيق التغيير هي الدولة نفسها. فالدولة والشعب كان يُنظَر إليهما باعتبارهما شيئًا واحدًا، واستُبعِد الدين بجُملته، وبخاصة الإسلام؛ من المجال العام. وكان أي شكل من أشكال الاضطراب المدني أو الاحتجاج الشعبي يُعَدّ مصدر قلق وتربُصٍ من قبل الدولة.[1]

ووضعت لائكية الكماليين إيمانها المطلق في العلم وأيديولوجيته الوضعية، وصارت أولويتها إعادة هيكلة المجتمع طبقًا لهذه المبادئ. وبالتالي؛ حجبت تلك السياسة تأثير الدين في مجالات التعليم والاقتصاد والأسرة وطريقة الملبس والحياة اليومية والسياسة. كانت العلمانية في هذا السياق تعني اختراق الدولة الكامل للحياة اليومية، واستبعاد الاختلافات العرقية والدينية. إذ أنشأت الجمهورية التركية مديرية الشؤون الدينية لإدارة وضبط احتياجات الشعب وشئونه الدينية في المجال العام، ولذا حظرت شبكات المجتمع المدني الدينية. وفي عام ١٩٣٧م؛ دُمِجت تلك المبادئ في الدستور باعتبارها مبادئ أساسية للدولة. وكانت ولازالت الأيديولوجية والنظام السياسي اللذان أفرزتهما تلك المبادئ تُعرَف «بالكمالية».[2]

وأصبحت الكمالية هي أيديولوجية تقويض مصادر الصراع الطبقية والعرقية والدينية، عن طريق السعي لخلق مجتمع تركي علماني لا طبقي متجانس. وهكذا؛ صار خوف الاختلاف هو المبدأ الموجِّه للدولة الكمالية. وفضلًا عن ذلك؛ اعتبر الكماليون التغيير شرعيًا فقط عندما تُنفِذه الدولة بنفسها. ولذلك؛ اعتُبِر أي شكل من أشكال تحديث المجتمع المدني من أسفل إلى أعلى مصدر شكٍ وتربُّصٍ، خاصة عندما تكون الفكرة الدينية هي دافعه، وهو ما يُعدُّ تهديدًا للدولة العلمانية.[3]

---

(1) Ibid.

(2) Cetin (2009).

(3) Yavuz and Esposito (2003).

بُنيت العلمانية التركية على النموذج الفرنسي للائكية، والذي يضع الدين تحت سيطرة الدولة، لتُزال أية تعبيرات رسمية عن الدين من الحياة العامة. ففي عام ١٨٠١م؛ وَقّعت الكنيسة الكاثولوكية في فرنسا، تحت حكم نابوليون بونابرت؛ ميثاقًا يجعل للدولة الهيمنة فوق الكنيسة. وطبقًا لذلك الميثاق؛ وافق الڤاتيكان على إمكان ترشيح الدولة الفرنسية للأساقفة، وتعيينها لجميع القساوسة، وتحملها رواتبهم من ميزانية الدولة. وبرغم أن العلمانية التُركية مبنية على النموذج اللائكي الفرنسيّ؛ فإنها قد ذهبت أبعد من ذلك، وأسست سيطرة الدولة الكاملة على الدين. ليس فقط بتعيين الأئمة كموظفين حكوميين، ولكن بتحديد الدولة محتوى خُطَب الجُمعة التي يلقونها، تلك السيطرة التي استمرت في تركيا حتى يومنا هذا.

كانت العلمانية في السياق الكمالي تعني تغلغل الدولة في الحياة اليومية وتهميش الاختلافات العرقية والدينية والإقليمية. وقد ذهب كل من ياڤوز وإسپوزيتو إلى أنه «على عكس الأهداف المرجوَّة منه؛ ساعد المشروع الكمالي للقومية والعلمانية في بناء إسلام مُعارِض وأيديولوجي. لذلك صار الإحياء الديني جوهر الجدل الداخلي في الأيديولوجيا الكمالية».[١] وأصبح التخوف من الاختلاف، خاصة الاختلاف الديني؛ المبدأ الموجِّه للدولة الكمالية، إذ اعتبر تهديدًا لها.

سيطر النظام اللائكي على السياسة التُركية خلال سنوات حزب الشعب الجمهوري (١٩٢٣-١٩٥٠م)؛ حيث حكم حزبٌ واحد البلاد. وكانت الفلسفة الكامنة وراء ذلك أن الدولة أعلم بمصلحة الشعب، وأن حزب الشعب كان يحمي الإسلام من تأثير اللغات والثقافات الأجنبية.[٢]

(1) Yavuz and Esposito (2003).

(2) Balci (2008).

نظام التعدّدية الحزبية في تُركيا

كان انتقال تركيا إلى نظام التعددية الحزبية في عام ١٩٤٦م، بتأسيس الحزب الديمقراطي؛ يُمثّل نقطة تحوّل في التاريخ السياسي التُركي، بما في ذلك تغيُّر دور الإسلام في الدولة التُركية. فبحلول ذلك الوقت؛ كان الإسلام تحت سيطرة الدولة، ولكنه ظل قوة مؤثرة اجتماعيًا وأخلاقيًا في تُركيا. وقد انتقد الحزب الديمقراطي سياسة حزب الشعب في السيطرة التامة على الإسلام. ولتهدئة الحزب الديمقراطي؛ شرع رئيس الوزراء في تخفيف حدة سياسات الدولة تجاه الإسلام، بما في ذلك إضافة مواد إسلامية إلى المناهج التعليمية. وحين انتُخِب الحزب الديمقراطي في عام ١٩٥٠م؛ استمر في نهج مشابه من العلمانية برغم سماحه بعودة الأذان باللغة العربية، وإزالته الموانع التي تحظر الممارسة والدراسة الدينية وبناء مساجد جديدة. ولكنه مع ذلك عارض الإسلام السياسي، وأية تحديات للطبيعة العلمانية للدولة.

وقد أيّد الحزب الديمقراطي تعديلًا في قانون العقوبات التُركي، تقدمت به الإدارة السابقة؛ وهو المتعلق بالمادة الشهيرة رقم «١٦٣»، التي تنص على معاقبة أي حركة تهدف إلى تغيير النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والقضائي، إذا تأسست الحركة، ولو جزئيًا؛ على المبادئ والمعتقدات الدينية. وفرضت هذه المادة سيطرة الدولة على الدين، وضمنت كبح أي حركة إسلامية قد تسعى لتحدّي تلك السيطرة. وقد تمادى الحزب في تنفيذ المادة «١٦٣»، عام ١٩٥٣م؛ من خلال فرض عُقوبات على أي شخص أو مجموعة من شأنها استخدام الدين لتحقيق مكاسب شخصية أو سياسية. وقد زاد ذلك القانون من سيطرة الدولة على الدين، ومنحها القدرة على إسكات أي معارضة مبنية على التعاليم الدينية.

وقد أطاح انقلاب عسكري، عام ١٩٦٠م؛ بالحزب الديمقراطي، وخلفه حزب العدالة. وحين رغب نجم الدين أربكان في الترشُّح لمنصب الرئاسة، تحت مظلّة الحزب الديمقراطي؛ فإن زعيم الحزب سليمان ديميريل رفض. وقد انتُخب

أربكان، الذي أصبح شخصية سياسية وفكرية محورية في التاريخ التركي؛ لعضوية البرلمان عام ١٩٦٩م. وكثيرًا ما يُقال إنه «أعاد تعريف دور الإسلام في السياسة التركية».[1] كان هدف أربكان هو توحيد المجموعات الإسلامية تحت قيادته السياسية، من خلال إجراء تغيير في النظام عن طريق العملية الانتخابية. وبسبب تعاليمه وميوله الإسلامية، وطِبقًا للمادة «١٦٣»؛ مُنِع من العمل السياسي لمدة خمس سنوات. وفي أواخر الستينيات؛ أمست تركيا، مثل باقي العالم الإسلامي؛ مهدَّدة بالأيديولوجية الاشتراكية. وكان الإسلام هو أحد البدائل المرشحة لوقف صعود الاشتراكية. وقد أمِلت الولايات المتحدة، كجزء من سياسة الاحتواء التي تبنتها في الحرب الباردة؛ أملت بإيقاف الاشتراكية والشيوعية بمساعدة «الحزام الأخضر الإسلامي»، الذي شمل تركيا وإيران وباكستان وأفغانستان وإندونيسيا وماليزيا وسائر الدول الإسلامية. وصار الإسلام يُعتبر ترياقًا للاشتراكية، واكتشف العالم الإسلامي دورًا جديدًا للإسلام في السياسة. وكان أربكان من أهم الناطقين باسم الأهمية المتصاعدة للإسلام في سياسات العالم.

كان أربكان يردّد باستمرار أنه ليس ضد العلمانية، ولكنه ضد الطريقة التي تُمارَس بها العلمانية في تُركيا. وأراد إعادة تعريف العلمانية، لتسمَح بالممارسة الحرة للدين؛ ونادى بتغيير المادة الثانية من الدستور التركي، التي تُعرِّف طبيعة علمانية الدولة، ويمكن استخدامها للهجوم على الدين متى أرادت الدولة.

وفي انتخابات ١٩٦٥م؛ وصل حزب العدالة إلى السلطة (الذي يُعدّ امتدادًا للحزب الديمقراطي) مع ديميريل رئيسًا للوزراء. كان ديميريل مُتعاطفًا مع المسلمين الملتزمين، ويحضُر صلاة الجمعة. وبعدها بثماني سنوات؛ خسر حزب العدالة أمام حزب الشعب، وانتخب أجاويد رئيسًا للوزراء. استمر أجاويد في سياسات سلفه؛ واعيًا بأن الناس يحتاجون للدين، الذي يمكنه دفع التنمية.

---

(1) Balci (2008).

وجاء انقلاب عام ١٩٨٠م العسكري بحزب الوطن الأم، المنتخَب حديثًا؛ إلى السلطة، تحت قيادة تورغوت أوزال؛ الذي شدَّد على التعليم والأخلاق الإسلامية كقوى مناهضة للاشتراكية.[١] ودعم أوزال أيديولوجية الهجين الإسلامي التركي (TIS: The Turkish-Islamic Synthesis)، التي تجمع بين القيم الإسلامية والقومية التركية. وتقبلت (TIS) الإسلام باعتباره مصدرًا للأخلاق، لكنها نبذت الإسلام السياسي.

قدَّمت تلك الأيديولوجية الإسلام باعتباره متوافقًا مع القومية والديمقراطية والكمالية والرأسمالية. وتحت إدارة أوزال؛ انتقلت تركيا إلى نظام اقتصادي رأسمالي، وشرعت بإجراء إصلاحاتٍ ديمقراطية. وأزيلت المادة رقم «١٦٣» سيئة السمعة، من قانون العقوبات؛ كجزء من عملية التحول الديمقراطي. كما سمح النمو والتحول الاقتصادي الليبرالي، إبان فترة أوزال؛ بنشوء طبقة من رواد الأعمال ووفر مناخًا لوجود صحف وقنوات تلفاز مستقلة لا تستطيع النُخبة السياسية قمعها.[٢] وقد جمع حزب الوطن الأم، بقيادة أوزال؛ بين برنامج اقتصادي عالمي التوجه، وقيم اجتماعية محافِظة.

وأصبحت السياسات الاقتصادية، تحت حكم الرئيس أوزال؛ قوة دافعة في السياسة الخارجية التُركية. حيث شدّد على برنامج اقتصادي موجَّه للتصدير؛ فتح أبواب البلاد أمام الاستثمار الأجنبي، وسمح لمهارات ريادة المشروعات، عند رجال الأعمال؛ بالازدهار. ولاحقًا؛ فتح انهيار الاتحاد السوفييتي أبواب فرص اقتصادية جديدة لتركيا في الدول المستقلّة حديثًا عن الاتحاد السوفييتي السابق، خصوصًا في مجال الطاقة المحوري.[٣]

---

(1) Yavuz and Esposito (2003).

(2) Ibid.

(3) Fuller (2008).

وقد احتج أوزال بأن القيود المفروضة على حرية الوعي تولّد التطرف وليس العكس. وفي سعيه لمكافحة الشيوعية، بالقيم الإسلامية؛ طالب بالتدريس الإلزامي للإسلام في كل المدارس.[١] وظهر أعضاء البرلمان ومجلس الوزراء في المساجد. وسُمِحَ بالحجاب علنًا، تأسيسًا على الحريات المدنية للمواطنين؛ التي كفلها الدستور. واحتج رافضو الحجاب بأن أتاتورك جعله أشهر رمز للنظام الإسلامي، وأن السماح به علنًا تهديدٌ مباشرٌ لعلمانية الدولة التي كفلها الدستور.[٢]

كذا مرَّرت حكومة أوزال قانونًا يسمح للطالبات الجامعيات بارتداء الحجاب، ولكن المحكمة الدستورية أجهضته. ومع ذلك؛ استمرت العديد من الطالبات الجامعيات في ارتداء الحجاب. وتَبقى قضية الحجاب مصدرًا أساسيًا للنزاع بين المجموعات المحافظة وتلك العلمانية الراديكالية في تركيا. وبينما اعتبر العلمانيون الراديكاليون ارتداء الحجاب مُناهضةً للعلمانية والكمالية، فقد اعتبر العلمانيون الليبراليون والمحافظون ارتداءه حقًا أساسيًا من حقوق الإنسان.

عكست قضية الحجاب واحدةً من أهم آثار سياسات أوزال النيوليبرالية، التي أدت لتوسُّع الإسلام في المساحات العامة. وأدى ذلك إلى تعاظُم المجال الديني، واتساع نطاق الشبكات الدينية في الاقتصاد ووسائل الإعلام والأعمال الخيرية. وعلى سبيل المثال؛ فإن تحرير الإذاعة من القيود الحكومية مكَّن الأصوات الإسلامية، مثل تلك المنتمية لحركة گولن؛ من التعبير عن نفسها على مختلف موجات الإذاعة وقنوات التلفاز والصحف والمجلات. ومثلت تلك المساحات الجديدة، التي تشكلت تحت قيادة أوزال؛ أداة تمكين مجموعات إسلامية في تركيا، ومن بينها تلك المستوحاة من تعاليم گولن.[٣]

---

(١) فرض «كنعان إڤرين»، قائد انقلاب ١٩٨٠م؛ التعليم الإلزامي للإسلام على المناهج الدراسية، واستمر أوزال على نفس النهج.

(٢) ذهب البعض إلى أن كلاً من أم أتاتورك وزوجته كانتا ترتديان الحجاب.

(3) Yavuz and Esposito (2003).

ومع التحول الليبرالي والتوجه نحو التنوُّع الاقتصادي في تركيا؛ تم دمج الأطراف العرقية والدينية تدريجيًا في المجال العام، واكتسبت نفوذًا وتأثيرًا غير رسميين. كان أحد الهياكل الرئيسية التي ساهمت في ذلك هي المعاهد ومراكز فصول التقوية الدراسية (Dershane)، ودوائر الاجتماعات لأجل النقاش، والقراءات الملهمة، والصلاة، وهو ما وفر مساحات اجتماعية للتواصل والنقاش وبناء الشبكات. وأحد مخرجات تلك الدوائر هو تشكيل فرص تواصل جديدة، وجمهور معارض يتبنى الترويج لنموذج المسلم الملتزم. وبهذه الطريقة تبلور وعي ديني جديد، جنبًا إلى جنب مع شعورٍ بالمسئولية الاجتماعية. وكان أحد أهم آثار دوائر القراءة تلك على الحياة السياسية والاجتماعية، من ثم؛ تدفُّق الحضور الديني إلى مجالات اجتماعية أخرى، بمنح الجماهير روابطَ وشبكاتٍ وفرصًا لبناء مؤسسات أهلية.[1]

وبينما كان أربكان ممنوعًا من ممارسة العمل السياسي، لمدة عشر سنوات؛ أسس أنصاره حزب الرفاه وانتُخِب الحزب في برلمان عام ١٩٩١م. وبعدها بخمس سنوات؛ انتُخِب أربكان رئيسَ وزراء لتركيا. كان أربكان نفسه يُمارِسُ شعائر الإسلام علانية، وقد دافع طويلًا عن دور أقوى للإسلام في الساحة السياسية. وبانتخابه دُشِّن جدلٌ شعبي موسَّع حول دورِ الدين في السياسية، ومعنى «الإسلام السياسي» في إطار الأيديولوجية الجمهورية.[2] أشاد أربكان بإيران لمقاومتها الغرب، وتعهّد بإخراج تركيا من حلف الناتو؛ وإنشاء نيتو إسلامي، وأمم متحدة إسلامية، ونسخة إسلامية من الاتحاد الأوروبي، وعملة إسلامية.[3] بالإضافة إلى ذلك؛ كان لحزب الرفاه رؤية تفصيلية للديمقراطية في تركيا، من خلال استخدام اصطلاحٍ ديني ميسور الفهم على نطاق واسع، والاستعانة بالقيم التقليدية والأخلاق الإسلامية.[4]

---

(1) Yavuz (2003).

(2) Cetin (2010).

(3) Mason (2000); Howard (2001).

(4) Cetin (2010).

وقد أشادت بذلك الخطاب الأطياف المتدينة والأكثر محافظة من المجتمع التركي، وعارضه العلمانيون بشدة، إذ خشوا من قيام دولة إسلامية. كذا قام أربكان بسلسلة من الزيارات للدول الإسلامية، وهو ما جعله هدفًا لانتقادات العلمانيين.

وفي عام ١٩٩٧م؛ بدأت لجنة عسكرية رفيعة المستوى، تُعرَف بـ«مجموعة العمل الغربية»؛ التحقيقات بشأن حزب الرفاه. وكانت النتيجة بيانًا صدر من مجلس الأمن القومي، الذي اعتبر نفسه وصيًا على الإصلاحات الكمالية وخاصة العلمانية؛ وجاء فيه أن «مجموعات مُخَرِّبة وانفصالية تسعى إلى إضعاف ديمقراطيتنا واستقرارنا القانوني بالخلط المشبوه بين ما هو علماني وما هو معادٍ للعلمانية».[١] ونتيجةً لتقرير مجموعة العمل، الذي تبناه مجلس الأمن القومي؛ أُجبرت حكومة أربكان على الاستقالة فيما أطلق عليه «انقلاب ما بعد حداثي»، وأزيح أربكان، مع بعض القيادات السياسية الأخرى في الحزب؛ من السلطة، ومنعوا من ممارسة السياسة لمدة خمس سنوات، وأغلق الحزب.

وحدد مجلس الأمن القومي خطة من ثمانية عشر محورًا يتعين الموافقة عليها قبل دعم أي حكومة جديدة. هدفت تلك الخطة للحد من تأثير الإسلام في تركيا، وتضمَّنت مقترحاتٍ بفرض حظر على بعض التجمُّعات والتنظيمات الدينية، و«تطهير» المناصب الحكومية من الشخصيات «الرجعية»، وتشديد القيود المفروضة على «الملابس التي تحمل رمزية سياسية مثل حجاب النساء»، و«تطهير» الجيش من الضباط أصحاب النشاطات الإسلامية أو المتعاطفين معها.[٢] وذهب بعض المحلِّلين إلى أنه منذ انقلاب عام ١٩٨٠م العسكري؛ لم يكن هناك شيء أكثر حسمًا في الحياة السياسية التركية من إجراءات مجلس الأمن القومي، في فبراير عام ١٩٩٧م؛ إذ أكد الجيش هيمنته الكاملة على الحياة السياسية في تركيا.[٣] وفي عام ١٩٩٨م؛

---

(1) Howard (2001); Howe (2000).

(2) Cetin (2010).

(3) Aras and Bacik (2000).

حلَّت المحكمة الدستورية حزب الرفاه «بسبب سلوكياته المناقِضَة لمبادئ الجمهورية العلمانية». وقد شكَّل أعضاء الحزب المنحل حزبًا يخلفه هو «حزب الفضيلة»، الذي صار فيما بعد أكبر أحزاب البرلمان.

وفي عام ١٩٩٨م؛ شكل مسعود يلماز، رئيس حزب الوطن الأم؛ حكومة جديدة وصار رئيس وزراء تركيا، ودفع قُدُمًا «إجراءات ٢٨ فبراير»، التي هدفت للحد من التأثير الإسلامي في الحياة العامة. فوضع قيودًا على القبول في مدارس الأئمة والخطباء، ووجَّه وزارة التعليم لمنع الحجاب في المدارس والجامعات والأماكن العامة. واحتجزت الشرطة عشرين من أهم رجال الأعمال الإسلاميين بناء على اتهامهم بتمويل الأنشطة الإسلامية. وطالب رئيس هيئة الادعاء في أنقرة بإغلاق جمعية «الموصياد»؛ وهي جمعية رجال الأعمال والصناعيين المستقلة، ذات الميول «الدينية».

وفي خضم التحقيقات حول الفساد السياسي والعلاقات مع الجريمة المنظَّمة؛ انهارت حكومة يلماز في ١٩٩٨م، وأصبح أجاويد، رئيس حزب اليسار الديمقراطي؛ رئيسًا للوزراء. كانت الحكومة فعّالة في بدء الإصلاحات الاقتصادية الضرورية، وإصدار تشريعات لحفظ حقوق الإنسان، والاقتراب بتركيا من القبول عضوًا بالاتحاد الأوروبي. وأدت سلسلة من الصدمات الاقتصادية إلى انتخابات جديدة في عام ٢٠٠٢م؛ ليصل للسلطة حزب العدالة والتنمية المحافظ دينيًا، الذي أسسه رجب طيب أردوغان؛ بنسبة أصوات بلغت ٣٤٪. وفي عام ٢٠٠٧م؛ فاز حزب العدالة والتنمية مرة أخرى بكتلة أصوات، أكبر من سابقتها؛ بلغت ٤٦٪، وانتُخِب عبد الله غول رئيسًا للجمهورية وأردوغان رئيسًا للوزراء.

يصنِّف حزب العدالة والتنمية نفسه حزبًا معتدلًا ومحافظًا ومواليًا للغرب؛ يدعو لاقتصاد السوق الحر، وعضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي. واعتبرت بعض المطبوعات المؤثرة في عالم الأعمال، مثل «الإيكونومست The Economist»؛ حكومة

حزب العدالة والتنمية أكثر الحكومات نجاحًا في تركيا على مدى عقود.[1] وقدَّر فولر، نائب رئيس سابق للمخابرات المركزية الأمريكية؛ أن تركيا أنتجت حركتين إسلاميتين ديناميكيتين كان لهما أهمية كبيرة ليس فقط في تركيا، ولكن في الإسلام المعاصر عمومًا؛ وهما: حزب العدالة والتنمية السياسي، والحركة المجتمعية اللا سياسية لفتح الله گولن.[2] وقد تعهد حزب التنمية والعدالة باحترام المعتقدات الدينية ودعم القيم الأخلاقية، ولكن في إطار دولةٍ علمانية. وبالنسبة لحزب العدالة والتنمية تعني العلمانية عدم تدخُّل الدولة في الممارسات الدينية، وهي رؤية يدعمها الأستاذ گولن.[3] ويظل الدين، في رؤية حزب العدالة والتنمية؛ أهم مؤسسة إنسانية، تشكل الأخلاق والنظام الاجتماعي، لكن المؤسسات الدينية يمكن الحفاظ عليها وتمددها بشكل أفضل في مناخ من الحرية الدينية.

وفي حين يتهم النقاد الحزب غالبًا بتبني أجندة إسلامية خفية، يؤكد أردوغان أن حزب العدالة والتنمية ليس حزبًا سياسيًا محوره الدين، بل هو يدفع باتجاه الإصلاحات الاقتصادية والديمقراطية، بالإضافة إلى التأكيد على القيم الأخلاقية.[4] وسعى أردوغان لتلطيف صورة الحزب الإسلامية من خلال بناء تحالفات أوسع مع أحزاب يمين الوسط، ودعم مساعي تركيا للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي. وبرغم تصريحات الحزب؛ إلّا أنه دفع بكثيرٍ من التغييرات التي يمكن تأويلها باعتبارها غير علمانية، أو لها جذور إسلامية. وقد اتُّهِم الحزب بتعيين أشخاص معادين للعلمانية في دواوين الحكومة، ومنْحِ عقودٍ حكومية لشركات وأفراد أصحاب توجُّه ديني. وفي عام ٢٠٠٧م؛ مرّر حزب العدالة والتنمية قانونًا لرفع حظر الحجاب في كل الجامعات. وقد انتقدت الأحزاب العلمانية تلك الأفعال، وأدت إلى تقديم لوائح

---

(1) *The Economist* (05-03-20).

(2) Fuller (2008).

(3) Mecham (2004).

(4) *Turkish Daily News* (07-22-2007).

اتهام للمحكمة الدستورية في تركيا، عام ٢٠٠٨م؛ تدعو لغلق حزب العدالة والتنمية. كان المبرِّر الذي يُساق لذلك هو أن الحزب صار «مرتعًا للأنشطة المعادية للعلمانية»، ومن ثم فهو ينتهك الدستور التركي. وفي ٣٠ يوليو عام ٢٠٠٨م؛ أصدرت المحكمة الدستورية حكمها، وهو إسقاط التهم الموجهة إلى حزب العدالة والتنمية بفارق صوت واحد.[1]

وكما يُوضِح هذا المختصر التاريخي؛ فإن القضايا المتعلّقة بعلاقة الإسلام والدولة سيطرت على السياسة التركية منذ ولادة الجمهورية التركية عام ١٩٢٣م، وحتى قبل ذلك إبان العقود الأخيرة في عمر الإمبراطورية العثمانية. ولم تحظ قضية أخرى في المشهد السياسي التركي بمثل قوة الحضور والاستمرار؛ اللذين حظيت بهما علاقة الإسلام بالدولة، والتي استمر تأثيرها للآن على العملية الانتخابية، والشئون التشريعية والقضائية في ذلك البلد.

وفي هذا السياق التاريخي التركي؛ تعلّم فتح الله گولن وطوَّر أفكاره الدينية وأُلفته بمصادرها، فصار داعية وإمامًا مشهورًا، وأنشأ الحركة التي أمست الآن دولية وتزدهر عالميًا، وتجتذب انتقادات العلمانيين الذين يتخوفون من حشد گولن أتباعه بهدف إنشاء دولة إسلامية في نهاية المطاف.

(1) *Hurriyet* (07-30-2008).

الفصل الثالث

فتح الله گولن؛
حياته ومعتقداته والحركة التي ألهمها

كانت تنشئة فتح الله گولن المبكرة في قرية صغيرة جنوب شرقي تركيا، وتعليمهُ وتعرُّضه المبكر لأفكار سعيد النورسي، ومشاركته اللاحقة في حلقات قراءة كتابات النورسي، وازدياد شهرته في تركيا بصفته داعية؛ وقع ذلك كله في السياق التاريخي التركي الذي تم توصيفه في الفصل السابق. بالإضافة إلى تأهُّله في العلوم الإسلامية التراثية، فهو إلى حدٍ كبير نِتاج قوميته التركية والأحداث السياسية التي أثَّرت في عقود حياته الستة كمواطن تركي. وفي هذا الفصل؛ أعرض للقارئ أولًا جوانبَ من حياة گولن المبكرة، والتي شكّلت أفكاره اللاحقة وخطط عمله؛ وأناقش ثانيًا معتقداته وقناعاته والأولويات الرئيسية، التي شكَّلت كلًا من تعاليمه المبكرة واللاحقة؛ وأتتبّع ثالثًا نشأة حركة گولن في تركيا، ثم انتشارها في دول الاتحاد السوفييتي، وأخيرًا في أنحاء العالم.

حياة فتح الله گولن

- النشأة الأولى:

ولِد فتح الله گولن عام ١٩٤١م في قرية زراعية صغيرة، قرب «أرضروم»؛ شرق تركيا. وقد اشتهرت أرضروم بأنها مُحافِظةٌ ثقافيًا وسكانها متدينون. وبرغم ضآلة فرص الأتراك في الحصول على تعليم علماني عالٍ في ذلك الوقت؛ فقد أرسل والدا گولن بابنهم إلى أقرب مدرسة ابتدائية حكومية لمدة ثلاث سنوات. وحين أنهى تعليمه الابتدائي؛ نقلت الدولة والده، إمام المسجد؛ إلى مدينةٍ أخرى لا يوجد فيها أي مدارس ثانوية. ومن ثم؛ اضطر الأستاذ گولن أن يُخلِّف التعليم الإلزامي، في غمرة سنوات دراسته الابتدائية؛ ويشرع بتحصيلٍ خارج نظام التعليم الحكومي، كان والده فيه أولى مدارسه.

كان والد الأستاذ گولن، الذي تلقى عليه الأركان الأساسية للإسلام إضافة إلى بعض العربية والفارسية؛ باحثًا عالمًا كما كان إمامًا. ويتذكَّره الأستاذ گولن شخصًا يستمتع بقراءة الكتب، ودائمًا ما يتلو القرآن، ويتأمّل يوميًا في سيرة الرسول محمد (ﷺ) وأصحابه، ويُنشد الشعر الديني. وقد غرس في ابنه حبَّ التعلم وحب النبي وأصحابه.[1]

ويصف الأستاذ گولن بيته في طفولته المبكرة بأنه كان «دار ضيافة لكل أصحاب المعرفة والسلوك الروحي في المنطقة». كان والده يُرحِّب بالعلماء في بيته، بشكلٍ خاص؛ إذ كان يستطيع مناقشتهم في المسائل الدينية. وبعبارات الأستاذ گولن: «الضيوف، وخاصة العلماء؛ كانوا حاضرين في منزلنا بشكل منتظم. كنا نولي ضيافتهم اهتمامًا كبيرًا، وخلال طفولتي وشبابي لم أجالس أقراني أو من ينتمون لنفس عمري مطلقًا، وبدلًا من ذلك؛ كنت أصحب دائمًا من هم أكبر مني سنًا،

(1) Fethullah Gülen. *Kucuk Dunyam* (My Small World). Interviewed by Latif Erdogan, Zaman.

وأستمع إليهم يتحدثون عن شئون العقل والقلب».[1] وبسبب اتصاله المبكر بالعلماء والمفكرين الدينيين؛ نشأ الأستاذ گولن داخل دائرة من الأشخاص دائمي الاستكشاف للروحانية وموضعها من العالم الحديث.

كانت والدة الأستاذ گولن، التي علمت بنات القرية القرآن خفية؛[2] تُعَلِّمُهُ هو أيضًا، وكذا فعل جدّه؛ الذي كان واحدًا من أبطاله المبكرين. قبلها بعقدٍ من الزمان؛ كان أتاتورك والحكومة الكمالية قد وضعوا المبادئ الكمالية الستة، ومن بينها القومية والعلمانية. وبرغم سماح الحكومة العلمانية بالمساجد والصلاة، فإن كل صور التعليم والتوجيه والممارسة الدينية الأخرى قد منعت إبان تلك الحقبة من التاريخ التركي. ومع ذلك؛ فقد استمر والِدَا الأستاذ گولن، مثلهما في ذلك مثل العديد من الأتراك، ووفقًا للتقليد التركي الإسلامي؛ حريصين على أن يتعلّم ولدهما القرآن والممارسات الدينية الأساسية ومن بينها الصلاة.

معلم آخر مؤثر في سنوات الأستاذ المبكرة هو الشيخ محمد لطفي أفندي؛ المعلِّم الصوفي. والذي ساهم، مع غيره من المعلمين الصوفيين؛ في تعرُّف الأستاذ گولن على كتابات سعيد النورسي (١٨٧٦-١٩٦٠م)، الداعية الذي كان يؤمن أن المسلمين لا يجب عليهم رفض الحداثة، ولكن يجب عليهم استلهام النصوص المقدسة للتعامل معها.[3] وقد طوّر النورسي أفكارًا عن إسلامٍ حديثٍ يُصِرُّ على محورية دور المعتقدات الدينية في الحياة العامة، جنبًا إلى جنب مع قبول التطورات

---

(1) Ibid.

(٢) وبرغم السماح باستمرار وجود المساجد وصلاة الجماعة في تركيا «العلمانية»؛ إلا أنه تم حظر جميع الأشكال الأخرى من التعليم والممارسة الدينية، في ذلك الوقت؛ بما في ذلك المدارس القرآنية (الكتاتيب).

(٣) شارك النورسي، خلال النصف الأول من حياته؛ في الحياة السياسية بصور مختلفة. وخلال النصف الثاني من حياته، بعد عام ١٩٢٠م؛ التي يصفها بمرحلة «سعيد الجديد»، قصد إلى مكان ناءٍ في محافظة ڤان وتفرغ لكتابة ما سيعرف لاحقًا بـ«رسائل النور»، وهي ستة آلاف صفحة من التعليقات الموضوعية على القرآن وسيرة الرسول. وقد رفض المشاركة السياسية بشكل مستمر حتى عام ١٩٥٠م. وخلال الأعوام العشرة الأخيرة من حياته؛ أيّد الحزب الديمقراطي، وانضمام تركيا إلى حلف الناتو ضد ما اعتبره تهديدًا خطيرًا من الإلحاد والفلسفة المادية، القادمين من الاتحاد السوفييتي وممثلي أيديولوجيته في تركيا؛ أي حزب الشعب الجمهوري.

العلمية والتقنية. وتعيد كتابات النورسي تفسير القرآن الكريم في ضوء العلم الحديث والعقلانية. كانت أهداف حركة النورسي، التي تجلت في تعاليمه؛ هي: التأليف بين الإسلام والعلم، وقبول الديمقراطية كأفضل شكل من أشكال الحكومة تحت حكم القانون، ورفع مستوى الوعي الإسلامي عن طريق توضيح العلاقة بين العقل والوحي، وتحقيق هذا الخلاص الدنيوي والأخروي في إطار سوقٍ حرةٍ ومن خلال التعليم الجيد.[1] هذه الأفكار، التي ألهمها النورسي للأستاذ گولن؛ كانت مؤثرة بشكل كبير في المراحل المبكرة لتعليم الأستاذ، وصارت أحجار الزاوية في تعاليمه وكتاباته اللاحقة.

وجنبًا إلى جنب مع دراسته للإسلام؛ ركّز الأستاذ گولن أيضًا على تلقين نفسه مبادئ العلوم الطبيعية والفلسفة والأدب والتاريخ. وكان يسهر حتى وقت متأخر من الليل يدْرس المبادئ الأساسية للعلوم الحديثة مثل الفيزياء والكيمياء والأحياء والفلك. وقد اطلع أيضًا على أعمال الفلاسفة الوجوديين أمثال كامو وسارتر وماركوز، فضلًا عن الكلاسيكيات الغربية مثل كتابات روسو وبلزاك ودستويفسكي وبوشكين وداروين وتولستوي، والمصادر الأصلية للفلسفة الغربية والشرقية، الإسلامية وغير الإسلامية على حدّ سواء.[2]

- سنواته الأولى في الدعوة:

ومراهقًا؛ تعرّف الأستاذ گولن على حلقات قراءة النورسي، وبعدها صار مشاركًا نشيطًا. وبالمقارنة مع الطرق الصوفية؛ كانت هذه المجالس التي تجتمع حول تعاليم أحد العلماء تتسمى بـ«جماعت cemaat»، وهي شكل تركي من المجموعات الإسلامية ذاتية التنظيم، التي تطوّرت بعد تشكيل الجمهورية العلمانية في ١٩٢٣م، وحظْر الطرق الصوفية، وإلغاء المدارس الدينية والمؤسسات الإسلامية التقليدية.

---

(1) Yavuz (2005).

(2) Eyup Can, "Fethullah Gülen Ile Ufuk Turu" (A Tour of Horizon with Fethullah Gülen) Zaman. August, 1995.

وانبثقت الظاهرة من حلقات القراءة التحفيزية للمواطنين المتدينين الملتزمين، التي تطورت في سياق ضغوط الحكومة على أي تنظيم يمكن أن يمثل تحديًا للنظام السياسي الجديد. وفي حالة حلقات قراءة النورسي؛ كان الموضوع الأساسي للنقاش هو كيفية الاستجابة لمطالب العالم الحديث، بالمعرفة الإسلامية؛ لمواءمة الإسلام مع الحداثة. ولم يكن ثمة شروط عضوية رسمية ولا شعائر للانضمام إلى أي منها، ولا حاجة لمبنى أو مكان معين لانعقاد اللقاءات، ومن ثم فلم تكن طريقة صوفية، برغم تأثر النورسي الشديد بشِعر جلال الدين الرومي وغيره من كبار الصوفية. وبالأحرى تألفت هذه الجماعات من أشخاص تشاركوا ذات الخطاب والأهداف.[1] وكلما تعمق قبول تلك المعايير، وازداد اضطلاع الفرد العملي بأنشطة «جماعت» معينة؛ كلما قوي انخراطه فيها.[2] وقد كان فتح الله گولن مشاركًا في «جماعت النور»، وهي خبرة أثّرت على حياته بشكلٍ هائل لاحقًا، وكذا على الحلقات التحفيزية التي شكّلها قرّاؤه ومستمعوه. وفي حقيقة الأمر؛ يكمُن مفتاح فهم التنظيم الاجتماعي لحركة گولن في فهم طبيعة «جماعت النور»، التي خالطها الأستاذ گولن في شبابه المبكر.

لقد أسّس قرّاء وكتّاب وجمهور خطاب النورسي حلقات التدارس (درسخانه Dershane)، تلتقي في منازل خاصة؛ وعادة ما تتألف من طلبة الجامعة، الذين يتلاقون بانتظام لقراءة ومدارسة القرآن وممارسة أنشطة روحية أخرى. وقد أتاحت حلقات القراءة تلك «مساحات للتواصل الاجتماعي الديني داخل إطار النظام التعليمي العلماني».[3] وقد درس الطلاب، داخل تلك الحلقات؛ القرآن وأعمال النورسي، وتوثقت علاقاتهم ببعضهم البعض. وكانت تلك الحلقات مساحات للتلاقي

---

(1) Agai (2002).

(2) Mardin (1989).

(3) Agai (2005).

ومناقشة المسائل الفلسفية والاجتماعية والدينية. وأصبحت النموذج المؤسس لبيوت الطلبة و«بيوت النور»، التي ساهم الأستاذ گولن في تأسيسها لاحقًا.

وبرغم أن الأستاذ گولن لم يتلق دراسة في المدارس الثانوية الحكومية، وإنما استفاد من نظام «الإجازة» غير الرسمي؛ فقد واصل تعليمه الثانوي العلماني عن طريق الامتحانات من الخارج (نظام المنازل). وفي عام ١٩٥٩م؛ اجتاز امتحان الحكومة ليُصبح إمامًا ويُعيَّن في مكانٍ مرموق، نظرًا لأن نجاحه في اختبار القبول أظهر معرفته العميقة بالعلوم التي ينبغي على الأئمة تحصيلها.[1]

كانت «أرضروم»، حيث تلقى تعليمه المبكر؛ أيضًا مركزًا هامًا للدِّفاع عن الأيديولوجية القومية التركية. إذ كانت تقع قديمًا على طريق القوافل بين الأناضول وإيران، وصارت محطة سكة حديد رئيسية على طريق أنقرة-إيران. ولوقوعها على حدود تركيا، ووجود العديد من المهاجرين القوقاز فيها؛ فإن تلك المنطقة زخرت بثقافة كانت تتفاخر بأنها طليعة حماية حدود تركيا الإسلامية ضد الهجمات القادمة من الشرق، سواء الهجمات الخارجية الفعلية، أو تلك التي قد يمثلها مؤيدو الدول الشرقية الذين عاشوا في تركيا. وعندما كان الأستاذ گولن شابًا؛ قاد الرابطة التركية للنضال ضد الشيوعية في أرضروم، واشترك لاحقًا في استنفار الدعم الأيديولوجي ضد التهديد السياسي للإسلام الإيـراني.[2] كانت سنواته في أرضروم، من ثم؛ محورية في تشكيل قناعاته العميقة المتعلقة بالإسلام والقومية. وقد أظهر گولن تقديره للهوية التركية ودعا لها طوال حياته.

وشابًا؛ ابتعث گولن إلى مدينة حدودية أخرى في غرب تركيا، وهي «أدرنه»؛ حيث خدم إمامَ مسجدٍ لمدة أربع سنوات، وأتمّ خدمته العسكرية، ثم أمضى عامًا إضافيًا في مدينة أخرى في نفس المنطقة. وفي «أدرنه» وبعدها بعام في «قيرقلاريلي»؛

---

(1) Cetin (2010).

(2) Aktay (2003).

صار شديد التأثير في الشباب المتعلّم والعوام. وقد نظّم محاضراته المسائية وتحدّث في سلسلة من المحاضرات ركزت على الأخلاق في الحياة الخاصة والعامة. وفي عام ١٩٦٦م، عينّت مديرية الشؤون الدينية، التي تم إنشاؤها في الأيام الأولى للجمهورية لإدارة الشؤون الدينية الإسلامية؛ الأستاذ گولن في نوع من المدارس تُسمَّى «كستاني پازاري»، أي سوق الكستناء،[1] في «إزمير»، ثالث أكبر مدن تركيا؛ ليدرِّس العلوم الإسلامية، ويكون مسئولًا عن المسجد وهيئة طلابية وقاعة للطعام والدرس في منطقة بحر إيجه. وعاش زاهدًا، وسكن لمدة خمس سنوات في كوخٍ صغير، ولم يقبل أي أجر على خدماته. وخلال تلك السنوات؛ تطوّرت أفكاره في التعليم وخدمة المجتمع. ومع بداية عام ١٩٦٩م؛ راح يُنظِّم اجتماعات في المقاهي، ويحاضر في جميع محافظات وقرى منطقة بحر إيجه.

- تأسيس أول المشروعات التعليمية:

نظّم الأستاذ گولن أيضًا، مع مديري مؤسّسة «سوق الكستناء» وبدعم من رجال الأعمال المحليّين؛ معسكراتٍ صيفية لطلاب المدارس الثانوية والإعدادية جنبًا إلى جنب مع طلاب الجامعة. وفي تلك المعسكرات دُرِّست علوم دنيوية في مجالات مثل التاريخ والأحياء، ولكنها وفَّرت أيضًا نقاشاتٍ دينيةً في قضايا مثل دور الإسلام في الحياة العامة. وغالبًا ما يستحضر الأستاذ گولن حياة النبي محمد (ﷺ)، والفترة الكلاسيكية في تاريخ الإمبراطورية العثمانية؛ كأمثلة جيدة تبيّن كيف أن الإخلاص لمبادئ الإسلام يُحقق العظَمة. وكان يذهب إلى أن تركيا لو أرادت أن تصير أمّة عظيمة مرة أخرى؛ فمن الضروري أن يحيا الناس حياةً إسلاميةً مخلصة، وتعترف مؤسساتهم العامة بوجود الله.[2] وبما أن المدارس الحكومية لا تدرس الإسلام؛ فإن الأستاذ گولن كان يخشى ألا يلقن الشباب تعاليم الإسلام الأساسية.

(١) سوق الكستناء، «كستاني پازاري Kestanepazarı»: هي بيت للطلبة ومدرسة قرآنية، يلتحق بها طلبة المدارس العلمانية الحكومية، ليتلقوا دروسًا إضافية في تلاوة القرآن والعلوم الإسلامية.

(2) Yavuz (2003).

كانت المعسكرات الصيفية إحدى وسائل تعليم الأطفال، في سن المدرسة؛ دينهم جنبًا إلى جنب مع العلوم الدنيوية.

وبالإضافة إلى المعسكرات الصيفية، ومع بداية حقبة السبعينيات؛ شرع مستمعو الأستاذ گولن في تشكيل شبكة جديدة من الجماعات تقوم على تعاليمه، وتشبه تلك القائمة على تعاليم النورسي، والتي انخرط فيها الأستاذ گولن سابقًا. لكن ما جذب الناس إلى تعاليم الأستاذ گولن كان خطبه العامة، التي ألقاها أمام آلاف المستمعين؛ ومحاضراته العلنية التي سُجِّلت وبِيعت في جميع أنحاء البلاد. وكان معظم مُستمعيه من التجار، صغار ومتوسطي الدخل؛ فضلًا عن عدد من أغنيائهم وطلاب الجامعة.[1] وقد اجتذب أناسًا دعموا أفكاره، ليس فقط بحضور محاضراته؛ بل وبالدعم المادي والجهد الذاتي أيضًا. وإضافة لنشاط مدارس «حركة النور»، ساعد الأستاذ گولن الطلابُ وآباؤهم والمتبرعون في تأسيس «بيوت النور»، حيثُ التعليم الإسلامي على قاعدة كتابات النورسي وتعاليم گولن نفسه. وصارت «بيوت النور» تلك تُخرِّج الآلاف من المتعلمين، الذين شكَّلوا فيما بعد أعضاء هيئة التدريس في المدارس المؤسَّسة على فلسفة الأستاذ گولن التربوية. وهذه هي المرحلة، من حياة الأستاذ گولن الدعوية؛ التي بدأت تبرُز فيها مجموعة من الأفراد، عددهم حوالي المئة؛ على هيئة مجموعة خدمية انتظمت حول فهمه لخدمة المجتمع.[2]

واعيًا بمدى انجذاب الشباب التركي إلى الأيديولوجيات الراديكالية المتطرفة، ومنها الشيوعيّة الإلحادية والماديّة؛ حاول الأستاذ گولن بوصفه داعية؛ تربية الشباب على القيم الأخلاقية التقليدية، وإبعادهم عمّا رآه أفكارًا مُدمِّرةً ومُنحطّة. وتلك عينها هي الفترة التي كان أربكان يحتج فيها بأن الإسلام يُعدّ بديلًا للاشتراكية، ويروِّج لدور أكبر للإسلام في السياسة العالمية. وفي مقابل هذه الخلفية السياسية؛ رَوَّج فتح الله گولن أيضًا للمُثُل الإسلامية كترياق للراديكالية الماركسيّة واللينينيّة

---

(1) Kalyoncu (2008).

(2) Cetin (2009).

والماوية، التي كانت تجذب الكثير من الشباب في المنطقة. وكان غالبًا ما يشتري من ماله الخاص، ويوزع؛ موادَّ تكافح أيديولوجيات الإلحاد والشيوعية النضالية. ورأى أن تآكل القيم الأخلاقية بين الشباب سبب الجرائم والصراعات الاجتماعية، ومن ثم؛ صمم على بذل كل ما في وسعه للتأثير على الشباب وتوجيهه في اتجاهٍ رآه الأصح والأكثر إنتاجية.

وفي عام ١٩٧٠م، ونتيجةً لانقلاب عسكري؛ اعتُقِل عدد من المسلمين البارزين في المنطقة، الذين دعموا الأنشطة والمحاضرات الدينية لشباب المنطقة، وكان من بينهم الأستاذ گولن. وقد أُبقي رهن الاعتقال لمدة ستة أشهر دون توجيه أي اتهامٍ له. وتمّ الإفراج عنه بشرط ألا يُلقي أية محاضرات عامة. وبعد الإفراج عنه؛ استقال الأستاذ گولن من وظيفته الرسمية في إزمير، لكنه احتفظ بصفته كداعية معتمد من الدولة. وظل يحثّ الممولين والآباء على تجهيز قاعات دراسية للطلاب في أنحاء منطقة بحر إيجه. ونظّم في إزمير معسكرات صيفية ووفر بيوتًا يستطيع طلاب الجامعة الإقامة بها للدرس، وتطوير شعورهم بهويتهم باعتبارهم مسلمين أتراكًا. وكان يقيم في تلك البيوت مجموعات صغيرة من الطلاب، من نفس الجنس؛ ويساعدون بعضهم بعضًا في شئون الدراسة، ويقرؤون القرآن وكتابات النورسي والأستاذ گولن، ويصلون معًا وينمّون شعورًا قويًا بالتضامن. وتعلّم الطلاّب القيم الإسلامية، كالتضحية ونكران الذات والمسئولية الاجتماعية؛ واستوعبوها. وقد مثلت بيوت الطلبة وقاءً من الخمر وإدمان المخدرات، والعلاقات الجنسية المحرمة، والانسياق خلف دعاوى الشيوعية والقومية المُتطرِّفة، أو غيرها من الحركات الراديكالية. وشجَّعَ العديد من الآباء المحافظين والمتدينين أبناءهم على الإقامة في بيوت الطلبة، عند التحاقهم بالجامعة في المُدن الكبرى في تركيا.

لم تكن إزمير يومًا من المدن التي سيطر عليها الإسلام السياسي، وقد أثارت بيروقراطية الدولة وقيودها استياء طبقتها الوسطى من أصحاب الأعمال والمهنيين مما دفع بتلك الطبقة لتأييد سياسات مؤيدة للسوق وأفكار موالية للغرب. وأدى

التزام الأستاذ گولن بفكر السوق الحر، وتشجيعه رجال الأعمال على تنمية أعمالهم؛ أدى لزيادة تنافُسية وعالمية نشاطاتهم، ومن ثم المساهمة بقسطٍ من ثرواتهم لدعم المشروعات الخدمية المدينة لروحه الريادية. فكان تمويل بيوت الطلبة والمدارس الخاصة يأتي من رجال الأعمال المحليين، الذين دعموا مهمة الأستاذ گولن في تثقيف الشباب في كلٍ من الموضوعات الدنيوية وفي مبادئ الأخلاق. وفي مدينة إزمير نفسها بدأت حركة قوية عابرة للقومية بالتبلور حول الأستاذ گولن، حتى أصبحت تضم اليوم الآلاف من الشبكات الواسعة من أفراد ذوي ميول وأهداف متشابهة.

وبين عامي ١٩٧٢ و١٩٧٥م؛ تولّى الأستاذ گولن وظائف دعوية في مدن مختلفة من مناطق إيجه ومرمرة، حيث واصل الدعوة والترويج لأفكاره حول التعليم وخدمة المجتمع. وفي ذلك الوقت كانت الفرص التعليمية نادرة لعوام الشعب التركي، إذ ساد لدى البعض اعتقادٌ بأن معظم منظومة التعليم قد اخترقتها عناصر سياسية راديكالية، سواء من اليمين أو اليسار. ووقع الآباء، الذين تجاوز أبناؤهم اختبارات القبول للتعليم الجامعي أو الثانوي؛ في مأزق بين رغبتهم في تعليم أبنائهم وخوفهم من المناخ المفرط التسييس في المدارس. ولمواجهة هذه المعضلة؛ شجّع الأستاذ گولن أصحاب الأعمال التجارية الصغيرة على إنشاء بيوت طلبة داخلية، حيث يستطيع الطلاب متابعة دراستهم في مناخ أمِل گولن أن ينفصل عن البيئة المُسيَّسة. ولدعم تلك البيوت والفرص التعليمية، أنشأ السكان المحليون، الذين شاركوا الأستاذ گولن مبدأ الخدمة؛ حسابات المِنَح (bursaries)، التي مثّلت دعمًا للأنشطة. ومرة أخرى؛ كان السكان المحليون هم من استشعروا الحاجة للتعليم الجيّد، وتأثروا بمبدأ الأستاذ گولن في الخدمة، واضطلعوا بتوفير الموارد لوضع تلك الأفكار موضع التنفيذ.

وبمرور الوقت؛ أصبح الطلّاب الذين أقاموا في بيوت الطلبة أهم المدافعين عن أفكار الأستاذ گولن الخدمية، وعادوا إلى قُراهم ومدنهم لنشر خبراتهم القيّمة، والحديث عن الفرص التي نالوها. مسلحين بتعليم جيد؛ صاروا تجارًا ورجال أعمال ومهنيين في مجتمعاتهم، وبدؤوا في التجمُّع لتوفير الدعم المالي للمحافظة على

بيوت الطلبة، وكذا لاستمرار مشروعات خدمية أخرى. وفي نفس الوقت، كانت محاضرات الأستاذ گولن تُسجَّل على شرائط كاسيت وتُوزَّع عبر تلك التجمُّعات داخل تركيا. وكان أول داعية تتوفَّر محاضراته للعامة في تركيا على شرائط مسموعة ومرئية. ومن خلال نشاطات طلابه في تجمعاتهم، وعبر القنوات التكنولوجية الحديثة في الاتصالات؛ بدأ خطاب الأستاذ گولن الخدمي في الانتشار في تركيا.

وفي عام ١٩٧٤م؛ عُيِّن الأستاذ گولن في مدينة «مانيسا Manisa»، حيث دشن أولى الدورات التحضيرية للتعليم الجامعي، في محاولة لإعداد أبناء العامة في تركيا للتعليم العالي. إذ حتى ذلك الوقت؛ كان الالتحاق بالجامعة مقصورًا تقريبًا على أبناء العائلات الغنية. وبتوفير دورات تحضيرية على أعلى مستوى، أعدت شريحة واسعة من أبناء الطبقتين المتوسطة والعاملة، وتهيأت للاختبارات الإجبارية للالتحاق بالجامعة، لتُعاوِد النجاح داخلها.

- **تأسيس مدارس تستلهم أفكار گولن:**

بمعاونة السياسات النيوليبرالية التي تبناها أوزال، في أوائل الثمانينيات؛ وتعاظُم فرص تأسيس مدارس خاصة، افتُتِحت في عام ١٩٨٢م أول مدرستين ثانويتين تستلهمان أفكار الأستاذ گولن، واحدة في إزمير والأخرى في إسطنبول. وتبعهم تأسيس المئات من تلك المدارس، خلال العقدين التاليين؛ في جميع أنحاء تركيا، وبعدها في الجمهوريات التركية التي استقلت عن الاتحاد السوڤييتي السابق، وفي بلدان أخرى من التي ظهرت للوجود بتفكك الاتحاد السوڤييتي، وفي البلقان، وجنوب أفريقيا، وأخيرًا في الغرب. وفي المنتدى الاقتصادي العالمي، دافوس ٢٠٠٠م؛ أقرَّ رئيس الوزراء أجاويد، في خطابه؛ بأهمية المدارس المستلهمة من فكر گولن في أنحاء العالم، وكيفية إسهام تلك المدارس في ثقافات ورفاهة تركيا وبلدان أخرى.[١]

---

(1) Bacik and Aras (2002).

شجّع الأستاذ گولن مستمعيه على الاستثمار في المدارس الثانوية النخبوية العلمانية، حيث أمل في جمعها بين الأخلاق الإسلامية والمعرفة الدنيوية. وهذه المدارس مؤسسة على مناهج علمانية مُعتَمَدة من الدولة، وتستخدم اللغة الإنكليزية في التدريس. أما المظهر الوحيد لتعليم الإسلام المسموح به رسميًا في تلك المدارس، فقد تمثل في ساعة واحدة سمحت فيها الدولة بتدريس الدين في إطار مقارن، وذلك من كتاب يتم تعيينه من قبل الدولة. وكل المدارس، مثلها مثل باقي المؤسسات المستلهمة من گولن؛ هي وحدات إدارية مستقلة، وتموِّلها مجموعات محلية. إلّا أن العاملين في تلك المدارس ينضمون إلى ما أسماه البعض «الشبكة التعليمية للفضيلة»؛[1] وذلك مبني على حقيقة كون الشخصيات القيادية تتواصل اجتماعيًا داخل الجماعة وتشارك أنشطة هذه الجماعة، وترتبط ببعضها البعض بعلاقات شخصية وثيقة نشأت في نفس السياق. وكثيرٌ من مديري المدارس ومدرسيها، في كل من تركيا وخارجها؛ من المتعلمين الذين لهم ارتباط وثيق بالجماعة، التي تضمن أن الأفراد المؤهلين والمحفزين يتحركون داخل شبكتها تلبية للخدمة أينما طلبوا.

ويُوجَد في تلك المدارس رغم ذلك؛ مدرسون من غير المشاركين في حركة گولن، بل وربما لم يسمعوا بفتح الله گولن أبدًا. لكن لولا التزام المعلمين الملهَمين بفكر گولن، والذين يعتبرون عملهم خدمة دينية؛ لانعدم وجود تلك المدارس المتميزة. ويرسل العديد من الآباء أبناءهم إلى تلك المدارس، لأنهم يدركون أنها أفضل فرص تعليم ممكنة لأبنائهم. وكما يلاحظ البعض، فقد تمكّن گولن من تعزيز تأثير الجماعة من خلال انفتاحها، لتصير جزءًا من تكتّلٍ أكبرَ للشبكات التعليمية. وفي حين تعتمد المؤسسات على الجماعة لتزويدها بالمعلمين المؤهلين والمُموِّلين، فقد توجه الأستاذ گولن بأفكاره لجمهور أوسع من المهتمين بالتعليم والتحديث.

وفي عام ١٩٧٧م، في السادسة والثلاثين من عمره؛ كان فتح الله گولن قد عُرِف على نطاقٍ واسعٍ بصفته أحد أكثر الدعاة تأثيرًا في تركيا. وفي تلك السنة، وفي إحدى

(1) Agai (2005).

المناسبات التي حضر فيها رئيس الوزراء وكبار رجالات الدولة صلاة الجمعة في الجامع الأزرق في إسطنبول؛ دُعي الأستاذ لإلقاء الخطبة.

- النوافذ الإعلامية التي استلهمت فِكر گولن:

كذلك شجَّع الأستاذ گولن أتباعه على دخول مجال النشر، كوسيلة لإذاعة أهمية التعليم والخدمة. ومرة أخرى، وفَّرَ تحول المناخ السياسي إلى الليبرالية، وفرصة إنشاء وسائل إعلام إخبارية مستقلة وغير خاضعة للرقابة، وهي إنجازات الرئيس أوزال؛ وفَّر السياقَ لإمكان إنشاء مؤسسات نشر خاصة في تركيا. وفي عام ١٩٧٩م؛ أسّست مجموعة من المعلّمين، مستلهمين أفكار الأستاذ گولن عن التعليم؛ «مؤسسة المعلِّمين» لدعم التعليم. وقد شرعت المؤسسة بنشر دوريتها الشهريّة «سيزينتى Sizinti» أي الينبوع، والتي صارت الدورية الشهرية الأعلى مبيعًا في تركيا.[1] كانت مهمتها ربط العلم بالدين، وإظهار أنهما ليسا متنابذين، وأن المعرفة بهما معًا ضرورية لتعليمٍ ناجحٍ. وقد حمل كل عدد من أعداد الدورية افتتاحية كتبها الأستاذ گولن. أضفْ إلى ذلك تسجيل المئات من ندواته صوتيًا وبصريًا، ونشر سلسلة من الخُطب، في موضوعاتٍ أساسية؛ في أكثر من ٦٠ كتابًا، صار كثير منها من أكثر الكتب مبيعًا في تركيا. وتتوفر العديد منها في ترجمات باللغات العالمية الأساسية، ورقيًا وإلكترونيًا؛ من خلال عدد من المواقع الإلكترونية.

وبالمثل؛ شجّع الأستاذ گولن دائمًا استخدام الابتكارات التكنولوجية طريقةً لتثقيف الجماهير والشباب. وفي عام ١٩٨٢م، وتحت رئاسة أوزال؛ أُدخِلت تعديلات اجتماعية على الدستور سمحت بمزيد من التنظيم الاجتماعي والديني. وفتحت تلك الإصلاحات الدستورية الأبواب أمام التعبير الديني، الذي كان محظورًا من قبل؛ وقادت إلى إحياءٍ دينيٍ في أنحاء البلاد. ونتيجة لذلك، وفي الثمانينيات؛ سُجِّل كثير من أحاديث الأستاذ گولن، ووزِّعت على شرائط فيديو، وبذلك ذاع خطابه

(1) Cetin (2010).

الخدمي وبلغ عددًا أكبر من المتلقين في أنحاء تركيا. وبحلول أواخر الثمانينيات، جذبت خُطبه حشودًا ضخمة من عشرات الآلاف، وهي أعدادٌ غير مسبوقة في تركيا.[1] وقد سُجِّلت تلك الخُطب كذلك على شرائط فيديو، ووزِّعت على نطاق واسع في أنحاء تركيا.

كذا أسّس المساهمون في حركة گولن محطة تلفاز قومية «STV»،[2] ووكالة أنباء كبرى «CHA»،[3] وصحيفة «زمان Zaman» اليومية المستقلة صاحبة أعلى معدل توزيع في تركيا، والتي تصدر بعشر لغات عالمية، وباللغات المحلية التركية في أنحاء العالم التركي؛ بالإضافة إلى العديد من المجلاّت الرائدة، ودار النور المحدودة للنشر.

النجاح هو أفضل دعاية للفرص، وفي هذه الحالة، شاعت إنجازات الأستاذ گولن، ومَن استلهموا رسالته؛ فدُعي للتحدُّث في جميع أنحاء تركيا. كانت المجموعات المحلية مُتحمسة أيضًا لفتح مدارس تستلهم فكر گولن في مناطقهم. وبالإضافة إلى تدريس الفنون والعلوم الإنسانية، كانت مدارس گولن ناجحة، لأبعد حد؛ في إعداد الطلاب لاختبارات القبول بالجامعة والمسابقات العلمية القومية والدولية في مجالات الرياضيات والكيمياء والأحياء وعلوم الحاسب. كان النجاح الذي حقَّقته المدارس الخاصة التي أسستها الحركة تأكيدًا للكثير من حجج الأستاذ گولن، التي طالما أصر عليها في خُطبه وكتاباته؛ وتحديدًا زعمه إمكان جمع المرء بين تقواه وعصرانيته في آن.

- الأستاذ گولن بوصفه جاذبًا للانتقادات:

بالنظر لتاريخ تركيا الحديث، كجمهورية علمانية؛ وبالعودة لنشأة جمهورية تركيا على يد مصطفى كمال أتاتورك عام ١٩٢٣م، وتأسيس العلمانية كأحد المبادئ

---

(1) Ibid.

(2) Samanyolu Televizyonu.

(3) Cihan Haber Ajansi.

الكمالية الستة؛ فقد كان من المُحتّم تقريبًا أن يجتذب ظهور الحركة ونموها الاهتمامَ، ويُثير الخوف في الحلبة السياسية العلمانية.

وبدءًا من عام ١٩٧١م، وباعتقال الأستاذ گولن وسجنه لستة أشهر؛ صارت سلطات الدولة تتهمه، بشكل دوري؛ بتهديد لائكية النظام الرسمي. وفي أواخر التسعينيات؛ ثار الجدل عندما أذاعت محطة تليفزيون خاصة أشرطة فيديو بدا فيها كأنه يدعو للجهاد ضد الجمهورية العلمانية، والإطاحة بها؛ واستبدال دولة إسلامية بها. وقد احتج بعض مؤيديه بأن تلك الشرائط تمّ تزييفها بإتقان، باستخدام مجموعة من الصور والتسجيلات؛ لتهاجمه وتنال منه.[1] وفي عام ٢٠٠٠م، أصدر المدعي العام للدولة، «يوكسيل Yuksel»؛ أمرًا باعتقال الأستاذ گولن بدعوى أنه والمتعاطفين معه قد نظّموا مجموعة لتغيير الحكومة العلمانية وتحويلها إلى دولة ثيوقراطية. وبعد سنوات من المثول أمام المحاكم والطعون؛ قضت المحكمة الجنائية العليا في أنقرة برفض القضية نهائيًا في مايو من عام ٢٠٠٦م.

انتقل الأستاذ گولن، عام ١٩٩٩م؛ إلى الولايات المتحدة طلبًا للرعاية الطبية والعلاج من أمراضه العديدة، والتي تشمل اضطرابات القلب وداء السكري. وحتى في الولايات المتحدة؛ لم تَخْلُ إقامته من إثارة الجدل حولها. ففي نوفمبر عام ٢٠٠٦م؛ تقدم الأستاذ بطلب للإقامة الدائمة (المعروف «بالغرين كارد») والذي يسمح له بالعيش والعمل في البلاد بشكل شرعي. لكن رفضت دائرة خدمات الجنسية والهجرة الأمريكية (USCIS) طلبه، بحجة أن الأسس التي انبنى عليها، وتحديدًا توصيفه أنه «أكاديمي فائق الموهبة»؛ غير كاف وغير مؤيد بالمستندات، وقد طعن الأستاذ گولن في القرار في محكمة فيدرالية في المنطقة الشرقية من پنسلڤانيا (حيث يقيم)، وأصدرت المحكمة قرارًا بأن رفض دائرة خدمات الجنسية والهجرة الأمريكية في غير محله. وأخيرًا، في أكتوبر عام ٢٠٠٨م؛ استُجيب لطلب الأستاذ گولن، ومنحته حكومة الولايات المتحدة الإقامة الدائمة.

---

(1) Weller (2006).

وكما يتبين من حياته التي استعرضناها؛ فقد كان الأستاذ گولن مصدر إلهامٍ للملايين من الأتراك في أنحاء العالم، الذين صاروا صدىً لأفكاره، وملتزمينَ بكونهم جزءًا من حلقات التدارس الدينية «صُحبَت Sohbet»، التي يعقِدها أشخاص للتحاور حول موضوعات خُطبه وكتاباته، وينزلون عن أموالهم وأوقاتهم لدعم المشروعات الخدمية التي يلهمها. وبرغم ذلك، وعلى الجانب الآخر؛ ثمة أتراك مقتنعون أن الأستاذ گولن وأتباعه يؤسِّسون لدولة ثيوقراطية في تركيا، لتُعيدها القهقرى وتعطِّل مسيرتها نحو الحداثة، وأن گولن وأتباعه يغسلون أدمغة الشباب ليتّبعوا أفكارهم، ويُؤسّسون تنظيمًا سريًا مكرّسًا للأستاذ وأجندته. فما هي أفكار الأستاذ گولن ومعتقداته ورؤيته الكونية، التي تُلهِمُ البعض، وتدفع آخرين للتخوف على مستقبل تركيا؟

الأفكار الأساسية التي يروّج لها گولن

- بناء الجسور بين الإسلام والغرب:

بؤرة أساسية في تعاليم الأستاذ گولن تمثلها الحاجة لخلق جسور بين العالم الإسلامي والغرب، جنبًا إلى جنب مع أهمية دمج المبتكرات العلمية والتكنولوجية في المجتمع المسلم المعاصر. وهو يؤمن بأنه كما لعب الأتراك دورًا دينيًا وثقافيًا حيويًا لقرون تحت حُكم العثمانيين، فإن تركيا مؤهلة الآن لتحدو العالم الإسلامي عبر القرنين العشرين والحادي والعشرين، مع ترسيخ قيم التسامح والحوار والعلم الطبيعي والتعليم. وفي حين يؤمن الأستاذ گولن أن هناك إسلامًا واحدًا حقيقيًا، وهو ذلك المؤسس على القرآن والسّنة النبوية؛ فهو يُدرك اختلاف التأويلات التاريخية والثقافية والاجتماعية داخل الإسلام في العالم المعاصر.[١]

(١) تستند أكثر المادة في هذا القسم على حوارات «نوال سَفيندي Nevval Sevindi» مع الأستاذ گولن عام ١٩٩٧م، ثم في عام ٢٠٠١م، بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر على نيويورك وواشنطن؛ راجع:

- Sevindi (2008).

ويدافع الأستاذ گولن عن تصوّرٍ تقدُّمي للإسلام، تصور يمكن المسلمين وشعوبهم من مخالطة العالم بأفضل إنجازات العلوم الطبيعية وأنظمة التعليم والفلسفة والعلوم الاجتماعية والتكنولوجيا. ويحتج بأن الإسلام منذ ظهوره، في القرن السادس الميلادي؛ قد تفاعَل مع الظروف المختلفة تاريخيًا وثقافيًا، وأن المسلمين تخلّفوا عن الركب عندما فشلوا في المنافسة في عالم آخذ في الاتساع، أواخر القرن التاسع عشر.

وليتم استعادة دور مُعتبر في العالم الحديث؛ دائمًا ما يُذكِّر الأستاذ گولن أتباعه بالميراث العثماني في تركيا المعاصرة. وهو لا يدعو لعودة الخلافة، وإنما للتركيز على القيم والممارسات الثقافية الأساسية للعثمانيين:

١- روح الحوار.

٢- حقيقة تعدُّد اللغات والأعراق والأديان في الدولة العثمانية.

٣- احترام المرأة.

٤- التقارب الفكري والثقافي بين المجتمع العثماني والغرب، الذي بدأ في القرن التاسع عشر.[١]

ويدعو الأستاذ گولن لاستخدام النموذج العثماني باعتباره أساسًا لعودة العالم الإسلامي إلى قلب حضارة العالم، ولبناء علاقات مُثمِرة مع الغرب. وبسبب موقعها الجغرافي الإستراتيجي بين الشرق والغرب، ونظام حكمها الديمقراطي؛ يرى الأستاذ في تركيا كذلك قائدًا للعالم الإسلامي لجسر الهوة بين الشرق والغرب.

ويؤمن الأستاذ گولن أن العالم الإسلامي المعاصر يواجه عددًا من التحديات الصعبة، أولها هو غياب العقلية العلمية الحقيقية، كما يتضح في العديد من الدول الإسلامية؛ وثانيها هو غياب الحوار الحقيقي بين العالم الإسلامي والغرب.[٢]

---

(1) Abu-Rabi (2008).

(2) Ibid.

ويُقِرُّ الأستاذ بأن العالم الإسلامي ظل خاضعًا ومُستعبدًا للغرب عبر أكثر مراحل التاريخ الحديث. لكنه، برغم ذلك؛ يستشعر حلول الوقت الذي يعرض فيه العالم الإسلامي الجانب الإيجابي من الإسلام للغرب.

وإحدى الطرق، التي يتعين أن يشرع المسلمون من خلالها باستعراض الجانب الإيجابي للإسلام؛ هو الانخراط في العولمة، والتفاعل مع الشعوب في جميع أنحاء العالم. ويدعو كذلك لتشكيل «جيل ذهبي»؛[1] من شبابٍ متعلِّم تعليمًا عاليًا، يستشعرون المسئولية ويفكرون على نطاق عالمي. وأبناء هذا الجيل الجديد مُشجَّعون على السفر الكثير، وتعلم عدة لغات، ودراسة العلوم الطبيعية والاجتماعية، في مؤسسات تعليمية مختلفة؛ والانخراط بفاعلية في الحوار الديني أينما كانوا.

- التعليم:

وطبقًا للأستاذ گولن؛ فإن أهم المشكلات في العالم اليوم هي نقص المعرفة، والتي تتضمن إنتاج المعرفة والتحكم فيها، بالإضافة إلى اكتساب المعرفة المتوفرة. ويمكن إنتاج المعرفة وحفظها ونشرها من خلال تعليم جيد، وليس بالقوة أو عن طريق السياسة. فالتعليم عند الأستاذ گولن هو مرادف لبناء فرد منتج وصاحب مساهمة مؤثرة في كل مجتمع. ويصّر گولن على أنه لا يوجد فرد أو مجتمع قادر على بلوغ أقصى إمكاناته بدون تعليم. وهو يرى التعليم وسيلة ترقي البشر إلى الصورة الحقيقية التي خلق الله الإنسان ليتمثلها، ولذلك؛ فالتعلم هو أكثر مهام الحياة أهمية. يقول:

> «إن الواجب والغرض الأساسي لحياة الإنسان هو السعي للفهم. فالمجهود المبذول في ذلك، والمعروف بـ«التعلم»؛ هو عملية ترقية نستطيع من خلالها كسب، على الأصعدة الروحية والفكرية والبدنية لوجودنا؛ المكانة التي وهِبناها باعتبارنا أشرف المخلوقات».[2]

---

(1) Sevendi (2008).

(2) Gülen, *Towards a Global Civilization of love and Tolerance*, P. 202.

وهو يُجدد ثلاثة أشكال من التعليم (علمي وإنساني وديني) تعزِّز وتُكمل إحداها الأُخرى، ويلزمها التفاعل سويًا لتشكيل إنسان كامل وشامل،[1] لذا يدعو الأستاذ گولن لغرس القيم الأخلاقية جنبًا إلى جنب مع التدريب الصحيح على العلوم الطبيعية الدنيوية.

وهو يرى التعليمَ ضروريًا للتحديث الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وأن الأفراد سوف يحترمون القانون الديمقراطي وحقوق الإنسان فقط إذا حصلوا على تعليمٍ صحيح. ويحتج بأن العدالة الاجتماعية والسلام يتحقّقان بواسطة أناس استناروا فكريًا مع تمسكهم بقيم أخلاقية قوية، وشعور بالإيثار. ويأمُل الأستاذ گولن، وهؤلاء الذين ألهمتهم عباراته؛ أن يُعلِّموا جيلًا خَبُرَ المعرفة الحديثة بالإضافة إلى القيم الإسلامية. هذه الفلسفة هي أساس النظام التعليمي في كل المدارس الابتدائية، والثانوية، وفى مستوى الجامعة؛ والتي استلهمت أفكار الأستاذ گولن.

جنبًا إلى جنب مع الدعوة للمشاركة التعليمية والعلمية، وفي الحوار بين الأديان على الصعيد العالمي؛ فإن الأستاذ گولن يُصِرُّ على أن هذا لا يعني قبول التغريب بجُملته. ويحتج بأنه رغم هيمنة الحضارة الغربية على العالم في القرون الأخيرة، وتوفُّرها على الريادة والتكنولوجية؛ فإن رؤية الغرب الحديث للعالم مادية، وينقُصها العناية بالأبعاد الإنسانية الأُخرى؛ خاصةً البُعد الروحي.[2] فمنذ عصر الاستنارة تحديدًا، فَصَلَ العديدُون الدينَ عن أهداف العلم الطبيعي، واعتبروا الدين باليًا وتهديدًا للبحث العلمي. ويصر الأستاذ گولن على أن العلم والدين يسيران يدًا بيد، وأن الدين يستطيع، ويجب؛ أن يلعب دورًا في المجالات الأخلاقية والفكرية والاجتماعية.

---

(1) Aslandogan and Cetin (2006).

(2) Carroll (2007).

ومن وجهة نظر الأستاذ گولن؛ فالعلم والإيمان ليسا فقط مُتناغِمَين، بل مكمّلين لبعضهما البعض. فهو يعتبر أن رؤية كونية أساسها الإيمان هي ما يزودنا بسردية وجودية صحيحة وشاملة؛ تضفي المعنى على التعليم العلماني. وبألفاظه؛ فإن خير معرفة هي تلك التي تمكن التلاميذ من ربط الأحداث في العالم البراني بتجاربهم الجوانية.[1] وكذا؛ فهو يرفض الدين كإيمانٍ أعمى، وينتقد الذين يفشلون في استخدام عقولهم لاستكشاف وتحليل الكون المنظور. ومن ثم؛ فهو يرى ضرورة التوفيق بين الإيمان والعقل، بدلًا من الاستخفاف بأي منهما.

وتتمثل انتقادات الأستاذ گولن للمدارس الدينية التقليدية والتكايا في أنها لا تُلبّي مُتطلبات الحياة الحديثة، حيثُ تنقُصُها المناهج والأدوات لإعداد الطلاب لتقديم مساهمات إيجابية للحياة العصرية، وذلك بسبب فشلها في دمج العلم الطبيعي والتكنولوجيا في مناهجها التقليدية. وهو ينتقد كذلك المدارس العلمانية لعجزها عن توصيل القيم الروحية والأخلاقية للطلاب، حتى لو كانت جيدة التجهيز لتدريس العلم الطبيعي والتكنولوجيا. ولحل هذه المعضلة؛ يقترح الأستاذ گولن نظامًا تعليميًا يدمج بين المعرفة العلمية والقيم الأخلاقية.[2]

ويرى الأستاذ گولن أن التعليمَ العلمي والتعليمَ الإسلامي متناغمان ومتكاملان. وعلى الرغم من تلقيه العلم في مؤسسات إسلامية تقليدية؛ فإنه حث مُستمعيه لفتح مدارس حديثة بدلًا من المدارس الدينية التقليدية. بل إنه ينصح ببناء مدارس بدلًا من بناء المساجد. وهو يدعو لتثقيف النشء في المعرفة الإسلامية من خلال المطبوعات غير الرسمية والخطب، وفي داخل العائلة؛ بدلًا من الاعتماد على المناهج الرسمية في المدارس.[3]

---

(1) Gülen (1998) pp. 99–100.

(2) Michel (2005).

(3) Kuru (2003).

ويُصِرّ الأستاذ گولن على أن تتجنب المدارس، التي استلهمت فكر الحركة، التسييس. ويرغم احتكاكها بالعديد من قادة الأحزاب السياسية طلبًا للدعم والمساندة؛ فقد حافظَت الحركة دومًا على موقفٍ غير حزبي، ولذا شجّع أتباعه بقوة على البقاء خارج دائرة المشاركة المباشرة في السياسة. ويحتج بأن تركيا تعاني بالفعل من أشكال متنوعة من الانقسام، ومن ثم تعيَّن الإبقاء على التعليم جزيرةً للوحدة لا تشوبها الطموحات السياسية.[١]

- تمويل المشروعات الخدمية بروح العطاء والخدمة:

تطلّب إنجاز المشروعات التعليمية التي رسمها الأستاذ گولن مواردَ بشريةً ومالية. فكانت هناك حاجة لمدرسين ومديري مدارس مُتفانين وملتزمين بتعليمٍ جيدٍ، ومستعدين للقيام بتضحيات لتحسين تعليم طلابهم. وتعين على الآباء أنْ يكونوا راغبين في العمل مع المدرسين وإداريي المدارس، من أجل تحقيق الأهداف التعليمية المشتركة. ولتحقيق تلك الأهداف؛ كان من الضروري التبرُّع بمقادير كبيرة من خلال إنشاء أوقاف خيرية. ولذلك؛ بدأ الأستاذ گولن، في الأيام الأولى للحركة؛ يكلم الناس من جميع طبقات المجتمع التركي. وجالس الناس في أي مكان استطاع الوصول إليهم فيه؛ المقاهي والمساجد وفي البيوت والقرى الصغيرة والبلدات والمدن، في شتى أنحاء تركيا. وبغض النظر عمن كان يُخاطب، فقد كانت رسالته واحدة؛ وهي: تعليم صحيح في مدارس عالية الجودة، ولتحقيق ذلك؛ فهناك ضرورة للخدمة الطوعية والمساهمات المالية.[٢]

وقد استمر في تشجيع النخبة الاجتماعية ووجهاء المجتمع والصناعيين الأثرياء ورجال الأعمال الصغار، على حد سواء؛ على دعم التعليم الجيد. وبتبرعاتٍ من هؤلاء الأفراد؛ تأسست أوقاف تعليمية لدعم مئات المدارس في كل من تركيا وخارجها.

---

(1) Aslandogan and Cetin (2006).

(2) Cetin (2010).

ولجأ الأستاذ، في خطبه ومناشداته؛ لأفكار وقيم مشتركة في العديد من التقاليد الدينية: الواجب، والالتزام الأخلاقي، والمساهمات المخلصة، والخدمة التطوعية.[1] وكما يبيّن البعض؛ فقد آمن الأستاذ گولن ابتداءً بالمشروعات الحرة، وشجّع عليها.[2] وهو يدعو لوجوب أن يصير المؤمنون أغنياء، ويعملوا على إنماء تجاراتهم قدر استطاعتهم، خصوصًا على المستوى العالمي؛ الذي يرى فيه مستقبل الاقتصاد في العالم. وبالتالي؛ فجزء من الثروة المتراكِمة يجب أن يستخدم في دعم المشروعات التعليمية العديدة، التي ستكافح الجهل والفقر والرذيلة. ويحتج الأستاذ گولن باستمرار على أن وجود سوق حر قوي أمر ضروري لتنمية الثروة الاقتصادية، والتي يمكن استخدامها في إقامة وتدعيم نظام تعليمي حديث سيقوي المسلمين والدولة التركية آخر الأمر.[3]

وفي الثمانينيات، وتحت الرئيس أوزال؛ أدى تحول الاقتصاد التركي إلى الليبرالية لظهور طبقة جديدة من رواد الأعمال، التي راكمت ثرواتها من الاستثمار في الأعمال التجارية والمشروعات الرأسمالية في كل من تركيا والعالم. وكثير من رجال الأعمال هؤلاء كان مُنجذبًا لأفكار الأستاذ گولن حول ريادة الأعمال ومراكمة الثروات، جنبًا إلى جنب مع مسئولية اجتماعية ودينية بدعم المشروعات الخدمية، خاصةً ما تعلق بالتعليم الجيد، والمشروعات التي ستسهم في تحسين التعليم بين الشباب التركي. وإلى جانب تعليم المواد العلمانية في المدارس التي استلهمت فكر گولن، يأتي التعليم الأخلاقي وتطور هوية مسلمة-تركية قوية.

وقد شجّع الأستاذ گولن طبقة أصحاب الأعمال الجديدة، أولًا؛ لدعم بيوت للطلبة يُمكن لهم الإقامة فيها والدراسة سويًا تحت إشراف معلمين متفرغين. الخطوة التالية التي روَّج لها كانت هي تمويل الدورات التحضيرية للجامعة، لإعداد

---

(1) Gülen (2005).

(2) Sevendi (2008).

(3) Yavuz (2003).

الطلاب لاختبار القبول الإجباري للكليات. وأخيرًا؛ شجّع تمويل المدارس العلمانية الخاصة، المؤسَّسة داخل إطار نظام الدولة التعليمي.

لقد خطب الأستاذ گولن مؤكدًا أن لكل فرد دورًا يلعبه في إقامة مدارس على أعلى مستوى في تركيا. ووجهت الدعوة إلى القادرين والمتحفزين للمشروع ليكونوا إداريين ومدرسين في المدارس. أما أصحاب الأعمال التجارية، ومَنْ يعملون في وظائف احترافية؛ فتعين عليهم إنماء ثرواتهم قدر الاستطاعة، ليدعموا المشروعات التعليمية ماليًا. فيجب على المؤمنين في تركيا وخارجها أن يصيروا أثرياء، ليس لمنفعتهم الشخصية فحسب؛ ولكن ليدعموا المشروعات الخدمية النافعة.[1] وقد حثَّ رجال الأعمال على حشد مصادرهم وطاقاتهم في أوقافٍ خيريةٍ؛ فلا يستفيد من دخل تلك المؤسّسات سوى الطلاب أنفسهم. وصار بناء المدارس مُعادلًا حديثًا لبناء المساجد في روع العديدين من رجال الأعمال.[2]

وبينما ظلّ الأستاذ گولن نفسه فقيرًا ماديًا؛ فإن زُهدَه وأهدافه المتجردة قد حفَّزا المدرسين والآباء والداعمين للمساهمة لأجل الصالح العام، بأي الطرق استطاعوا. ورغم استنفاره الجمهور للتبرع؛ ابتعد الأستاذ گولن عن الإدارة المالية لكل المؤسسات المرتبطة بالحركة. بل شجّع داعمي تلك المؤسسات على الإشراف الفعال على طريقة توظيف أموالهم، الأمر الذي رسخ ثقة كبيرة في نزاهة الأستاذ وأمانته.[3]

ويُشير الأستاذ گولن دائمًا إلى قول عليّ بن أبي طالب (ﷺ) رابع الخلفاء الراشدين: «إن الناس صنفان؛ إما أخ لك في الدين أو نظيرٌ لك في الخلق»؛[4] فالبشر أشرف المخلوقات، وعلى من أراد أن يزداد شرفًا خدمة هذا المخلوق المشرَّف.[5]

---

(1) Sevendi (2008).

(2) Cetin (2010).

(3) Woodhall (2005).

(٤) من كتاب الإمام علي ﷺ لمالك الأشتر النخعي حين ولاه مصر.

(5) Unal and Williams (2000).

وبالنسبة للأستاذ گولن؛ فإن توفير التعليم الجيد، من خلال المشروعات الطوعية والأوقاف الخيرية؛ واحدٌ من أكثر الطرق نُبلًا لإظهار الاحترام والإجلال لأُخُوّة الإنسانية. ليصير العمل عبادة لله، حتى لو كان ذلك العمل قليلًا من دخل المرء يتبرّع به لأحد مشروعات الخدمة. إن العمل التربوي ودعم التعليم، على وجه الخصوص؛ مرتبطان بالقيم الإسلامية الرفيعة.

وكما نُبين في الفصل الخامس، «ثقافة العطاء الإسلامية التركية»؛ فقد أحيت أفكار الأستاذ گولن الخدمية الديناميات الخيِّرَة وسمات الإيثار والإحسان المتأصّلة في الثقافة التركية، لتملأ الفجوة التي خلفتها السياسات الحكومية. لقد غيَّر الأستاذ گولن أفهام الجماهير من خلال تطوير فهمٍ جديدٍ للدين والعلم والعلمانية والخدمات الاجتماعية والتعليمية. وأكَّد على أن تركيا، فضلًا عن الإنسانية؛ يلزمها المزيد من الأفراد المتسامحين والمتحلين بقلوب رَحبة وعقول مُتفتحة تحترم التفكير الحر، وتنفتح على العلم الطبيعي والبحث العلمي، وتكون قادرة على تصور التناغُم بين الشرائع المقدسة للكون والحياة.

- الحوار بين الأديان والثقافات:

في طيات تأكيد الأستاذ گولن على الحوار بين الأديان والثقافات؛ غالبًا ما يشير إلى العلاقات المتناغمة بين الأديان، التي سادت الإمبراطورية العثمانية. إذ لم تكن الإمبراطورية تتكوَّن من مسلمين فحسب، بل من كثير من المسيحيين واليهود فضلًا عن بعض الزرادشت. وحتى مطلع الدولة القومية الحديثة؛ عاشت تلك المجموعات الدينية مع بعضها البعض حياة مُثمرة في سلام عبر الحقَب العثمانية. هذا التعايش السلمي قد روَّج له كثير من القامات الصوفية التركية، الذين تبنوا أفكار التسامح بين الأديان.[1] وقد درس الأستاذ گولن سير العديد من هؤلاء الصوفية، وتأثر بهم بلا شك في إصراره على أهمية الحوار بين تلك التجمُّعات الدينية.

(1) Saritoprak and Griffith (2005).

وقيم الشفقة والحب أساسية في تعاليم الأستاذ گولن. وهو يدعو باستمرار للتسامُح والعفو بوصفها قيمًا إسلامية مركزية متأصلة في فضيلة التواضع. وهو يُعلِّم مريديه أن من يتعالون على غيرهم لا يمكنهم أبدًا الاشتراك في حوارٍ حقيقيٍ. لكن الشخص المتواضع أكثر استعدادًا للحوار مع الآخرين بشكلٍ مُنفتِحٍ وصريح. وقد أظهر الأستاذ گولن تواضُعه الشخصي عندما التقى البابا جون پول الثاني، بابا الڤاتيكان؛ في فبراير عام ١٩٩٨م. وقد انتُقِدَ گولن بعد ذلك اللقاء، بواسطة مجموعة من الشباب الإسلاميين، الذين احتجّوا بأنه لم يكن يجدُر به إذلال نفسه بالذهاب إلى الڤاتيكان ومقابلة البابا. لكن الأستاذ گولن أجاب بأن التواضع صفة المسلمين، وأن الحوار مع أشخاص ينتمون لتقاليد دينيةٍ مختلفةٍ جزء لا يتجزأ من الإسلام. وكرر بأن التواضُع ضروري لحوارٍ حقيقي، وأنه يتعين على الخلق ألّا يتعالوا على غيرهم، بل يجب أن يتواضعوا، بدلًا من ذلك؛ للأشخاص أصحاب التقاليد الدينية المختلفة.[1] إذ يرى الأستاذ أن كل البشر عبيد لله، بغض النظر عن خلفيتهم العرقية أو القومية أو الدينية. ويُحيل إلى قول الرسول ﷺ: *«لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى»*.[2] إذ يساوي الإسلام في قيمه بين كل البشر، ويُسمِّيهم عِباد الله الرحمن.

كذا يطالب الأستاذ گولن المسلمين بعدم اختزال الإسلام إلى أيديولوجيا، وهو الخطر الذي يؤدي لإقحامه في الحلبة السياسية؛ الفعل الذي يحول بين المسلمين والحوار مع أصحاب الأديان الأُخرى. وقال إن الأيديولوجيات تُفرِّق ولا تُوحِّد. وهو يرى أن الإسلام باعتباره دينًا يجب ألا يصير أداة للتحزُّب أو للتنابُذ القومي، أو لإثارة مشاعر العداء بين الناس.[3] ويضرب مثالًا على قناعاته تلك بتأسيس علاقات طيبة مع قادة الأقليات في تركيا. ففي أواخر الثمانينيات؛ بدأ حوارًا مع

---

(1) Saritoprak and Griffith (2005).

(٢) رواه أحمد (٢٢٩٧٨).

(3) Ibid., p. 337.

البطريرك الأرثوذكسي اليوناني «بارثولوميو»، في محاولة لتحسين صورة اليونانيين في تركيا، الذين طالما انتقدهم السّاسة.[1] كذلك عَمِلَ الأستاذ گولن، في وجه معارضة كثيفة؛ على إنشاء مدرسة ثانوية في «يريڤان Yerevan» عاصمة أرمينيا.[2]

هذه الأفعال تدل على إصرار الأستاذ گولن على حوار الحضارات وتقدُّم التعليم، جنبًا إلى جنب مع الحوار بين الأديان. وبعباراته: «إن أنشطتنا المستَمِرة تستهدف خير الإنسانية جمعاء. ويجب ألا تعتبر مقتصرة على بلدنا تركيا».[3] وعملًا بنصيحة الأستاذ گولن تلك؛ توسَّع رجال الأعمال والتربويون الأتراك في إنشاء المدارس والمستشفيات لأبعد مدى وصلوا إليه خارج حدود تركيا.

ويُكرِّر الأستاذ گولن بانتظام حقيقة أن حوار الأديان ليس رفاهيةً، بل إنه أمسى ضرورةً في عالم اليوم المفتوح. هو يدرك أن تعدُّدية العالم المعاصر سوف تستمر، وستمثل تحديًا أصعب فأصعب بتحول العالم إلى قرية صغيرة؛ وبعباراته:

> «وسوف تستمر العقائد والأعراق والعادات والتقاليد المختلفة في التجاور داخل هذه القرية الكونية. وكل فردٍ فيها يمثّل عالمًا فريدًا من نوعه، ومن ثم؛ فإن الرغبة في أن تصير الإنسانية كلها متماثلة هو ضرب من تمنّي المستحيل. ولهذا السبب؛ فإن سلام هذه القرية يكْمُن في احترام هذه الاختلافات، واعتبارها جُزءًا من طبيعتنا، والتأكد من أن الخلق يُقدِّرون تلك الاختلافات. وإلاَّ؛ فإنه ليس ثمة مهرب للعالم من التهامه نفسه في

---

(١) الحرب التركية اليونانية (١٩١٩-١٩٢٩م)؛ نشبت بسبب وعود الحلفاء الغربيين لليونانيين بالحصول على بعض أقاليم الإمبراطورية العثمانية. وقد اقتتل فيها الثوريون اليونانيون والأتراك، الذين سيؤسسون الجمهورية التركية لاحقًا؛ وانتهت بعودة اليونان إلى حدود ما قبل الحرب، وشروعها بتبادل السكان مع تركيا في ضوء معاهدة لوزان.

(٢) توترت العلاقات بين تركيا وجارتها أرمينيا منذ نهاية الحرب العالمية الأولى (١٩١٥م)؛ عندما وقعت معارك عنيفة بين البلدين. وذهب الأرمن إلى أن الأتراك نفّذوا «إبادة جماعية»، راح ضحيتها أكثر من مليون شخص، في حين تحتج تركيا أن ذات العدد من الأتراك قد قُتل في النزاعات التي أنهت الحرب، وأن قتلى الحرب من الجانبين نتيجة للمعارك على الجانبين.

(3) Fethullah Gülen (1993).

شبكة من الصراعات والنزاعات والمعارك والحروب الأكثر دموية، وبهذا يمهد الطريق لنهايته».[1]

ويُضيف، في نفس الرسالة؛ قائلًا:

«إن الإسلام والمسيحية واليهودية جميعًا قد ترعرعوا من نفس الجذر، وينطوون تقريبًا على نفس المبادئ، ويتغذون من نفس المعين. وبرغم أنهم تطوّروا باعتبارهم أديانًا منفصلة ومستقلة لقرون؛ فإن نقاط التقائهم ومسئوليتهم المشتركة في بناء عالم سعيد، لكل مخلوقات الله؛ تجعل حِوارالأديان بينهم ضروريًا. وقد اتسع نطاق هذا الحوار ليشمل الأديان الآسيوية وأديانًا أُخرى».[2]

ومنذ اعتزال الأستاذ گولن وظيفة الخطابة والتدريس؛ تركَّزَت معظم جهوده على إنشاء جسور الحوار بين الثقافات والأديان والمجموعات العرقية المختلفة في تركيا، وفي أنحاء العالم. وهو يفعل ذلك من خلال استقباله زيارات مُتقطِّعة من أشخاص أصحاب خلفيات متفاوتة، والذين يذهبون للقائه بمنزله في پنسلڤانيا؛ ومن خلال البث عبر شبكة الإنترنت، ومن خلال مقالاته الملهِمة والمنتظِمة التي تُنشر في صحيفة «زمان»، وعدة وسائل إخبارية أخرى. ومازال يُدعى، بكل احترامٍ ومودَّة؛ «خوجة أفندي Hocaefendi»، والتي تعني «المُعلِّم المُحترم»؛ من قبلِ مُستمعيه وقرائه.

- الإسلام لا يمكن أن يُروِّج للإرهاب أو يقبل به:

في الثاني عشر من سبتمبر، ٢٠٠١م؛ اشترى الأستاذ گولن صفحة كاملة في صحيفة «نيويورك تايمز»؛ ليعبر عن إدانته للهجمات الإرهابية التي وقعت في اليوم السابق، وليؤكّد على أن الإرهاب يتنافى مع تعاليم الرسول (ﷺ) ومع الدين

---

(1) Gülen (2004) pp. 249–250.

(2) Gülen (2004) p. 23.

الإسلامي. وفي ٢١ سبتمبر ٢٠٠١م؛ أعلن مرة أخرى موقفه في «واشنطن بوست»، بالعبارات التالية:

> «نُدين، بأشد العبارات؛ الهجمة الإرهابية الأخيرة على الولايات المتحدة الأمريكية، ونستشعر ألم الشعب الأمريكي في أعماق قلوبنا. إن الإسلام يَمقُتُ أعمال الإرهاب. فدين يُصرِّح بأنه: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾،[1] لا يمكن أن يتغاضى عن القتل العبثي للآلاف. خالص تعاطُفنا ودعواتنا للضحايا وأحبائهم».

وفي مقال لاحق؛ ذهب إلى أبعد من ذلك معلنًا بوضوح أن الإسلام لا يقبل أي شكل من أشكال الإرهاب، وأن العنف لا يمكن استخدامه لتحقيق أي هدف إسلامي. واستخدم عبارة كررها أتباعه من بعدها مرارًا في السنوات التي أعقبت ١١ سبتمبر؛ فقال: «لا يمكن أن يكون الإرهابي مسلمًا، ولا يمكن أن يكون المسلم الحقيقي إرهابيًا».

كذا ناشد الأستاذ گولن الولايات المتحدة الأمريكية بعدم الرد باستخدام قدرٍ من القوة قد يؤذي جماهيرَ أبرياء، في سبيل معاقبة حفنة من المذنبين. وحذَّر من أن مثل ذلك النوع من ردود الأفعال سوف يدعم الإرهابيين، بتغذية أي استياءٍ طويت عليه الصدور؛ مما يُفرِزُ مزيدًا من الإرهابيين ويُثمِر مزيدًا من العنف.[2]

كذا انتقد الأستاذ گولن القادة المسلمين، الذين يستخدمون الإسلام لدعم سُلطانهم وتحقيق مآربهم الشخصية. وقال إن بعض القادة الدينيين، و«المسلمين غير الناضجين»؛ يستخدمون التفسيرات الأصولية للإسلام، ليدفعوا بغيرهم إلى أتون نزاعاتٍ تخدِم أغراضهم الشخصية. إن شرعية الوسائل في الإسلام من شرعية

---

(١) سورة المائدة؛ آية ٣٢.

(2) Ibid., p. 262.

الغايات، وبالتالي؛ لا يمكن لإنسان الفوز بالجنة بقتل إنسانٍ آخر. وإن فردًا يعرف حقيقة الإسلام لن يشارك إراديًا أبدًا في الإرهاب.

وشدّد الأستاذ كولن على أن العديد من الشباب قد خسروا حياتهم الروحية، واستغل بعض القادة ذلك لتجنيد هؤلاء الشباب الساخطين في الأنشطة الإرهابية، واستغلالهم. واطرد لأبعد من ذلك؛ ليقول إن هؤلاء القادة «خدّروا» هؤلاء الشباب وتلاعبوا بأفكارهم واستغلوا إخلاصهم.[1] وأن السبيل الأساسي، في رأيه؛ لمواجهة تلك الأنشطة، هو توفير تعليم جيد يمثل بديلًا لتوظيف طاقات الشباب الكامنة.

ويُعَدّ التعليم، في إطار عمل الأستاذ كولن؛ أقوى ترياق وأكثرها مباشرة في مواجهة الإرهاب. ويؤكّد الأستاذ أن المبادئ الأساسية للدين مُنافية بالكلية للسلوكيات السياسية والأيديولوجية، ومناقضة للتفسيرات التي تؤسّس وتدفع للأعمال الإرهابية الوحشية. ويجب أن تُدرَّس هذه المبادئ الأساسية للمسلمين، وغيرهم كذلك؛ من خلال نظام التعليم. إن توفير تعليم جيّد للشباب سيؤهلهم لرؤية الإرهاب بوصفه عملًا مُدمِّرًا وغير أخلاقي ومعاديًا للإنسانية.[2]

- علاقة الدولة والدين:

في حين لا يؤيِّد الأستاذ كولن تأسيس نظام سياسي إسلامي، وينصح قُرَّاءه، باستمرار؛ بعدم الولوغ في السياسة، فإنه يؤمن بحزم أن الدين لا يجب قصره على المجال الخاص للفرد، بل يجب أن يصير جزءًا من الحياة العامة. وهو يؤيّد الفصل الكامل بين الدين والسياسة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة. ومن وجهة نظره؛ فإن سيطرة الدولة على الشئون الدينية تَضُرُّ بالإسلام، لذا؛ يجب تحرير الدين من سيطرة الدولة.

(1) Interview with Gülen, Saritoprak (2005) p. 466.

(2) Gülen (2005).

وتُعَد حركة گولن أول تجمُّع إسلامي، على الإطلاق؛ في تركيا يقبل بوضوح شرعية الدولة العلمانية، بينما يُطالِب بتحرير الدين في ظِلها.[1] وفي عام ١٩٩٨م؛ نظم وقف الصحفيين والكُتّاب، وهي مؤسّسة غير ربحية للحوار بين الثقافات مرتبطة بحركة گولن؛ لقاءً بأهم وأجَلّ علماء الكلام والفقهاء المسلمين في تركيا. وكان البيان الذي تمخّض عن هذا التجمع مؤشّرًا على قبول الدولة العلمانية، التي من شأنها «الوقوف على مسافة واحدة من كل المُعتقدات والفلسفات».[2]

ومما لاشك فيه؛ أن الأستاذ گولن يُكِنُّ مشاعر قوية لتراثه القومي وفخرًا واضحًا بأصله التركي. فهو يُشير باستمرار إلى جذوره التركية، وإلى التاريخ العثماني لتركيا، وإلى العالم التركي الأكبر. ومن ثم؛ شكل التراث العثماني الإسلامي مفهومه عن الهوية. ونظرًا لتأكيدهم على الخصائص القومية؛ طور أتباع الأستاذ گولن توجُّههم الخاص؛ وتمايزوا بأنفسهم عن المجموعات النورسية والإسلامية الأخرى، مؤكدين على الأيديولوجية القومية والسوق الحر، وأهمية التعليم. وصار الأستاذ گولن هو مهندس بناء إسلام «جديد» في تركيا، إسلام يتّسم بإذعانه لمنطق اقتصاد السوق، وتمسكه بالميراث العُثماني.[3] والأيديولوجية القومية للحركة كامنة، وليست مبنية على أساس العرق أو الدم؛ بل على التجارب التاريخية والحقائق السياسية المشتركة. لذا؛ فإن حركة گولن تحتج بأن الإسلام دينُ الشعب، ولا يجوز اختزاله في هوية حزب من الأحزاب. وبالنسبة للأستاذ گولن؛ فالإسلام ليس مشروعًا سياسيًا يُمكِنُ تنفيذُه، بل هو مُستودَعُ المعارِف والممارسات، التي تسمح بتطويرِ مجتمعٍ أخلاقي عادل.[4]

---

(1) Akyol (2008).

(2) Ibid.

(3) Yavuz (1999).

(4) Ibid.

ويتجنَّب الأستاذ گولن أي شكل من أشكال المواجهة مع الدولة. ذلك أن هدفه الأساسي ليس إعادة توجيه الدولة وفقًا للمبادئ الإسلامية، بل التأكُّد من عدم تدخُّلها في حرية ممارسة الدين، مع استفادتها من طاقة الإيمان في مكافحة الآفات الاجتماعية مثل المخدرات والعنف. ويصِّرح: «أنا في صف الدولة والجيش على الدوام. فبغير الدولة؛ ستسود الفوضى والغوغائية».[1] ويشجِّع جمهوره باستمرار على احترام الدولة، على ألا يتورطوا في السياسة الحزبية. ويُعد الأستاذ گولن من المدافعين عن الحكم الديمقراطي؛ مُحتجًا بأنه الشكل الأكثر ملائمة وفعالية، من أشكال الحكم؛ في عالمٍ تجري عولمته. يقول صراحة:

> «الإسلام والديمقراطية متوافِقان. إن ٩٥٪ من الأحكام الإسلامية تتناول الحياة الخاصة والأسرة. خمسة في المائة فقط تتناول شؤون الدولة، ويمكن تنظيمها في الإطار الديمقراطي. وإذا كان ثمة مَنْ يرى غير ذلك، كإقامة دولة إسلامية مثلًا؛ فإن تاريخ هذا البلد وأوضاعه الاجتماعية لا تسمح بذلك. إن التحول الديمقراطي عملية لا رجعة فيها في تركيا».[2]

وهو يمضي مؤكدًا على أن مستمعيه يحترمون الحكومة، ويعبِّرون عن معارضتهم، مثلما يحدُث في أكثر الدول الغربية والديمقراطية المُتقدمة؛ من خلال صناديق الاقتراع.

تطوّر حركة گولن

يتفق دارسو الحركات الاجتماعية على أن العناصر المكوِّنة لأية حركة يتعين مرورها بفترة «حضانة»، قبل ظهورها للمجال العام حركةً اجتماعية علنية.[3] وبسبب انتشار

(1) Gülen interview in *Sabah*, January 27, 1995.

(2) Ibid.

(3) Komecoglu (1997); Della Porta and Diani (1999); Melucci (1999).

خُطب الأستاذ گولن ورسائله المُسجّلة؛ أَلِف الجمهور أفكاره وإلهاماته بشكلٍ واضحٍ في تركيا، بحلول مطلع الثمانينيات؛ وانضمت أعداد متزايدة إلى حلقات المدارسة «Sohbets» التي تستلهم أفكار گولن، وإلى الحلقات المحلية التي يلتقي فيها الأفراد بانتظام ليتداولوا أفكاره، ويدشنوا بيوت الطلبة وفصول الدورات التحضيرية التي اقترحها، وليُموّلوا تلك المشروعات الخدمية وغيرها، ويؤسسوا شبكة من العلاقات المجتمعية غير الرسمية بين مواطنين متشابهي الميول والمنازع. وبدأت تلك الشبكات من الأفراد، شاملة رجال أعمال لديهم الموارد المالية اللازمة لدعم المشروعات الخدمية؛ تتشكّل ببطء في القرى والمدن التي ألقى فيها الأستاذ گولن خُطبه.

وبحلول عام ١٩٨٠م؛ كان رجال الأعمال والمُعلّمون، الذين ألهمهم الأستاذ گولن؛ قد استجابوا لمواجهة أزمة التعليم في تركيا، بإنشاء مؤسّسات مثل بيوت الطلبة، وعقد الدورات التحضيرية للقبول بالجامعة، وتأسيس اتحادات للمعلمين، ودور للنشر، ودورية. ومع منتصف الثمانينيات؛ توفّرت موارد كافية، تشمل شبكات غير رسمية من الأفراد المتحمسين والمساهمات المالية المعتبرة؛ لتسريع وتيرة عمل المشروعات الخدمية الموجودة بالفعل، وللبدء في بناء المستشفيات والمدارس في تركيا. وفي تلك المرحلة؛ صارت وسائل الإعلام واعية بالحركة، وأبرزت المقالات الصحفية عن الحركة، وعن أنشطتها المتعددة؛ هذا النشاط للرأي العام. وعند هذا الحد؛ أفسحت المرحلة «الخفية»، التي مرت بها أنشطة الشبكة؛ المجال لمرحلة أكثر ظهورًا ونموًا،[1] وبدأ الأعضاء في التوحُّد حول فكرة حركة اجتماعية. وبدأ الرأي العام أيضًا يُشير إلى «مدارس گولن» و«أتباع گولن». لكن الأستاذ گولن نفسه لم يُشِر أبدًا إلى الحركة باعتبارها حركة گولن أو تجمُّع گولن، ولم يقبل أبدًا تلك التسميات. بل فضّل، بدلًا منها؛ أن يُشار للحركة باسم حركة المتطوعين للخدمة أو

(1) Komecoglu (1997).

بالتركية «خدمت hizmet»، وتعني توفير خدمات للآخرين، أو حركة المتحدين من بني الإنسان حول القيم الإنسانية السامية.[1]

وبحلول منتصف عقد الثمانينيات؛ صارت مدارس گولن معروفة في أنحاء تركيا بأنها توفر تعليمًا جيدًا للنشء التركي، وأن تلاميذَ من تلك المدارس يجتازون اختبارات القبول للجامعات القومية بمعدلات أعلى بكثير من تلاميذ الكتلة السكانية الأكبر، حتى لو تلقّوا دورات تحضيرية أخرى. كذا؛ كان العديد من طُلّاب هذه المدارس يفوزون بجوائز المسابقات العلمية القومية والدولية. وبدأت مدارس گولن، والحركة التي تكمُن خلفها؛ تحقق انتشارًا علنيًا أوسع، واجتذبت المزيد والمزيد من المشاركين، الذين أدركوا قيمة الأفكار التي تُعبِّر عنها الحركة. وببلوغ المدارس هذا النجاح؛ بدأت النشاطات التي حفَّزَتها أفكار الأستاذ گولن، عن التعليم والخدمات غير المُسيَّسة؛ تتجمع فيما عُرف لاحقًا بحركة گولن.

وقد وفّر انهيار الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١م، وحصول الجمهوريات التركية في آسيا الوسطى على استقلالها؛ السياقَ لحركة گولن لتمسي عابرة للقومية. وفي خطبه، أواخر الثمانينيات؛ نصح الأستاذ گولن جمهوره بشكل مُتزايد بالإعداد لمساعدة تلك البلدان، المرتقب استقلالها، والتي يتحدَّر أغلبها من أصول تركية ويتكلمون اللغة التركية. وفي عام ١٩٩٢م، وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي بفترة وجيزة؛ أنشأ مجموعة من رجال الأعمال والمعلمين، المُلهَمين بأفكار گولن؛ أول مدرسة في أذربيجان. وفي نفس العام؛ افتُتِحت أول مدرسة لگولن في كازاخستان، وفي العامين اللاحقين افتُتِحت ٢٨ مدرسة أخرى في نفس البلد. وبين عامي ١٩٩٢ و١٩٩٤م؛ افتتح المنتمون للحركة مدارس في قيرغيزستان، التي يوجد بها اليوم ١٢ مدرسة ثانوية وجامعة واحدة. وفي نفس الوقت؛ دُشِّنَت عشرون مدرسة في تركمانستان.[2]

---

(1) Cetin (2010).

(2) Kalyoncu (2008).

وبينما كان بعض أبناء الحركة مشغولين بفتح مدارس في الجمهوريات التركية؛ كان البعض الآخر يفتتح مدارس مماثلة في دول أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي السابق غير المسلمة؛ مثل: بلغاريا، ورومانيا، ومولدوفا وأوكرانيا، وجورجيا. كذا أسس متطوّعون آخرون مدارس في دول المحيط الهادي الآسيوية؛ مثل: الفلبين، وكمبوديا، وأستراليا، وأندونيسيا، وتايلاند، وڤيتنام، وماليزيا، وكوريا الجنوبية، واليابان.[1] كان التطور المدهش في حركة گولن أنها لم تنشط فقط في دولٍ صاحبة ميراث إسلامي وتركي، ولكن في دول صاحبة تقاليد مسيحية وبوذية وهندوسية أيضًا. يرى بعض الباحثين أن أحد أسباب ذلك هو حقيقة أن الحركة بدأت في تركيا باستخدام خطاب إسلامي، لكنها بمرور الوقت بدأت تُعنى في خطابها بالعناصر العلمانية والهيومانية؛ مثل: التعليم الجيد، والقبول الوجداني للآخر؛ والقيم الأخلاقية العالمية. ويخلُص إلى أنه برغم أن الحركة ظلَّت إسلامية على المستوى الفردي، إلّا أنها بشكلٍ عامٍ تُعَد حركة اجتماعية علمانية.[2]

وخلال عقد الثمانينيات؛ بدأ أعضاء البرجوازية الأناضولية الجديدة، الذين ألهمتهم تعاليم الأستاذ گولن؛ يستثمرون في بناء مؤسسات التعليم في أنحاء تركيا. وفي التسعينيات؛ وفرت التنمية السياسية والاقتصادية في تركيا، في ظل سياسات أوزال فضلًا عن الأحداث السياسية العالمية؛ المزيد والمزيد من المسارات العالمية لتوسُّع الأعمال التجارية. وزاد سقوط الاتحاد السوڤييتي، وتخلخُل سيطرة الدولة التركية على المعلومات وتدفُّق رأس المال؛ من الهجرة التركية إلى أوروبا، كما ساهمت التطوّرات العالمية في تحوّل حركة گولن من تجمُّعٍ صغيرٍ في تركيا، إلى حركة ناشطة دوليًا،

---

(1) Ibid.

(2) Ibid.

ملاحظة عميقة وجديرة بالتأمل؛ فهي تفكك طبيعة «التغيير» الذي تنشُدُه الحركة، وما إن كان تغيرًا قيميًا حقيقيًا، أم مجرد تغيير إجرائي مادي يَستَمِدُّ بعض القوة من غطاء قيمي لا مبرر له، أو غطاء قيمي «يُريح» المنتمي ويطمئنه، بغير فعالية حقيقية. (المترجم)

ومدعومة من طبقةٍ متنامية من رواد الأعمال الأثرياء، الملتزمين بقيم حركة گولن.[1]

وبحلول التسعينيات؛ لم يعد ثمة شك في أن الملايين من المواطنين، الذين تجمعوا حول أفكار فتح الله گولن، جنبًا إلى جنب مع مئات المشروعات الخدمية التي يدعمونها؛ قد شكَّلوا حركة اجتماعية؛ تُمثل أكبر حركة قائمة على أساس ديني في تركيا.[2] المُدهش، برغم ذلك؛ هو حقيقة أن الحركة، المُتجذِّرة في الهوية الإسلامية التركية؛ كانت وما تزال نشطة في العديد من الدول غير المسلمة، تمامًا بقدر نشاطها في الدول المسلمة. وربما يكمُن التفسير في حقيقة أن البنية التحتية للحركة، القيادة التنظيمية والمتطوِّعين والمتبرِّعين والإلهام الكامن في الحركة؛ قد انتقلت مع الأتراك إلى بُلدانٍ شتاتهم في جميع أنحاء العالم، حيث استقرّوا طُلابًا ومهنيين ورجال أعمال. لقد هاجر بعضُهُم بقصد تأسيس مؤسساتٍ مستلهمةٍ من تعاليم گولن في دول أخرى، وهاجر البعض الآخر لأغراض التعليم أو التجارة، واستمروا جميعًا بالمشاركة في الحركة ومشروعاتها الخدمية بمجرد استقرارهم في بلدٍ جديد. وباستقرار الأتباع والمنتمين للحركة في أنحاء مختلفة من العالم، وتأسيس مشروعاتٍ مرتبطة بگولن حيثما كانوا؛ صار غير الأتراك يتعرَّفون على الحركة، ويشاركونها أنشطتها بشتى الطرق. والنتيجة أن حركة گولن صارت الآن حركة عالمية المجال والتأثير.

نظرة عامة مُختصرة على حركة گولن

حركة گولن هي مُبادرة مدنية. حركة مجتمع مدني وليست تنظيمًا مدعومًا من دولة، أو حكومة. لم تنشأ ثمرةً لتوجه حكومي أو لأيديولوجية دولة.[3] بدأت حركةً

---

(1) Kuru (2005).

(2) Fuller (2008).

(٣) يفتقر هذا التوصيف للدقة. فنفي صلتها بالدولة تنظيمًا وتمويلًا لا يعني بالضرورة نفي كونها محض تعبير عن الدولة التركية وأيديولوجيتها؛ خصوصًا «دولة أوزال»، التي ازدهرت الحركة في عهدها ازدهارًا غير مسبوق. (المترجم)

قوامها الإيمان؛ حركة ثقافية، وتعليمية، وغير سياسية؛ مُكرَّسة لتوفير فرص لشباب الجيل الجديد في تركيا. حركة تتمركَز حول تغيير الفرد وتعليمه، كما تُعنى بالوعي والتطور الفكري والروحي للفرد؛ سعيًا لتشكيل وجدان من شأنه تمكين الفرد من التأثير في عملية تغيير المجتمع. وتشدِّد الحركة على الدور الذي يمكن أن تقوم به التكنولوجيا والشبكات العالمية الجديدة في تشكيل الوعي المسلم. لذلك؛ فإن حركة گولن تتمايز بنفسها عن المجموعات الإسلامية الأخرى؛ بتأكيدها على شكل غير حصري للقومية التركية، وعلى السوق الحر، والانفتاح على العولمة، والتقدُّمية في دمج التقاليد بالحداثة، ورؤيتها الهيومانية.

وبوصفه فردًا يضرب بجذوره في كلا التقليدين: الإسلامي-العثماني، وفي الجوانب الإيجابية من الحداثة، على حد سواء؛ فإن الأستاذ گولن حداثي مُتدين، ومُبتدع على المستوى الاجتماعي. ويسعى جمهوره لترويج فكرة أن الإسلام ليس مُناقضًا للتحديث، بل يمكن استخدام التعليم والعلوم الطبيعية والتكنولوجيا، جنبًا إلى جنب مع الإسلام؛ للترويج لمجتمع أكثر أخلاقية وعدالة. ونتيجة لذلك؛ فإن الحركة أكثر حداثةً وتأثيرًا من أية حركة إسلامية أخرى في تركيا اليوم.[1]

تضرب حركة گولن مثالًا للعالم الإسلامي؛ ليس بأنشطتها فحسب، بل وبكيفية توليدها الدعم المالي لتمويل تلك الأنشطة. وقد عزَّز استخدام المُثل الإسلامية الأساسية، ونماذج من حيوات الصحابة، جنبًا إلى جنب مع القيم التركية التقليدية للعطاء وحسن الضيافة؛ عزز كل ذلك مكانة حركة گولن وتأثيرها في العالم الإسلامي. وبرغم أن الحركة بدأت في تركيا، لكنّها نمت، في فترة جد قصيرة؛ وتمددت إلى أجزاء أخرى من العالم وبين شُعوبٍ غير تركية. ليس بالمشروعات التعليمية فحسب، بل بأنشطة الحوار بين الأديان كذلك.

---

(1) Fuller (2008).

لم تَغُض الحركة الطرف أبدًا عن التبشير المؤدي للردة أو الإكراه أو الإرهاب أو العنف لتغيير المعتقدات، بل تُشَدِّدُ على تغيير عقلية الأفراد من خلال العلوم الطبيعية والتعليم والحوار والديمقراطية. وتشجع التفهم والاحترام المتبادلين، كما تشجع الالتزام الطوعي للأفراد لأجل تعليم مناسب، فضلًا عن الخدمات والمساهمات الصادرة عن روح الإيثار.[1]

لقد طورت الشبكات غير الرسمية من الأشخاص المستَلهمين لأفكار گولن، جنبًا إلى جنب مع المشروعات الخدمية التي يدعمونها؛ شعورًا لدى هؤلاء بأنهم أصحاب هَمٍّ مشترك. وثمة تضامنٌ غير مُعلَن بين هؤلاء الأشخاص، فضلًا عن حالة من الفخار داخل المؤسسات المرتبطة بحركة گولن. والنتيجة هي الاعتراف العلني والمتبادَل بهوية حركة گولن. وليس للحركة طقوس احتفالية، أو رموز، أو شعارات، أو زي موحَّد يُميّزها. بل يتخذ الانتماء إلى الحركة شكل الحلقات القائمة على الصداقة، التي تُشجِّع الاضطلاع بدور نشطٍ في العمل الجماعي. وعلى عكس العلاقات القائمة على الروابط العائلية أو القبلية؛ فإن العلاقات داخل الحركة تعتمد على المشاركة الفعالة والطوعية لأفراد مُستقلين نسبيًا. وتُسهِّل شبكات الصداقة تلك وتزيد من استعداد الأفراد للمشاركة في المشروعات الخدمية من خلال علاقتهم بأشخاص متشابهي التفكير ومتماثلي النيّة. والنتيجة هي عدد هائل من الشبكات الفضفاضة لأشخاصٍ ألهمتهم قيم الأستاذ گولن، وحفَّزتهم لدعم المشروعات الخدمية الهائلة والمتنوعة، بأي سبيل يستطيعون؛ في تركيا وحول العالم.

وتعمل شبكات الخدمات بشكلٍ مستقلٍ، وليس من خلال تنظيمٍ مركزيٍ؛ لكنهم يحافظون على الارتباط بمنتسبي الحركة الآخرين، من خلال تبادل المعلومات والأشخاص المحترفين مهنيًا. ويؤدي تداول المعلومات والخبرات والمشروعات من خلال الشبكات إلى تحقيق قدرٍ من الهوية الجامعة للحركة. ومثلها مثل الشبكات،

---

(1) Komecoglu (1997); Yilmaz (2005); Weller (2005).

وعلى عكس التنظيمات الرسمية؛ تجذب حركة گولن مؤيدين وأنصارًا. إذ لا يلزمها عضوية، أو تسجيل لأعضائها؛ وهو ما يفسر استحالة حساب حجم حركة گولن.

وتتمثل الحركة في مجموعة شبكات تتركز حول أربعة أنشطة رئيسية؛ هي: المؤسسات الاقتصادية، والمعاهد التعليمية، والنشر والإعلام، والتجمعات الدينية. ويتغيّر الأفراد العاملون في تلك المشروعات بعينها، ويحلّ أحدهم محلّ الآخر؛ لكن المشروعات الخدمية تستمر. لذلك؛ فإن روح الاستمرارية في حركة گولن تكمُن في الحفاظ على المشروعات الخدمية، وحسن أدائها لمهامها. وتعزز المشاركة في المشروعات الخدمية، لتحقيق هدفٍ محدد؛ والنتائج الملموسة لتلك المشروعات، تُعززان التماسك والتضامن والثقة الاجتماعيين.

الفصل الرابع

التنظيم الاجتماعي في الحركة؛ شبكة من الدوائر المحلية

يعتمد نجاح المشروعات المستلهمة من فكر گولن على عدد كبير من الدوائر المحلية، من رجال الأعمال والمهنيين والعُمّال؛ في المدن والمناطق الحضرية والريفية التركية. ظهر نموذج الدوائر المحلية في الـ«جماعت Cemaat»، وهي دائرة اجتماعية بديلة تطورت في تركيا بعد تشكيل الجمهورية، وتجريم الطُرق الصوفية، وإزالة المدارس الدينية التقليدية. إذ تشكلت حلقات حول العلماء والمثقفين أصحاب المناهج المختلفة، حلقات عُنيت بالتركيز على الدراسات القُرآنية، أو التوليف بين الإخلاص الديني وصورة مستأنسة من القومية، أو الممارسات الروحية الفردية. ولاحقًا؛ سُمّيت تلك المجموعات من القُرّاء والمستمعين، التي التفّت حول شخصيات رائدة؛ بالـ«جماعات Cemaats»، وهي حركة تشكّلت من قاعدة عريضة من الأتراك المتدينين الملتزمين، الذين لا يريدون التخلي عن تقاليدهم الإيمانية في غمرة إقبالهم على عصر الحداثة. وداخل تلك الجماعات أُنشِئ ما يُسمى بالـ«صُحبَت Sohbet»؛ وهي مجموعات صغيرة ليس لها عضوية رسمية، ولا شعائر انضمام، ولا تتطلب مبنىً معينًا لالتقاء المجموعة، ولا تملك شارات علنية، أو تعريفات للعضوية. بل تتكون من أشخاص يلتقون بانتظام لقراءة تفسير القرآن، والسنة النبوية، ومؤلفات علماء المسلمين، ولتبادل الأفكار، والتعرُّف إلى

احتياجات الأشخاص في المجموعة، وتحديد المشروعات الخدمية التي اختارت المجموعة دعمها ماليًا.

من بين علماء العصر، الذين يجدُر ذِكرُهم إذ اجتذبوا انتباه عدد كبير من المواطنين؛ كان سعيد النورسي، الذي روَّج لرؤية متناغمة بين العلم والعقل من جانب، وبين الوحي والإيمان من جانب آخر. ورغم أن النورسي كان مُتأثرًا بقوة بالتقليد الروحي للإسلام، إلاّ أن تركيزه انصبّ على تثقيف المؤمنين في مواجهة الهجمة الشرسة للأيديولوجية المادية ومذهبها الفلسفي. وكما أسلفنا في الفصل السابق؛ فقد كان الأستاذ گولن إبان بواكير نضجه عضوًا فعّالًا في «جماعت Cemaat»، تحلَّقت حول تعاليم النورسي؛ وخبر رابطتها وفعالية هذا الشكل من أشكال التنظيم.

ومع انتشار أفكار الأستاذ گولن في تركيا أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات، نتيجةً لخطبه وكتاباته؛ شجَّع نموذج الـ«صحبت sohbet» كملتقى للذين ألهمتهم أفكاره، ليجتمعوا ويناقشوا جدوى تلك الأفكار للمجتمع التركي المعاصر. كانت الحلقات المحلية مألوفة للأتراك، إذ ينتمي الكثيرون منهم إلى مثلها بالفعل، بحسب وظائفهم وأماكن سكناهم واهتماماتهم الخاصة. كان من الطبيعي لتلك الحلقات إذن أن تُركِّز على الأفكار التي يدعو إليها الأستاذ، الذي احتشدت له جموع كبيرة، وبث أملًا جديدًا في مستقبل تركيا وشبابها على وجه الخصوص.

ومصدر المعلومات في هذا الفصل هو حوارات أجريت مع المشاركين في الحركة، الذين يمثلون قسمًا من الدوائر المحلية. وفي ربيع عام ٢٠٠٧م؛ حاور «دوغان كوك Doğan Kök» دائرة محلية تتكوّن من اثني عشر رجل أعمال في أنقرة، وكذا حاور رجل أعمال من إسطنبول، يعمل في مجال الغزل والنسيج ويُسهِم إسهامًا جوهريًا كل عام في مشروعاتٍ مرتبطةٍ بگولن. كما حاور أيضًا مجموعة من المؤيدين في هيوستن، تكساس؛ معظمهم من طلبة الدراسات العليا.[1] وفي ربيع عام ٢٠٠٨م؛ أجريتُ

---

(١) المعلومات التي أتاحتها تلك الحوارات؛ تم توصيفها في:

- Ebaugh and Koc (2007).

حواراتٍ مع تِسع مجموعاتٍ مُستهدفة من دوائر محلية لمؤيدي گولن في تركيا. وفي إسطنبول حاورت مجموعة واحدة تتكون من ثمانية رجال أعمال أثرياء، ودائرة محلية أخرى تتكون من ستة عشر شابًا من المهنيين، معظمهم مهندسون؛ ومجموعة من أربعة أطباء وإداري واحد، في مستشفى «سما Sema»؛ ودائرة محلية تتكون من اثني عشر عاملًا من ذوي الياقات الزرقاء، وأخيرًا مجموعة من النساء ينتمين لإحدى الدوائر المحلية. أضف إلى ذلك لقائي في بورصة بمجموعة من ثلاثة رجال أعمال من المتبرعين الرئيسيين لمدارس گولن، ومجموعة من ثمانية أطباء، في مستشفى «بَهار Ba-har»؛ ودائرة من ثلاثة عشر عاملًا من ذوي الياقات الزرقاء، الذين يلتقون في دوائر محلية حول بورصة. وأخيرًا؛ حاورت في مودينا، وهي مدينة صغيرة في ضواحي بورصة؛ مجموعة من عشرة رجال ينتمون لخلفيات مهنية متنوعة، تتضمَّن موظَّف مبيعات ومعلمًا بمدرسة ابتدائية وموظفًا حكوميًا متقاعدًا ومالك مطعم معروفٍ.

بالإضافة إلى تلك المجموعات المركزية؛ أُجريت أيضًا حوارات فردية مع خمسة أشخاص ينتمون إلى دوائر محلية، ويسهمون إسهامات مالية مُعتبرة في مشروعات گولن داخل تركيا وخارجها. شَمِلَت هذه العينة حوارات مع صحفيّين، ورائد أعمال ثري في قطاع الأغذية، يملك شركة كبيرة في تركيا؛ ومالك شركة غزل ونسيج كبرى، ومدير إحدى مدارس گولن.

وتمثِّل المجموعات المركزية والحوارات الفردية عينة من المشاركين في الحركة؛ من حيث: الطبقة الاجتماعية، والمهنة، وحجم المدن التي يسكنونها، والنوع، والعمر، والمدى الزمني لمشاركتهم في أنشطة الحركة. ونتيجة لذلك؛ فالبيانات تعكس التنوع الذي تحفَل به الدوائر المحلية، فضلًا عن الذي يعبر عنه الأفراد، الذين يمثلون جزءًا من تلك الدوائر المحلية. وقد تم تأطير التحليل في هذا الفصل سوسيولوجيًا داخل نظريات الالتزام التنظيمي، التي عرَّفنا بها في الفصل الأول؛ وعرضنا بيانات تظهر أن مساهمات أعضاء الحركة، والتي تشمل الداعمين الأكثر ثراءً؛ تكشف التزامًا بقيم الحركة وتولِّد التزامًا تجاه الحركة في ذات الوقت.

هيكل الدوائر المحلية

نُظِّمت الدوائر المحلية عادة بإحدى طريقتين: **الأولى** تبعًا للموقع ومكان السُكنى، والثانية حسب نوع التعليم والوظائف. فمثلًا؛ يلتقي الأطباء في المنطقة الواحدة معًا، وكذا أطباء الأسنان، والمحامون، والمحاسبون، والمدرسون، وعُمّال المصانع... إلخ. وحتى إذا كان المشاركون في الحركة ينتمون كذلك لمنظماتٍ مهنيةٍ أكبر، مرتبطة بالحركة وتعقد تجَمُّعات دورية؛ فإنهم يلتقون كل أسبوع مرة أو مرتين في مجموعات صغيرة قوامها ١٠-١٢ شخصًا. ويمتد حديث الأعضاء، في تلك التجمعات الصغيرة؛ إلى أمورٍ متنوعةٍ تشمل الدين والعمل المهني والعائلة، وأي شأن من شؤون الحياة يطرحه الأعضاء. وأحيانًا تقرأ المجموعة وردًا من القرآن أو السنة النبوية، وفي مناسبات أخرى قد تستضيف المجموعة مُتحدثًا خارجيًا. وبشكل أكثر دورية يلتقي بعض أعضاء مجموعة ما ببساطة لمناقشة أمور حياتهم، أو أي أمر يستشعرون أهميته خلال الأسبوع الذي يجتمعون فيه.[1] وكما ذكر أحد الأعضاء: «الأهم هو أن نجتمع ونتناقش سويًا، وأنا أتفرّغ تمامًا مساء الجمعة من كل أسبوع، وأطلب من أصدقائي ألا يتصلوا بي أو يخططوا لشيء. إن لقاء دائرتي المحلية هو الحدث الأكثر أهمية عندي خلال الأسبوع».

وتلتقي مجموعة العمال في بورصة، في دائرة محلية تتكوّن من ٢٠-٢٥ شخصًا؛ مرةً في كل أسبوع مع المنضمين الجدد للحركة، ومرة أُخرى مع من أمضوا فترة أطول في الحركة. وكما قال أحد العمّال: «ثمة قيم أضاعتها ثقافاتنا، لذلك نعمَد لما يُحفِّزنا؛ مثل كتب أو تسجيلات گولن، أو أعمال النورسي، أو شيء من السنة النبوية»، ولأنهم ليسوا أثرياء مثل رجال الأعمال؛ لا يستطيعون تمويل مدرسة بأكملها أو عشر منح دراسية، مثلما يفعل بعض رجال الأعمال؛ لكن ربما يستطيع ثلاثة منهم تمويل منحة دراسية واحدة. بالإضافة إلى ذلك؛ أنشأت مجموعة بورصة «Kor-Der»، وهي جمعية تُنظِّم أنشطة في مائة وعشرين بلدة حول بورصة، وذلك لنشر رسالة الخدمة

---

(١) وهو ما يشبه نظام «الأسرة» عند الإخوان المسلمين. (المترجم)

التي تتبناها الحركة، وجمع التبرعات، وتحديد احتياجات القُرى المحلية. وهكذا؛ فإذا كانت مجموعة العمال لا تستطيع دعم الحركة بتبرعاتٍ نقديةٍ كبيرةٍ، إلا أنهم يتبرعون بساعات عديدة لحث الآخرين على دعم المشروعات الخدمية.

ويصف أحد رجال الأعمال نشاطهم قائلًا: «إن عملنا في نفس المجال يعني أن ثمة أساسًا قويًا يجمعنا وييسر لنا فهم بعضنا البعض. كما أننا نتواصل شبكيًا في أمور التجارة، ونتبادل العملاء فيما بيننا. مما يسمح بوجود أساس مناسب لمناقشة المشروعات التي يحتاجها مجتمعنا، وتحديد كيفية دعمنا لتلك المشروعات. كذا؛ فنحن نشهد ثمار جهودنا بأنفسنا، وهو ما يُشجعنا لنكون أكثر سخاءً».

وفي الحقيقة؛ فإن مساعدة أحدهم للآخر، لتحقيق النجاح في أعمالهم؛ هي فكرة قد روَّج لها الأستاذ گولن. ففي عام ٢٠٠٧م؛ قامت «توسكون Tuskon»، وهي جمعية رجال أعمال مرتبطة بگولن وتضم أكثر من ١٥٠٠ عضوٍ؛ برعاية مؤتمر في إسطنبول لألفٍ من أصحاب الأعمال من دول نامية في أفريقيا وآسيا الوسطى، حيثُ دُرِّبوا على كيفية تنمية أعمالهم. وتُعدّ مساعدة رجال الأعمال بعضهم البعض، في صناعة معينة، والتواصل بينهم؛ من الأسباب التي جعلت تجمُّع گولن يُعرَف في تركيا بوصفه واحدًا من أغنى التجمُّعات في البلاد.[1]

كذلك يُيسر التنظيم على أساس المجموعات الموجودة بشكل طبيعي، مثل المجموعات المهنية أو الوظيفية؛ تجنيد أتباع جدد. وتُعدّ المجموعات، التي تتشارك هوّيات مميزة وقوية وشبكات كثيفة بين الأفراد؛ هي أفضل المجموعات تنظيمًا ومن ثمَّ أيسرها تعبئة. ويمثّل «التجنيد الجماعي» لمجموعاتٍ عاملةٍ ومتضامنةٍ سلفًا أكثر أشكال التجنيد كفاءة.[2] ويُعدّ تركيز الحركات على المجموعات القائمة سلفًا والمجموعات «الطبيعية»، والتي يمكن ربط رؤيتها للتغيير بثقافة المجموعة

(1) Baskan (2004).

(2) Tilly (1978); Oberschall (1973); Snow, Zurcher and Eckland-Olson (1980); McCarthy and Wolfson (1996); Melucci (1999).

الموجودة سلفًا؛ أكثر فعالية من محاولة تجنيد الأفراد المنفصلين. إذ يتطلَّب تجنيد الفرد استثمار موارد أضخم، وهو أبطأ كثيرًا من التجنيد الجماعي.

وتفصِل كل الدوائر المحلية التي زرتُها بين الجنسين. وعندما استفسرت عن الأعضاء من النساء؛ قيل لي إن الدوائر مفتوحة لهُن، ولكنهن يفضلن اللقاء ببعضهن البعض بصورةٍ منفصلة، ويشعرن براحة أكبر في وجود نساء مثلُهن. وفي حالة المهندسين، على سبيل المثال؛ فإن ١٠٪ من المهندسات يلتقين في دوائر مُختلطة. وثمة دوائر محلية موازية للمهندسات؛ حيث تلتقي نسبة الـ٩٠٪ الباقية. وينطبق الشيء نفسه على الطبيبات، والممرضات، وطبيبات الأسنان، والمحاسبات، والعاملات ذوات الياقات الزرقاء... إلخ. إن أحد أسباب الفصل، كما قيل لي؛ لوجيستي. إذ تُفَضِّلُ النساء اللقاء مبكرًا قبل عودة أطفالِهِنَّ من المدارس؛ إذ يحتاجون لعنايتهن. وكذا؛ لأسباب أمنية لا تُفضِّل النساء الخروج بعد حلول الظلام، وهو الوقت الذي يلتقي فيه كثير من رجال الدوائر.

وقد أطلَّتْ مسألة دور المرأة، في حركة گولن برأسها مرارًا خلال حواراتي، ويذهب منتقدو الحركة، في كل من تركيا وهيوستن؛ إلى أن المرأة في الحركة يُنظر إليها وتُعامل معاملة مُتدنية، ويتوقَّع منهن الاضطلاع بالأدوار التقليدية من تنشئة الأطفال والعناية بالمنزل، ويُشجعنَ على ارتداء الحجاب، ويُنهينَ عن الاختلاط الاجتماعي بالرجال، ويُحجبن عن أدوار القيادة العامة.[1] ومن خلال حواراتي مع النساء، في تركيا والولايات المتحدة؛ اكتشفت مجموعة كبيرة من الاختلافات بين النساء في كل من أحكامهن على كيفية معاملتِهِنّ داخل الحركة، وملاحظتهن للأدوار التي اضطلعت بها النساء في أنشطة الحركة. وعلى سبيل المثال؛ ففي سان أنطونيو، تكساس؛ كانت امرأة محجبة هي المتحدث الرسمي والقائم على تنظيم حفل الإفطار الرمضاني السنوي، والذي حضره مئات الأشخاص من الجماعة. لكن الحال اختلف في هيوستن، تكساس؛ حيث يشرف رجل على الفعالية بشكلٍ

(١) لتفاصيل الحوارات التي أجريتُها مع منتقدي حركة گولن؛ راجع الملحق.

دائم، ويضطلع بدور رئيس المجموعة المحلية. وتقدِّرُ العديدات، ممن أجريت معهن حوارات في تركيا؛ حقيقة السماح لهن بالتدريس في مدارس حركة گولن والعمل في مستشفياتها، برغم ارتدائهن للحجاب؛ وهو الأمر المحظور في المؤسسات العامة التركية. ويجد أكثر هؤلاء النساء معاني التمكين في قدرتهن على اختيار ما يرتدين بأنفسهن، فضلًا عن توفر مساحاتٍ لهن لاختبار قدراتهن والتعبير عن فرادتهن في مؤسسات گولن.(١)

وقد التقيت دائرة محلية نسائية في الجزء الآسيوي في إسطنبول. تكونت المجموعة من خليط من النساء من مختلف الخلفيات المهنية، وشملت مُعلِّمة سابقة وأخرى حالية في إحدى مدارس گولن، ومحامية، ومحاسبة، وسكرتيرة، ومندوب مبيعات، وربة منزل. وعندما سألتُ عن شعورهن تِجاه إقصائهن من دوائر الرجال؛ صوَّبن لي رؤيتي قائلات: «لم يتم إقصاؤنا. نحن لا نريد اللقاء مع الرجال، ونشعر بارتياح أكبر حين نلتقي ببعضنا البعض. حينها يتسنى لنا الحديث عن اهتماماتنا وانشغالاتنا المختلفة عن اهتمامات الرجال».

وعلمتُ أن دوائر النساء تعمل بنفس طريقة دوائر الرجال؛ فالمجموعات تلتقي أسبوعيًا لقراءة القرآن والسُنَّة النبوية وكتابات الأستاذ گولن، وكُتب أخرى مُلهِمة. ثم تناقش النساء موضوع قراءاتهن ومدى علاقته بحياتهن. ويُناقِشن أيضًا أمورَ عائلاتهنّ والمشكلات التي قد يُواجِهنها في المنزل، خاصة مع أطفالهن؛ فضلًا عن المشروعات الخدمية التي تحتاج إلى عونهن. والنسوة اللاتي يعملن خارج المنزل يُقدِّمن مُساهمات مالية لمشروعات گولن. كما يشاركن في صناعة المشغولات اليدوية بالقماش (مثل: التطريز والكروشيه والأعمال الفنية... إلخ)، التي يَبِعْنَها بعد ذلك، ويخصص عائدها للمشروعات التي تحتاج عونًا.

(١) أُهمِلَت دراسة دور المرأة في حركة گولن من قِبل الأكاديميين خارج التنظيم، خصوصًا الدارسين أصحاب الباع في الثقافة التركية؛ الذين يمكنهم بلورة رؤية منهجية وغير أيديولوجية بهذا الشأن.

إن دعم بعض المشروعات المعوزة جزء أساسي من نشاط أي دائرة محلية تنتمي للحركة، سواء في تركيا أو في أية دولة أخرى. وعندما سَألتُ عن كيفية تعرُّف المجموعة على الاحتياجات داخل الحركة؛ قيل لي مرارًا إن جماعة گولن مترابطة، والجميع يعرفون أي المشروعات تحتاج إلى دعم. فالبعض على تواصل بالمشروعات التعليمية، ويدعمونها منذ سنوات؛ ويعرفون ما الذي يجري في مجال التعليم. وآخرون لهم علاقة بالمستشفيات، ويعرفون احتياجاتها. والبعض يسافر خارج تركيا، ومن ثم كانوا على دراية بالاحتياجات في الدول الأخرى. وتنتشر أخبار المشروعات التي تكون في أمس الحاجة إلى الدعم في وقت معين، ويجتمع الأفراد في الدوائر المحلية لمناقشة ما يمكنهم فعله حيالها.

وبالإضافة إلى التبرُّعات المالية طوال العام؛ يحتفل المسلمون مرتين في العام بأعياد خاصة تستدعي معنى كفالة المحتاجين. فخلال شهر رمضان، عندما يكون كلُّ مسلمٍ ملتزمٍ صائمًا من شروق الشمس حتى غروبها، ويبذل جهده ليستقيم في حياة فاضلة منضبطة؛ يتطلب ذلك أيضًا تقاسُم الإنسان عيشه مع المحتاجين. فالمسلمون حول العالم، بلا استثناء تقريبًا؛ أسخياء بمساهماتهم الخيرية في رمضان بشكلٍ خاص.

الاحتفال الثاني هو عيد الأضحى، وهو يوم التضحية؛ الذي يحين وقته بعد موسم الحج السنوي إلى مكة، الذي فُرض مرة واحدة في العمر على كل المسلمين القادرين جسمانيًا وماديًا. وفي يوم الأضحى يُضحّي المسلمون بالحيوانات التي أحلَّت لهم، وصلحت للأضحية؛ وذلك في ذكرى تضحية إبراهيم (عليه السلام) لله (عز وجل). وهم لا يأكلون اللحم بأنفسهم فحسب؛ بل يوزّعونه بين أقاربهم وجيرانهم وأصدقائهم، وأخيرًا يمنحون الثلث للفقراء والجوعى. والهدف من ذلك، في كثير من المجتمعات المسلمة؛ هو التكاتُف لضمان عدم وجود جار مُفقَر لم يصله طعام الأضحية في ذلك اليوم.

وفي وقت عيد الأضحى، قبل شهور عديدة من لقاءاتي؛ سافَرَتْ مجموعة من رجال الأعمال من بورصة إلى دارفور، في السودان؛ حيث ابتاعوا ثلاثة ثيران وذبحوها هناك، وأطعموا الفقراء. وكذا التقوا هناك برجال أعمال آخرين، وأقنعوهم بالمساهمة في بناء مدرسة في إحدى مدن دارفور، ليضمنوا حصول النشء هناك على التعليم.

جمع التبرعات للمشروعات التي استلهمت فكر گولن

أحد المحاور الأساسية، إن لم يكن المحور الأساسي؛ لرؤية گولن لتركيا وللنوع الإنساني، هو أهمية التعليم الجيد لتنمية الشخصية الإنسانية، للولوج بتركيا إلى العصر الحديث للقرن الحادي والعشرين. ولتحقيق هذا الهدف؛ دعا الأستاذ لفتح المدارس في تركيا أولًا، ثمّ في جميع أنحاء العالم. ويتطلّب تحقيق ذلك التزام جميع المنتمين للحركة، بما فيهم الإداريون والمعلمون والمدرّبون والطلاّب، والدعم المالي من كل أحد، كل حسب استطاعته؛ رجلًا كان أو امرأةً. ونتيجة لذلك؛ فكل دائرة ممن قابلتُهُم تُكثِّف جهدها على وسائل يستطيع بها أعضاؤها دعم بعض المشروعات التعليمية، بما فيها بيوت الطلبة، والدورات التحضيرية، وبناء المدارس، وتوفير المنح الدراسية للطلاّب المعوزين للالتحاق بتلك المدارس.

ولكل مدرسة نظامها المحاسبي المُستقل، ومحاسِبوها الذين يشرفون على الميزانية ويمسكون الدفاتر المالية؛ وهم جميعًا مسئولون أمام السلطة المحلية وسلطة الدولة، فضلًا عن مسئوليتهم أمام مُمولي الوقف. إذ يطلع الداعمون على سير المشروعات في أي وقت من الأوقات، وذلك لأنهم مسئولون شخصيًا عن كثير من تلك المشروعات؛ سواء كانوا مقاولي بناء، أو محاسبين، أو موظفين في مجلس الإدارة، أو معلمين، أو مديري مدارس... إلخ. ومن ثم؛ فمن السهل عليهم مراقبة كيفية توظيف التبرعات، وبالتالي تحقيق الشفافية في الأمور المالية. هذا بالإضافة إلى ما أوضحه أحد رجال الأعمال؛ قائلًا:

«أولًا، وقبل كل شيء؛ يتعين عليك إدراك أن المنتمين لحركة گولن قد حازوا ثقة الناس في جميع مناحي الحياة. إن الأشخاص الذين يدعمون أنشطة هذه الحركة لا يقلقهم وصول تبرعاتهم لوجهتها من عدمه؛ فهم لا يتتبَّعونها. ولكن إذا أردنا المتابعة؛ فكل المعلومات متاحة عن أي نشاط، ونستطيع التأكُّد من صحّتها عبر مراجعتها».

وبالمثل؛ علَّق أحد رجال الأعمال المحليين، في هيوستن؛ ممن يموِّلون مشروعات مرتبطة بگولن؛ قائلًا: «حتى إن لم أعرف تفاصيل أنشطتهم؛ فأنا أعرف هؤلاء الناس جيدًا وأثق بهم. لذلك أمنحهم التبرعات وأنا على ثقة أنه سيَحسن استخدامها».

وعلى سبيل المثال؛ ففي «ماردين»، وهي مدينة جنوب شرقي تركيا؛ أدرَكَت دائرة من رجال أعمال محليين، التقت طوال ثلاث سنوات (١٩٨٨-١٩٩١م)؛ أن الدولة لا تستطيع توفير التعليم الضروري للطلاب، ليس في مدينتهم فحسب، بل في أنحاء جنوب شرقي تركيا؛ وذلك ليتنافَس الطلاب في اختبارات القبول بالجامعة. ومعظم رجال الأعمال قد استمعوا لخطب الأستاذ گولن العامة، التي شدَّد فيها على أهمية التعليم، ودعا لبناء مدارس حديثة. وقد ألهم رجال الأعمال هؤلاء نجاحُ مدارس گولن، في إزمير وإسطنبول وغازي عنتاب؛ في تمايزها عن نظيراتها بتطبيقها نظام التعليم القائم على البحث، وبتحقيقها نجاحًا لا سابقة له في مسابقات العلوم الدولية. وخلال زياراتهم لتلك المدارس؛ شهد أولئك الرجال أن الذين تبرعوا لها ليسوا فقط رجال أعمال مثلهم، بل كذا عمال ومعلمون وموظفون عموميون.

وفي ماردين؛ تَوَاصَل رجال الأعمال هؤلاء مع المزيد والمزيد من الأشخاص، الذين يُشاركونهم رؤيتهم التعليمية، ومن ثم ساهموا في دعم تلك المدارس. تعهَّد البعض بقسط من المال، والبعض الآخر وعد بالبحث عن أفراد آخرين قد يلتزمون بتوفير بعض المال، وعرض آخرون توفير مواد البناء والمعدات تبرعًا من مواردهم، والتزم آخرون بالتبرع بالجهد البدني لعملية البناء. وحاليًا، في مدارس گولن في

ماردين؛ يمول كل معلِّمٍ نفقات طالب واحد شهريًا، على الأقل؛ من طُلَّاب المدرسة الثانوية.[1]

وفي مقابلة جماعية مع مجموعة من رجال الأعمال، يملكون مصانع صغيرة في مجال الغزل والنسيج في أنقرة؛ سمعنا العديد من القصص حول كيفية بدء مشاركة رجال الأعمال في مشروعات مستوحاة من تعاليم گولن. وعلى سبيل المثال؛ ففي عام ١٩٨٥م جاء إمام إلى مسجدٍ محلي، وطلب من رجال الأعمال هناك المساعدة في بناء مدرسة للأطفال في المدينة. وبعد رحيله؛ اجتمع الرجال بمعدل مرتين في كل أسبوع، لمناقشة المسألة. والتزمت المجموعة بالمساهمة في بناء المدرسة. فتبرع البعض بمال، وتكفل آخرون بجلب الدعم المالي من رجال أعمال آخرين في المدينة، ووفَّر البعض بضائع وخدمات؛ مثل: الخرسانة والمكاتب، بل وحتى العمالة الطوعيّة. وفي وقت قصير؛ فتحت المدرسة أبوابها لأول فصل دراسي للمرحلة الثانوية.

واستمرَّت مجموعة رجال الأعمال يلتقون بشكلٍ دوري؛ لرصد احتياجات المدرسة، وتدشين مشروعاتٍ إضافية قاموا بتمويلها. فعلى سبيل المثال؛ في عام ١٩٩١م، وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي؛ وقعت مذبحة في أذربيجان، واحتاج الناس هناك للمساعدة. واستجاب تجمُّع گولن في أنقرة؛ فسافر ثمانية عشر رجل أعمال من مختلف أنحاء أنقرة إلى أذربيجان، لتوصيل الأموال والبضائع التي جمعوها من أشخاص تأثروا بفكر گولن في أنقرة. وكما قال أحد رجال الأعمال: «كانت رحلة جد هامة بالنسبة لي. إذ تعلمت الكثير من أفراد مجموعتنا. لقد كانوا مختلفين جدًا. لم يكن أكثرهم مُتعلِّمين في مستواي، ولكنهم أثّروا فيَّ جميعًا بفهمِهم لتعاليم الأستاذ گولن، وبأنماط حياتهم. ومنذ تلك الرحلة؛ ارتبطتُ ارتباطًا شديدًا بحركة گولن».

(1) Kalyoncu (2008).

وأخبرني رجل أعمال آخر، في اللقاء الجماعي؛ بقصة تمثل نموذجًا للطريقة التي يلتحق من خلالها العديدون بالحركة. ففي يوم من أيام عام ١٩٨٨م؛ التقى ذلك الرجل طالبًا يدرس القانون، بتمويل من أحد رجال الأعمال الذين يعرفهم من المجمّع السكني حيث يسكن. وطلب من رجل الأعمال أن يُعرفه ببعض طلاب القانون المعوزين، والذين لا يستطيعون تحمل نفقات الكلية. وبعد عدة أيام؛ جاءته مجموعة طُلاب إلى متجره. لم يطلبوا مالًا، برغم ذلك؛ بل تحدثوا عن مشكلات تركيا والعالم. وبعد عدة أسابيع؛ دعوا الرجل لمنزلهم، حيث يعيش عشرة من هؤلاء الطلاب، الذين وفدوا من كل أنحاء تركيا؛ ومعظمهم تحدَّروا من عائلات فقيرة. وظلوا لا يتحدثون عن المال. زار بعض هؤلاء الطلاب الرجل في متجره ثانية، والتقوا بابنه الذي يواجه صعوبات في دراسته. عرضوا عليه مساعدة ابنه في الدراسة؛ لتتحسن درجاته بشكل هائل بفضل مساعدتهم. وظلوا لا يتحدثون عن المال. وبعد مرور عام كامل على معرفته بهؤلاء الطلاب، معرفة شخصية؛ شرع الرجل في تقديم منح دراسية لهم، لمساعدتهم على إتمام دراستهم للقانون. ومازال، منذ عام ١٩٨٨م؛ يزود دارسي القانون المعوزين بمثل تلك المنح الدراسية.

القصة المذكورة أعلاه تُجسِّد أفعال الأستاذ گولن نفسه خلال عقدي السبعينيات والثمانينيات؛ عندما عاش بالقرب من الحرم الجامعي لعدة جامعات في أنحاء تركيا. إذ عمل مدرِّسًا لبعض الوقت، وأنفق عِدة سنوات يُشرِف على طلاب المدارس الثانوية ومراحل الإعداد بالجامعة. وفي بورصة؛ التقيت رجلًا كان هو وأخوه قد تشاركا منزلًا مع الأستاذ گولن عندما كان يقصد الجامعة في الستينيات. وتذكَّر أعداد الطُلاب الجامعيين الذين كانوا يزورون الأستاذ گولن، في شقَّته بالطابق الثاني؛ للتوجيه الدراسي والتشجيع. وعلَّق قائلًا إن هذا الكادر من الطلاب الجامعيين، الذين تحلقوا حول الأستاذ گولن؛ هم، في رأيه؛ بدايات حركة گولن في تركيا.

المساهمات المالية

العطاء المالي صفةٌ متأصلة في المشاركين في أنشطة حركة گولن. وقد علّق من التقيتهم، مرارًا؛ بأن كل فرد داخل الحركة يُسهِمُ ماليًا في أنشطتها، بصورة ما؛ تبعًا لظروفه الشخصية. وثمة اتفاق، على نطاق واسع؛ بين الأشخاص في مختلف الدوائر المحلية، أن قيمة التبرعات تتراوح بين ٥٪ إلى ٢٠٪، أي ما متوسطه ١٠٪ من الدخل السنوي؛ في حين تسهم مجموعة صغيرة من الأفراد بأكثر من ٢٠٪.

ويحتج المنظرون التنظيميون بأن نجاح حركة ما يعتمد بشكل كبير على «الفاعلين أصحاب الموارد التي لا تنضب»، أو النُخَب. وسواء كانوا سياسيين مؤثّرين، أو قادة ملهمين، أو رجال أعمال ناجحين، أو مؤسسات تجارية؛ فإن هؤلاء الأفراد «الفاعلين أصحاب موارد لا تنضب» لأنهم يملكون القدرة على المساهمة بجزءٍ هامٍ مما يلزم الحركة لتحقيق أهدافها. ويمكن تعبئة مجموعة كبيرة فقط عندما يتيسر ذلك بمساهمات من مثل تلك النُخَب النافذة، لأنها توفر نوعين من المصادر: أولها قدرة النخب على الوصول إلى الموارد الضخمة والتحكُّم بها، وثانيها أن مشاركة النخبة تُكسِبُ الحركة الاجتماعية شرعية وظهورًا يُشكّلان المصدر المحوري الثاني لنجاح الحركة.[1]

والصناعيون الأثرياء الذين التقيتهم في إسطنبول منهم مالك شركة إلكترونيات كبرى، ومالك تجارة أثاث واسعة، ورجلٌ تملك عائلته شركة شحن؛ ينزل كلٌ منهم عن حوالي المليون دولار سنويًا لمشروعات مستوحاة من فكر گولن، وهو المبلغ الذي يُمَثِّل ١٠-١٥٪ من دخولهم. واثنان من هؤلاء الصناعيين هم ضمن خمسة مولين لأحدث مستشفيات گولن في إسطنبول. وفي بورصة؛ يتبرع أحد رجال الأعمال بما يَقرُب من ٣,٥ مليون دولار سنويًا، وهو ما يمثّل ثُلث دخله. ويمنح رجل أعمال آخر ٣-٤ ملايين دولار سنويًا لإحدى عشرة مدرسة في ألبانيا. ويتبرّع

(1) Fireman and Gamson (1979); Olson (1965); McCarthy and Zald (1977); Garner (1996); Melucci (1999); Della Porta and Diani (1999); Morris and Staggenborg (2004).

ثالث بأموال لمدارس في عشر دول؛ قائلًا إنّ له الآن إخوة في كل تلك البلدان، وليس في تركيا فحسب.

وقد سألنا مجموعة رجال الأعمال، التي التقيناها في أنقرة؛ عما إذا كان كل منهم يسهم ماليًا في مشروعات مستوحاة من فكر گولن، وإذا كانوا يُسهِمونَ فعلًا؛ فكم يدفعون سنويًا على وجه التقريب. وقد أجاب كل منهم أنه يسهم قدر المستطاع في مشروعات الحركة. وتتباين قيمة المساهمات من ١٠-٧٠٪ من الدخل السنوي، وتتراوح بين عشرين ألف إلى ثلاثمئة ألف دولار سنويًا. وأخبرنا أحدهم أنه يتبرع بـ ٤٠٪ من دخله كل عام، والذي يقدر بمئة ألف دولار سنويًا؛ وأعرب عن رغبته في التبرُّع بـما يساوي ٩٥٪ من دخله، ولكنه لا يستطيع فعل ذلك؛ إذ عليه أن يرعى نفسه وعائلته. وقال رجل أعمال آخر: «نتمنَّى أن نكون مثل صحابة الرسول (ﷺ)، ونتبرع بكل ما نملكه. لكن هذا ليس سهلًا». وتتكون تلك المجموعة من رجال أَسَنّ كوّنوا مجموعتهم واحتفظوا بها لسنوات طويلة، وأنجزوا العديد من المشروعات المستوحاة من فكر گولن في أنقرة، وكذا في دولٍ أخرى. وحاليًا؛ لدى كل منهم مديرون في متاجرهم يتابعون شئون العمل اليومية. ويقضي الملاك ٢-٣ ساعات يوميًا في متاجرهم، ثم يلتقون بعد ذلك يوميًا، على وجه التقريب؛ لمناقشة المسائل المرتبطة بالمشروعات التي يدعمونها. ولذلك؛ فإن المجموعة توفِّر تجمعًا مترابطًا يتكوّن من أفراد أصحاب عقلياتٍ مُتشابهة، ويعملون لخدمة قضايا مشتركة. ويذهب البعض إلى «أن تضامُن المجموعة لا ينفصل عن المساعي الشخصية، ولا عن الاحتياجات العاطفية والتواصلية اليومية للمشاركين في الشبكة... ومع ذلك؛ فهي ظاهرة ثانوية، وليست هدفًا نهائيًا أو غاية في ذاتها ولذاتها؛ لكنها ترافق العمل بشكل طبيعي نتيجةً لإنجاز المشروعات الخدمية».[1]

وممن التقينا؛ رجل أعمال آخر ناجح للغاية، في إسطنبول؛ والذي زودنا برؤية أعمق للمبالغ المالية التي ساهم بها مؤيدو حركة گولن في المشروعات المحلية.

---

(1) Cetin (2010).

يبلغ رجلنا من العمر ٤٨ عامًا ويعمل في صناعة الغزل والنسيج. ويسهم بنسبة ٢٠٪ من دخله السنوي، الذي يقدر بها قيمته ٤-٥ ملايين دولار؛ في المشروعات المرتبطة بگولن. وحوالي ٨٠٪ من أصدقائه المقربين مشاركون كذلك في الحركة، ويسهمون قدر استطاعتهم في المشروعات. ويقول إنه حَظِيَ بصداقاتٍ مُخلصةٍ جدًا من خلال مشاركته في أنشطة الحركة. وقد تعرف على الحركة عندما دعاه صديق في عام ١٩٨٦م إلى صُحبت؛ حيث يجتمعون ويتناقشون في كل من كتابات الأستاذ گولن، والمشروعات المحلية التي تحتاج دعمًا. وعند سؤاله عن المنافع التي يبغيها الفرد من دعم المشروعات المستوحاة من فكر گولن؛ أجاب قائلًا:

> «أنا لا أحظى بأي منافع دنيوية من دعم حركة گولن. ولو نِلتُ أي شيء في مقابل دعمي؛ سيكون هناك في الآخرة. وأنا أتمنى أن أنال رضا الله (ﷻ) من خلال تلك الأنشطة والوقت الذي أمضيه مع هؤلاء الأشخاص الرائعين. وبخلاف ذلك؛ فلا أنا ولا أي متطوع آخر لدينا توقُّعات أخرى. إنه حين تُعطي من قلبك لتلك الأنشطة الخيرية؛ لا يُضيّعك الله أبدًا. حين نعطي؛ فالله يُكافئنا بمزيدٍ من العطاء. إنه يُضاعِفُ ما في أيدينا. وأنا لا أعتقد أن مساهماتي كافية، ولكن لا شيء صغير أو بلا قيمة في عين الله، طالما تفعله لوجه الله والإنسانية».

ويتبرَّع بعض رجال الأعمال والمهنيين بثلث دخلهم، بعد دفع الضرائب؛ لمشروعات الحركة. وعلى سبيل المثال؛ خصَّص رجل أعمال من إسطنبول ثُلث دخله ليُستَثمر في أعماله مرة أخرى، والثلث لرعاية عائلته، والثلث الأخير للمشروعات المرتبطة بگولن. وفي حين لم أستطع التأكُّد من دخله السنوي؛ فإن حجم أعماله يزيد على مليار دولار، وتُعَدُّ مشروعاته التجارية من أنجح مشروعات القطاع الاقتصادي الذي يعمل فيه بتركيا. ولذلك؛ يمكنني التخمين أن دخله السنوي يبلُغ عدة ملايين من الدولارات. ويعرفه الكثيرون في الحركة بأنه أحد أكبر المساهمين في المشروعات الخَدَمية، خاصة المدارس.

وتُعَدّ المساهمات المعتبرة لرواد الأعمال الأثرياء في الحركة هامة ليس فقط من حيث نتائجها المالية، التي تُحدِدّ ما يُمكن إنجازه من مشروعات مكلِّفة، واستمراريتها؛ بل لأن مثل هذا الدعم أيضًا يمنح الحركة شرعية وظهورًا. وخلال المُقابلات؛ يُشار بانتظام إلى رجال الأعمال الذين يجعلون تحقيق أهداف الحركة ممكنًا.

برغم ذلك؛ فليس أصحاب الأعمال الأثرياء وحدهم من يُسهِمون ماليًا في الحركة، بل تُسهم فيها كل دائرةٍ محلية، على قدر استطاعتها؛ لدعم المشروعات التعليمية. ومجموعة رواد الأعمال الشبان التي التقيناها في إسطنبول، وأكثرها من المهندسين؛ ينتمون إلى تنظيمٍ مهنيٍ مكونٍ من ألف عضو، جميعُهُم مُشارِكون في حركة گولن. وتتبرع تلك المجموعة بنحو مليوني دولار سنويًا لمشروعات گولن. تمثل مساهمات أعضاء المجموعة أنفسهم حوالي نصف المبلغ، أما النصف الآخر فمصدره أموال جمعوها من عائلاتهم وشركاء أعمالهم.

ونسبة الـ ١٠٪، التي تمثل متوسِّط قيمة التبرعات داخل الدوائر المحلية؛ لا تسري على رجال الأعمال والمهنيين فحسب، بل على العمال ذوي الياقات الزرقاء كذلك، في إسطنبول وبورصة ومودانيا. وكثير من هؤلاء المشاركين المتأثِّرين بگولن يعملون مندوبي مبيعات، وكاتبي حسابات، وموظفي بلدية، وعُمّال صيانة، وموظفين في المصانع. ويتباين متوسط الراتب السنوي لهؤلاء العمال، لكن الشائع أن يتراوح دخلهم بين خمسة عشر وثلاثين ألف دولار سنويًا، ومع ذلك؛ فثمة اتفاق عام على أن متوسط التبرع لأعضاء الدائرة هو ١٠٪ في معظم السنوات. وإذا لم يستطع الفرد أن يصل بتبرعه لنسبة ١٠٪؛ فإنه يتعهَّد بجمع مساهماتٍ من معارِفِهِ لتغطية الفارق. وقد رتّب أحد العمال في بورصة لرئيسه في العمل، الذي لم يكن يعرف شيئًا عن حركة گولن؛ الفرصة ليزور ألبانيا ويرى بنفسه مدرسة من مدارس گولن هناك. وقد بُهر رئيسه لدرجة التزامه بالتبرُّع بمبلغ مُعتبر للحركة كل عام. وكثير من الأشخاص الذين يُطلَب منهم المساهمة في مشروعات مُحدَّدة ليسوا أعضاءً في الحركة؛ فللأعضاء مساهماتهم أصلًا. بل هم أفراد عائلات وأصدقاء ومعارف من

خارج الحركة، ممن يرغبون في دعم الطُّلَّاب المعوزين أو دعم المشروعات الخدمية المستَحِقَّة لذلك، خاصة خلال شهر رمضان؛ إذ يُتوقَّع من المسلمين المتدينين أن يتبرعوا للأعمال الخيرية.

وتميل دوائر العُمَّال إلى دعم المِنح الدراسية بدلًا من المدارس، بما أن الأخيرة تحتاج إلى موارد مالية أكبر. وغالبًا ما تتكلف الإقامة في أحد بيوت الطلبة التي تديرها حركة گولن؛ حوالي ١٨٠٠ دولار سنويًا، لذا؛ يشعُر العُمَّال بأن في طوقهم تحمّل ذلك النوع من المِنَح، سواء كان الواحد منهم منفردًا أو متضامنًا مع عضو آخر في دائرته.

كذا يُساعد العُمَّال أعضاء الحركة المحتاجين بينهم. إذ ثمة بيوت للطلبة في أحيائهم، ويعرف أعضاء الدائرة غالبًا الطلاب المعوزين في هذه البيوت. كذلك يزور الطلاب أعضاء الدائرة ويخبرونهم عمن يحتاج للمساعدة. وعادة ما يستطيع أطفال أعضاء الدائرة الإقامة في بيوت الطلبة مجانًا، ويُفضِّل الآباء عادة هذا النوع من الحياة والخُلطة لأبنائهم؛ لأنها تُعينهم على الاستذكار، وتجعلهم يلتقون أنواعًا من الأصدقاء يفضلها آباؤهم.

وثمة ممارسة مثيرة للاهتمام تُجرى سنويًا داخل كل الدوائر المحلية التي التقيناها؛ وهي أن يتعهَّد كل شخص على الملأ بحجم التبرعات السنوية التي سيلتزم بها لمشروعات گولن. وبرغم التأكيد الواضح على حقيقة أن التبرُّعات طوعية كُليًا، وأن ثمة احترامًا واضحًا لظروف الفرد؛ فقد أكَّد مَنْ حاورناهم على المُنافسة بين أعضاء كل دائرة؛ أيهم يتبرع بمالٍ أكثر. وهو ما كان واضحًا بشكل خاص بين المتبرعين الأثرياء، الذين يتحدّى بعضهم بعضًا لزيادة تبرُعاتهم جنبًا إلى جنب مع المنافسة. وقد أكَّد العديد من المشاركين أن مجرد سماعهم بتبرُّع زميل لهم، له نفس الدخل تقريبًا؛ بمبلغ مُعيَّن يجعل ذلك دافعًا لهم ليحذوا حذوه. وقال أحد المهندسين: «ثمة بعض المنافسة. نحن نعرف بشكل عام مقدار المال الذي يجنيه كل واحد، ونستطيع المقارنة. وعندما أرى أحدهم يتبرع بنسبة ١٠٪؛ فإن ذلك يُشجِّعني على فعل الشيء نفسه».

وتوجد حوالي خمسين مجموعة حوار بين الأديان في الولايات المتحدة، تتكون من أفراد ألهمتهم تعاليم الأستاذ گولن وحياته.[1] وتلك المجموعات مستقلة تنظيميًا، برغم أن أعضاءها قد يعرف بعضهم بعضًا، ويتشارَكون الأفكار والمشروعات بشكلٍ غير رسمي. وقد أنشئ معهد حوار الأديان من أجل السلام العالمي (IID) في أغسطس عام ٢٠٠٢م، في أوستن؛ تكساس.[2] وبعد عام انتقل المقرّ إلى هيوستن. وينظم المعهد أنشطة في أكثر من ١٦ مدينة في الولايات الجنوبية؛ تشمل تِكساس، ولويزيانا، وأوكلاهوما، وكَنساس، وأركنساس، والميسيسيبي. والغرض من ذلك المعهد غير الهادف للربح، كغيره من المعاهد التابعة للحركة والمنتشرة في أنحاء الولايات المتحدة؛ هو الترويج لفكرة التفاهُم والحوار بين الأديان.

ولتحقيق هذا الغرض؛ يُنظِّم المعهد ويرعى عددًا من الأنشطة في كل مدينةٍ له فيها أعضاء. وهذا يشمل الإفطار الرمضاني السنوي للحوار بين الأديان، وجائزة الإفطار السنوية لتكريم شخصيات تنتمي إلى المجتمعات المحلية بسبب ما قدمت من مساهمات أساسية في عملية الحوار بين الأديان، وورِش العمل خلال العام، ورحلة الاعتكاف السنوية، وعدد من رحلات الحوار بين الأديان إلى تركيا. ويموّل تلك الأنشطة مساهمات المتطوعين الملتزمين بعمل المعهد، وأغلبهم من الأتراك المسلمين الذين ألهمتهم تعاليم الأستاذ گولن. والعديد منهم طلابٌ أتراكٌ في جامعات جنوب الولايات المتحدة، وذلك برغم مساهمات حفنة من رجال الأعمال والمهنيين المشاركين.

وتأسيسًا على النموذج التركي للدوائر المحلية، التي تدعم مشروعات گولن؛ فإن نسبة كبيرة من ميزانية معهد (IID) تتكون من تراكُم مساهمات ضئيلة نسبيًا لأكثر من خمسمائة من الأتراك، والأمريكيين من أصل تركي؛ في الولايات الجنوبية ممن يدعمون مشروعات المعهد. وحوالي نصف هؤلاء الممولين طُلاب محليون.

---

(1) Michels (2008).

(2) The Institute of Interfaith Dialog for World Peace,Inc. (IID).

وخلال أول عدة أعوام كانت ميزانية المعهد السنوية أقل من خمسة وعشرين ألف دولار. وبحلول عام ٢٠٠٦م؛ زادت إلى خمسمائة ألف دولار. وفي عام ٢٠٠٨م؛ جُمِعَ ما يَقرُب من مليون دولار تبرعات سنوية. وتأتي ٨٠٪ من تلك التبرعات من المجتمع التركي الأمريكي المحلي، أما نسبة الـ ٢٠٪ الباقية فمن غير المسلمين في المجتمع المحلي.

ويتعهَّد عدد من طلاب الدراسات العُليا، الذين يعيش أكثرهم على مبالغ ضئيلة، من تركيا أو من جامعاتهم الأمريكية؛ بالتبرُّع بنحو ٢٠٠٠-٥٠٠٠ دولار سنويًا، رغم أن مِثل هذه التبرعات تُعَدُّ تضحية كبيرة من جانب الطلاب. لكنه ليس أمرًا غير مُعتاد أن يتبرّع طالب، يتقاضى ١٥٠٠ دولار شهريًا؛ بمبلغ ١٠٠-١٥٠ دولار شهريًا، وهو ما يمثل ١٠٪ من دخله تقريبًا. كذا؛ يعمل بعض الطلاب في وظائف إضافية ليتمكنوا من الإسهام ببعض المال في أنشطة المعهد. و يتطلَّع العديد منهم للتخرُّج، والحصول على وظائف جيدة؛ ليستطيعوا حينها المساهمة بقدرٍ أكبر من دخولهم. وكما قال أحد الطُّلاَّب: «يصعُب عليّ وأنا مازلت طالبًا بمرحلة الدراسات العليا أن أتبرَّع بمبالغ ضخمة، ولكني آمل أن أتمكن من تقديم تبرعات أفضل وأكبر بعد الانتهاء من دراستي».

وحوالي ٥٠٪ من أعضاء المعهد مهنيون ورجال أعمال في الجالية، وقد استكمل العديد منهم دراسته في الولايات المتحدة الأمريكية، واختاروا العمل هناك في الوقت الحاضر. إن مساهمات هؤلاء الأفراد هي التي تمثل الحصة الأكبر من دخل المعهد. فعلى سبيل المثال؛ يتبرع رجل أعمال محلي، وهو مهندس وله بعض الاستثمارات العقارية؛ بنحو من خمسين إلى سبعين ألف دولار سنويًا للمعهد، وهو ما يُمثِّل ٤٠٪ من دخله. وهو يُموِّل بمفرده مأدبة إفطار كل عام. وفي عام ٢٠٠٦م؛ ساهم بثمن تذاكر الطيران لاثنيْ عشر أمريكيًا لزيارة تركيا في رحلة حوار بين الأديان رعاها المعهد. وهو يُعرِب عن أسفه لأن جدوله المزدحم يمنعه من المشاركة بشكل أكبر في أنشطة المعهد، ومع ذلك؛ فهو يستشعر استطاعته التأثير في مشروعات المعهد بتوفير

دعمٍ مالي مُعتبر. بالإضافة إلى ذلك؛ فهو ينضمّ إلى أصدقائه كل أسبوع في مجلس «صحبت» لمناقشة أفكار الأستاذ گولن، وكيفية تفعيلها في مشروعات محلية.

وفي حين تركز الأدبيات التنظيمية النظرية على أهمية المال والشرعية، باعتبارها مصادر للعمل الناجح؛ أكّد بعض المنظِّرين على أن العمل الطوعي لم يحظ باهتمام مساو. وتعتمد غالبية القوة الدافعة اللازمة للعمل والأنشطة اليومية، التي تدفع بالحركة نحو تحقيق أهدافها؛ على الجهد المباشر لأعضاء الحركة. كما أن لامركزية السلطة والهيكل التنظيمي الذي تضطلع من خلاله لجان المتطوّعين بمهامها؛ من شأنه تعزيز حيوية الحركة.[1] وهذه الحقيقة ماثلة في معهد حوار الأديان (IID)، مثله مثل مجموعات گولن المحلية الأخرى. والمساهمات المالية المباشِرَة لا تمثّل صورة التبرُّعات الكاملة في مشروعات گولن. فالمشاركون يتبرعون بالوقت والموهبة والغذاء، للعديد من الأنشطة التي يرعاها المعهد. فعلى سبيل المثال؛ ينظم المعهد، بشكل متكرّر؛ مآدب الغداء والعشاء. ويُطلَب من النساء داخل المعهد، باستمرار؛ إعداد الأطعمة التركية لهذه التجمعات، الكبير منها والصغير؛ ولا تُدفع لهن تكلفة الطعام، ولا يتم تعويضهن ماليًا عن جهود إعداده. وكذلك تصميم المواقع الإلكترونية وصيانتها، وتصميم المنشورات والكتيبات الدعائية، وإعداد أفلام مرتبطة بأنشطة المعهد (IID)، وتنظيم الفعاليات، والاضطلاع بمهمة المرشد إبان رحلات الحوار بين الأديان إلى تركيا، واستضافة أشخاص من التجمُّعات الدينية الأخرى في منازلهم خلال شهر رمضان، والتواصُل داخل شبكة الحوار بين الأديان؛ كلها مهام يضطلع بها متطوعو الحركة. وليس غريبًا أن يقضي أعضاء المعهد من ٢٠-٣٠ ساعة أسبوعيًا في أنشطة حركة گولن، وأكثر المشارِكين في الحركة طُلاب مُنتظمون في الجامعات المحلية. ولو أن تلك الأنشطة اضطرت للاستعانة بمصادر خارجية، أو حُسِبَت تكلفتها؛ فإن تبرُّعات أعضاء معهد حوار الأديان (IID) ستكون كبيرة جدًا.

(1) McCarthy and Wolfson (1996); Morris and Staggenborg (2004); Bryne (1997).

يرى بعض مُنظِّري الحركات الاجتماعية أن وجود هيكلٍ تنظيميٍ بشكلٍ رسمي، مع تقسيم واضح للعمل؛ يؤدي إلى حركة أكثر نجاحًا. وأن مركزية صنع القرار تزيد فعالية المهام التي يؤديها الأفراد، وتُيسر تعبئة الموارد.[1] إلا أن بحثًا آخر يُظهِرُ أن التنظيم البيروقراطي أقل فعالية في تعبئة مشاركة القاعدة، وأن الهياكل اللامركزية أكثر نجاحًا في تعبئة الأعضاء ودفعهم للمشاركة.[2] وفي حالة حركة گولن؛ فإن السلطة والهيكل الإداري اللامركزيين يُعزِّزانِ مُشاركة العضو وشعوره بالمسئولية بصفته مساهمًا بين الملايين الذين قدَّموا إسهامًا شخصيًا في إنجازات الحركة.

دوافع المساهمات المالية

عندما سألنا مجموعة من رجال الأعمال في إسطنبول لماذا يتنزلون عن مليون دولار أو أكثر كل عام، لمشروعات الحركة؛ أجابوا بهذه الأسباب: لنُسهم في بناء إنسان أفضل، كما يشجع الأستاذ گولن؛ ولنعلم شبابنا ونرضي ربنا، ولنفوز بثواب الآخرة، ولنصير جزءًا من حركة أكبر تستهدف عالمًا أفضل، ولنزرع الأمل في صدور أهلنا في تركيا وحول العالم. كان بين رجال الأعمال هؤلاء اثنان من أوائل أعضاء الحركة، الذين استمعوا للأستاذ گولن خطيبًا في السبعينيات، وبُهروا كثيرًا بأفكاره، وتلاقوا مع رجال أعمال محليين آخرين ليدرسوا كيفية تحقيق رؤيته.

وقد قال رئيس شركة تصنيع غزل ونسيج كبرى إن أفكار الأستاذ گولن عن الخدمة حفَّزته، وأضاف ما نصُّه:

> «لقد زاملنا أشخاصًا من الحركة، وهذا يحفِّزنا على المشاركة في المشروعات. ما هي مشروعاتي المفضلة؟ غاية مُنيتي هي رؤية هؤلاء الطلاب وقد تخرَّجوا وحصلوا على وظائف حكومية، وصاروا أشخاصًا

---

(1) Gamson (1975); McCarthy and Zald (1977); McCarthy and Wolfson (1996); Melucci (1999); Morris and Staggenborg (2004).

(2) Gerlach and Hines (1970); Curtis and Zurcher (1974); Jenkins (1983); Bryne (1996).

صالحين في الحكومة أو في الوظائف الأخرى. عندما أرى هؤلاء الطلاب في تلك المناصب؛ سأكون في غاية السعادة، وأعرف أن مُجتمعي وحكومتي يتطوَّران باتجاه الاستقامة والتطهُّر من الفساد».

ونقل رجل أعمال ثري من إسطنبول، ويُعَدّ مساهمًا أساسيًا؛ قصة أول لقاء لجمع تبرعات لبناء أول مدرسة مستوحاة من فكر گولن، وهو الحدث الذي ألقى فيه الأستاذ گولن خطبة مؤثِّرة. قال فيها إنه من المهم مُساعدة الطُلاّب المعوزين، وضَرَب أمثلة تاريخية من حياة النبي (ﷺ) وصحابته. «في ذلك اليوم؛ رأيت أشخاصًا يكتبون شيكات وآخرين يدفعون أموالًا نقدية، والبعض تبرَّع بخواتم وأساور ذهبية. لقد تأثرتُ جدًا بذلك المشهد؛ العطاء الفوري والسخي. ومنذُ الانطباع الأول؛ ترسخت فيّ رغبة أن أكون جزءًا من هذا العمل. وبعد ذلك شَهِدتُ نجاح المشروعات وصرت جزءًا من الحركة». وتوسَّع في ضرب أمثلة أخرى من العطاء أثّرت فيه. فقد رأى عمّالًا من ذوي الياقات الزرقاء لديهم عائلات يعولونها، ويكسبون القليل جدًا من المال كل شهر، ولكنهم يُخصِّصون ٢٠٪ من دخلهم لدعم ما يعادل نصف أو ربع منحة دراسية لطالب معوز. ولاحظ أنّ هؤلاء العُمّال ربما يَستقلّون المواصلات العامة، إلا أنهم يمنحون المال لمساعدة الطلاب. واشترك لاحقًا في لقاءات جمع التبرعات، ورأى ما يفعله الناس لجمع المال للمشروعات المستوحاة من فكر گولن؛ فبعضهم يَهبون سياراتهم، وساعاتهم الذهبية، وتتبرَّع النساء بحُليهنَّ لدعم الطُلاّب. وفي إزمير؛ كان رجل يخبز البيتزا ويبيعها من عربة، ليمول من ريعها بناء بيت صغير للطلبة في بلدة مجاورة. وكلما شهد تلك الأمثلة من العطاء؛ قوي دافعه للاضطلاع بدوره في دعم المشروعات المُستحِقَّة. وقد التزم بتخصيص ثُلث دخله لتعزيز أعماله التجارية وثلثٍ لرعاية عائلته والثُلث الأخير لمشروعات گولن.

وعندما سُئل أحد المهندسين لماذا يعطي ١٠٪ من دخله السنوي للحركة؛ قال: «لا يوجد سبب آخر سوى رضا الله. وإلا يكون العمل لأجل الذات؛ وهذه أنانية»،

وأضاف: «إننا في حركة گولن مكرسون لروح الخدمة الإنسانية، التي علَّمنا إياها الأستاذ».

وقد ألهمت حقيقة كون الأستاذ گولن يبدو جديرًا بالثقة العُمَّالَ من ذوي الياقات الزرقاء، وكما قال أحدهم: «بُهِرتُ عندما سَمِعتُه يقول إنه لا يدعو لشيء لا يفعله بنفسه. وقال عامل آخر إنه رأى الصراع والتناحُر بين الأطياف الأخرى في المجتمع، أمّا مع جماعة گولن فقد وجد المحبة وأشياء إيجابية. كذا أعجبه أن الأستاذ گولن لم يكن ذا لحية مثل معظم الأئمة، وبأنه يدعو لتبنى تركيا، والدول الإسلامية؛ الحداثة والعلم الطبيعي والعولمة. وعبَّر عامل آخر عن مكنون نفسه؛ حين أخبرنا أنه أراد أن يتعلّم، ولكن لم تُتح له الفرصة. وهو يشعُر الآن أنه يُتيح الفرصة لشخص آخر ليتعلم.

وقد سمعت في العديد من الدوائر المحلية أشخاصًا يُعبِّرون عن حقيقة أن كل ما يُنعم الله به على المرء يجب أن يُشارِك الناس فيه، وأن الله يُريد أن يكون الناس وسائل تُسخَّر للمشاركة. وكما قال أحد العُمَّال: «لقد رأينا آخرين في الماضي يؤْثِرون على أنفسهم، ويتشاركون مع غيرهم كوسائل سخرها الله؛ لذلك فإننا نشعر بتواضُع ما يمكننا القيام به».

وثمة تقليد تركي يدعو للفصل بين المُتبرِّع والمُتلقّي، بحيث لا ينشأ شعور بالالتزام عند مَنْ يتلقّى المساعدة. كذا، يُعتبر المُعطي وكيلًا عن الله وأداة لنقل رزقه، وليس مُقدِّم إحسان. وثمة رجل أعمال في بورصة تبرَّع بأرض لبناء مدرسة، ولم يرسل أولاده إلى تلك المدرسة لئلا يخلط الدافع الشخصي بعمل الخير. وعلَّق آخر قائلًا: «نحن لا نريد الخوض في تفاصيل كثيرة بشأن ما ندعمه؛ مثل من هم الطُّلاب الذين يتلقون المنح الدراسية، لأن الأمر يُصبح حينها شخصيًا جدًا. لذلك؛ فنحن نتبرع لصندوقٍ يُساعِد الطُّلاب المعوزين، ولكن أحدًا منا لا يعرف من يُساعد. ومع ذلك؛ فبعضنا على اتصال بالطُّلاب الذين يتلقون العون، ومن ثم فنحن نعرف بشكل عام كيف تستخدم أموالنا».

وقد أخبرنا رجل الأعمال الذي التقيناه في إسطنبول، والذي يبلغ من العمر ٤٨ عامًا؛ «إن المنتمين لحركة گولن يحولون أفكارهم إلى مشروعات، ويشهدون تحقق نجاحهم. والناس يثقون بهم، فإذا طلبوا منهم إقامة مشروع؛ اعتبروه أمرًا لهم من الخالِق وليس من المخلوقات، وهذا في اعتقادي سبب نجاحهم. وإذا حضر أي شخص من الحركة إلى مدينتي وطلب المساعدة؛ فسوف أبذل وسعي لمساعدته، وأشجِّع أصدقائي ليفعلوا المثل»، واستطرد قائلًا إن مثل هذا العطاء يُمنَحْ بروح عبادة الخالق من خلال خِدمة عباده، وغالبًا ما تكون نتيجة مثل هذا العطاء تطوير علاقات قوية بين المتبرِّعين. وهو ما يؤكده أحد الباحثين قائلًا:

> «إن المشاركة في الخدمة تأخُذ أشكالًا ثابتة نسبيًا من أشكال الشبكات. يأتي الأفراد ويذهبون ويَحِلُّ بعضهم محل بعض، لكن المشروعات تبقى دائمًا وتستمر. والاحتياجات الفردية والأهداف الجماعية لا يُقصِي بعضها بعضًا؛ بل هي الشيء نفسه. وهذه الاحتياجات والأهداف، فضلًا عن أعمال حركة گولن؛ تتزامَن وتتداخل بشكلٍ وثيق مع بعضها البعض في الحياة اليومية... إن المشاركة في الخدمة حول هدفٍ مُحدّدٍ، وقابلية المخرجات للقياس الملموس؛ تُثمِر التضامُن وتعزِّزه».[1]

وقد قال أحد المهندسين إن الناس يَستثمِرون أموالهم في حيواتهم، وينالون جزاءً في الحياة الأخرى إن أحسنوا الاستثمار، وهو يشعر إن الطُّلاب يستثمرون استثمارًا كبيرًا لحياتهم، وهو من ثم يريد مساعدتهم في ذلك الاستثمار، ليتسنى لهم أن يعيشوا حيوات مثمرة، وينالوا الجزاء في الآخرة، ويساعدوا آخرين على نفس الاستثمار حين يصيرون مُتعلِّمين.

وفي حين لا يُمثِّل النجاحُ المالي دافعًا للعطاء، فقد علق عدد ممَّنْ أجرينا معهم حواراتنا، من كل المستويات الاجتماعية-الاقتصادية؛ قائلين بأن العطاء للمشروعات يعود بمكافآتٍ ماديةٍ على المُعطي. فتنمو أرباح التجارة، وتزداد رواتب العُمّال أو

(1) Cetin (2010).

يرتقون في وظائفهم. وتُعَدّ تلك النجاحات بركة من الله لمن يعطون من أموالهم. وكما قال أحد العمّال نصًّا: «عندما يعطي المرء فإنه يُعطى؛ إن الله يُجزل العطاء».

الثقة في مشروعات گولن والاطمئنان إليها

في كل دائرة محلية حاورت أفرادها؛ أعربوا عن ثقتهم في كيفية توظيف تبرُّعاتِهم. وكرروا إنهم لم يقلقوا قطّ بشأن كيفية توظيف أموالهم، لأنهم يعرفون أنها تنفق بحكمة. وثمة تعليق آخر مُتكرِّر؛ هو: «نحن نرى نتائج». ويعنون بهذا أنهم يرون طُلابًا يؤدون أداءً أكاديميًا جيدًا في المدارس والدورات التحضيرية، فهم يرون طُلابًا من المدارس، التي استلهمت فكر گولن؛ يُقبَلون في أرقى الجامعات في تركيا وفي الخارج. وكثير منهم يصيرون أعضاءً في الحركة، والتي ينضمون إليها غالبًا عند التحاقهم بالجامعة. ومن الشائع سفر بعض أعضاء الدوائر المحلية لوسط آسيا وبلدان أخرى توجَد بها مدارس گولن، لرؤية إسهامات تلك المدارس. ويسمع الداعمون أيضًا قصصًا عن المرضى الذين يُعالَجونَ في مستشفيات گولن، ويسعدون جدًا للمعاملة الإنسانية التي يحظى بها هؤلاء المرضى على أيدي الأطباء والعاملين. وتتكرّر قصص الأشخاص المعوزين، الذين يتلقون معونةَ «كيمسه يوق مو Kimse Yok Mu» الإغاثية؛ في الدوائر المحلية وتتعزّز في الإعلام. وبما أن تجمُّعات گولن تحافظ على درجة عالية من التواصل من خلال حلقات الـ«صحبت» ووسائل الإعلام؛ فإن قصص نجاح مشروعات گولن تُحكى وتُكرَّر، وبذلك تضمن للمساهمين أن أموالهم يحسن استخدامها وتحقّق نتائج ملموسة.

الانضمام للحركة

كثير من المشاركين في الحركة سمعوا عنها للمرة الأولى عند إقامتهم في بيوت الطلبة، أو بمزاملتهم بعض المنتمين لها في الجامعة، أو عند حضورهم إحدى

الدورات التحضيرية. وسمع عنها آخرون من خلال العائلة أو الأصدقاء. فعلى سبيل المثال؛ أحد رجال الأعمال في إسطنبول كان له أخ في كلية الطب دعاه يومًا إلى أنقرة، عندما كان في المدرسة الثانوية. وأقام رجل الأعمال مع عشرين طالبًا من طلاب كلية الطب في أحد بيوت الطلبة التابعة لگولن. اكتشف على الفور إن هؤلاء الطُلاب يختلفون عن طلاب الجامعة الآخرين، من حيث قيمهم وطموحهم وسلوكهم تجاه بعضهم بعضًا. ويضرب مثالًا لذلك بتأخُره في الاستيقاظ صباح أول يوم، مما دعا أحد الطلاب للبقاء؛ ليُعِدّ له وجبة إفطار معتبرة قبل ذهابه للدَرس. وقد تأثَّر بالمجموعة، ورغب في معرفة ما يحفِّزهم للعيش معًا في بيت طلبة. وعلم أن الكثيرين منهم حصلوا على منح للإقامة هناك، منح يمولها رجل أعمال محلي. وأضاف: «عندما أصبحتُ رجل أعمال؛ تذكرت تجربتي وأردتُ أن أُصبح جزءًا من الحركة عن طريق دعمي للطلاب المعوزين».

ومثل الكثير ممن أجريت معهم مقابلات؛ سمع أحد المهندسين عن الحركة للمرة الأولى في الجامعة. في وقت كان يتأمل فيه حياته ويبحث لها عن معنى. وعرَّفه ابن عمه على أشخاصٍ ألهمهم گولن؛ كانوا طُلابًا في الجامعة ويعيشون معًا في بيت طلبة. فانضمَّ إليهم وصار جزءًا من تجمُّعهم.

مهندسون آخرون في المجموعة، فضلًا عن عدد من الأطباء الذين قابلتهم؛ تعرَّفوا على حركة گولن عندما حضروا الدورات التحضيرية في مدن عديدة في أنحاء تركيا. فعلى سبيل المثال؛ كان أحد المهندسين يبحث عن صُحبة فكرية، ولم يجدها في المجموعة القومية اليمينية التي كان ينتمي إليها. قال: «عندما تعرَّفت على من استلهموا فكر گولن في الدورات التحضيرية؛ وجدتُ كل ما كنت أبحث عنه. وجدت الدين والقومية والعلم والثقافة، ورؤية للعالم يُمكنني دعمها». ثُمّ استمع للأستاذ گولن مُتحدثًا، وكان يدعو الجميع لئلا يقتتلوا؛ بل أن يفهم بعضهم بعضًا، فقال إننا جميعنا بنو آدم، وفي مركب واحد. «بتبني أيديولوجية قومية؛ ترى الجميع أعداءك. لكن عندما تسمع الأستاذ گولن؛ تدرك بالفعل أن الجميع إخوة، ولا

فضل لأحد على أحد. لقد أرانا كيف تحدَّر المسيحيون واليهود والمسلمون جميعًا من نفس الجذور. لقد فتح الأستاذ ﮔولن أعيننا لنرى أننا أصدقاء. وقبل أن نراهم بوصفهم أشخاصًا مختلفين عنا؛ علَّمنا أن نراهم مُقرَّبين منا. واستمر يخبرنا بأننا نستطيع مساعدة أحدنا الآخر، حتى في مهننا وفي أعمالنا التجارية؛ وأنه يتعين علينا التفكير على نطاقٍ عالمي، وندعم أصدقاءنا كذلك للسفر إلى الخارج بدلًا من التركيز على تركيا».

وقد التحق عامل في أحد المصانع بدورة تحضيرية تدعمها الدولة في إسطنبول، ولكنه وجد أن الطُّلاب الذين أنهوا الدورة لم ينجحوا في إحراز درجات تؤهلهم للالتحاق بالجامعة. والتقى بعض الطُّلاب الذين التحقوا بدورات تحضيرية من التي ألهمها ﮔولن؛ فوجدهم أكثر جدِّية في الدراسة وفي رغبتهم بالتعلم، ومن ثم انتقل إلى تلك الدورة. هناك تعرف على أعضاء حركة ﮔولن ونما احترامه لهم، خاصةً المُعلمين المُتفانين في عملهم؛ والذين يقضون وقتًا إضافيًا مع الطُّلاب يفوق أعباء التدريس الاعتيادية. ورغب في معرفة ما يُحفِّزهم للعمل، فبدأ في التحدُّث معهم عن الأستاذ ﮔولن وأفكاره. وقد بُهِر بشدة ورغب في أن يكون مثلهم.

توليد الالتزام

ومن النتائج الإمبريقية الرئيسية لدراسة كانتر للطوبيا الأمريكية، والتي أثرت لاحقًا على أدبيّات الالتزام؛ أن استمرار وجود أي مجتمع أو تنظيم مرهون بمواجهة ثلاثة تحديات أساسية تتعلق بالالتزام.[1] التحدي الأول هو إدراك الأفراد أن حفظ مصلحتهم مُعلَّقٌ بالمشاركة الجماعية.[2] ثانيًا أن يستشعر الأفراد تضامُنًا فاعلًا

(1) Kanter (1968).

(2) Konovsky and Pugh (1994); Rioux and Penner (2001).

مع المجموعة.[1] وثالثًا أن يجد الفرد سلطة أخلاقية متجاوزة له في المجموعة.[2] ويمكن اختصار تلك الآليات في شكل إستراتيجيات تسعى من خلالها المجموعة لتقليص قيمة أي التزامات خارجية محتملة، لزيادة قيمة الالتزام تجاه المجموعة. وبعبارة أخرى؛ هي عمليتا فصل العضو عن الخيارات الأخرى ووصله في ذات الوقت بالمجتمع أو التنظيم الذي ينتمي له. ويُظْهِر بحث كانتر، على وجه التحديد؛ وجود علاقة إيجابية بين التضحية والاستثمار خصوصًا فيما يتعلّق بتوليد الالتزام. فكلما زادت كلفة التضحية؛ عَظُمَت القيمة التي يوليها الفرد لأهداف المجموعة. وتؤيّد المعلومات التي جاءت في هذا الكتاب حُجَّة بحث كانتر، وذلك بإظهار أن المساهمات المالية لمشروعات گولن لا تعكس فحسب الإيمان بأهداف الحركة؛ بل تبيِّن أيضًا أن العطاء نفسه هو آلية التزام للارتباط بالمجموعة.

وفي تصوّر الباحث نفسها؛ تُصبح أهداف المجموعة مشحونة بغائية حياة الفرد وتجسد معناها. وتغذي أهداف المجموعة شعور الفرد بذاته، وتصير المجموعة امتدادًا للذات، وهكذا يرتبط الفرد بالمجموعة ارتباطًا وثيقًا، ويتم تجاوز أول التحديات الأساسية لبقاء ونجاح المجموعة. وقد بيَّنتْ حواراتنا مع الداعمين لحركة گولن أنهم يَرون في أهداف الحركة أهدافًا شخصيةً لهم. فكونهم جزءًا من حركة گولن، ومشاركتهم في الدوائر المحلية، ومساهماتهم في المشروعات التي تدعمها الحركة؛ هو أمر مركزي في هويتهم.

وبالروابط الفاعلة، التي تتطور داخل المجموعة أثناء العمل الجماعي في مشروعات غائية مثمرة؛ تتجاوز المجموعة التحدي التنظيمي الثاني. وتُضيف حقيقة كون العديد من الدوائر المحلية مبنية على أفراد يتشاركون الاهتمامات التجارية أو المهنية؛ تضيف مزيدًا من التضامن إلى ما نشأ في المجموعة. وكلّما

(1) Van Vugt and De Cremer (1999); Fine (1986); Jacobsen (1988).

(2) Hales (1993).

اندمج الفرد في مجموعة؛ زادت مشاركته.[1] وتُعَّد المشاركة تعبيرًا عن الانتماء إلى فئة اجتماعية معينة، وهي من ثم جني لثمار فردية بما أن الفرد جزء من كل أكبر. كذا، كلّما زادت كثافة المشاركة الجماعية في شبكة العلاقات؛ كانت تعبئة الحركة أسرع.[2] وتُيسِّر حركة گولن، ومن ثم تزيد؛ تطلعات الفرد للمشاركة في المشروعات الخدمية، وذلك من خلال علاقته بأشخاصٍ آخرين أصحاب تفكير ونوايا متشابهة.

والتحدي الثالث، أن يجد سلطة أخلاقية متجاوزة لذاته في المجموعة؛ هو ما تُمثِّله المناقشات المُستمِّرة لتعاليم الأستاذ گولن، وكذا المشاركة في قراءة القرآن والأحاديث النبوية. وبالتالي؛ تتجاوز الأهداف والدوافع الكامنة خلف المشروعات الخدمية مُجرّد مساعدة الآخرين. إذ تتجذَّر في اعتقاد الجماعة بأنهم جزءٌ من خلق الله المتجدد ورعايته الدائمة لعباده.

وتذهب كانتر في مقاربتها؛ إلى أن التضحية آلية أخرى للالتزام الفردي تجاه حياة المجموعة وأهدافها. إن إنفاق الفرد وقته وموارده، في سبيل المجموعة؛ لا يُعَدُّ فقط مؤشرًا على الالتزام بالمجموعة، بل هو يُنشيء الالتزام نفسه. وبعطاء الأفراد، في حركة گولن؛ من مواردهم الشخصية لحياة المجموعة ومشروعاتها، فإن فعل العطاء نفسه ينتُج عنه تكثيف الالتزام نحو المجموعة وقيمها.

وفي نفس الوقت؛ تعمل القيم الإسلامية الأساسية، التي تدفع أعضاء الحركة للمساهمة بالوقت والطاقة والتبرعات المالية لمشروعات گولن؛ على بناء التزام قوي من جانب الأفراد نحو الحركة. إن مكمنَ قوة أساسيًا في الدوائر المحلية هو تذاكر أفرادها المستمر لتلك القيم التي تستند إلى القرآن والسُنَّة النبويّة وأعمال الأستاذ

---

(1) Klandermans (1989).

(2) Melucci (1999).

گولن. وبالتالي؛ فالدوائر توفِّر الدافع الروحي للعطاء، ليمتد دورها أعمق كثيرًا من كونها مجرد محافل لجمع التبرعات. وسواء كان ذلك عن وعي أم لا؛ فإن الهيكل الذي تطوَّر داخل حركة گولن مُتجذِّرٌ في مبادئ تنظيمية سليمة، وهو ما يتجلى في نمو الحركة حول العالم.

الفصل الخامس

ثقافة العطاء الإسلامية التركية[1]

لفهم الدوافع والحوافز وراء الالتزام بالخدمة، ودعم ملايين الأتراك المالي لحركة گولن؛ من الضروري فهم بعض الممارسات الثقافية والدينية المرتبطة بأعمال البر والإحسان في التاريخ التركي. إذ جليٌّ أن الحركة بدأت في تركيا، وينظِّم أنشطتها في الغالب مواطنون أتراك أو مهاجرون أتراك حول العالم. وبصرف النظر عن نتيجة ذلك؛ فقد خلُص العديد من الباحثين إلى أن الحركة ترتبط في جوهرها بالثقافة التركية، وخاصةً الفهم التركي للإسلام.[2] ومالَ باحثون آخرون إلى وصفها بأنها حركة «تشهد على إحياء التقاليد في العصر الحديث»، وأنها الإسلام التركي القابع في قلب هذا التقليد.[3] ولذا؛ فمن المستحيل تحليل دوافع الأتراك للتبرع بهذا السخاء لأنشطة الحركة، دون إدراك قيم العطاء وحُسن الضيافة المتأصِّلة في الثقافة التركية.

أحد جوانب حركة گولن، الذي تداوله الإعلام حديثًا دون اهتمام كافٍ بالسياق الثقافي والتاريخي؛ هو كيفية تمويل الحركة والعدد الكبير من المؤسسات والأنشطة. إضافة إلى البحوث الأكاديمية المحدودة في تلك المسألة؛[4] فقد نشرت وروَّجت

(١) هذا الفصل كتب بالاشتراك مع الدكتور «زخاري باسكال Dr. Zachaky Baskal».

(2) Yavuz and Esposito (2003); Park (2007); Fuller (2008).

(3) Ozdalga (2000); Michel (2005); Ergene (2007).

(4) Ebaugh and Koç (2007); Kalyoncu (2008).

بعض الصحف والمجلات ومحطات التلفاز والمدونات، التركية والعالمية؛ عددًا من الاتهامات حول المصادر المالية للحركة. واختلَقت مزاعِم بتلقي الحركة تمويلًا من مصادر أجنبية مُتعارضة؛ مثل: وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، والموساد، والفاتيكان، والسعودية، وإيران، والاتحاد الروسي. وافترضت المعارضة السياسية والأيديولوجية أن الأفراد الذين يدعُمون مؤسسات الحركة وأنشطتها، ماديًا أو من خلال التطوّع أو التعاون الرسمي؛ قد حفَّزتهم لذلك نية الحركة في الوصول إلى السلطة السياسية و/ أو تحويل الشعب/ العالم إلى الإسلام الراديكالي أو الكاثوليكية. وبرغم ذلك؛ فإن المعلومات التي حصلنا عليها، خلال المقابلات التي أجريناها؛ تُظهِرُ أن معظم الداعمين للحركة تقريبًا، سواء كانوا من الأتراك المسلمين أو غير أتراك أو حتى متعاطفين غير مسلمين؛ إنما تحفزهم حاجة إنسانية ملحة للعطاء. يوضِّح «غراهام فولر»، النائب السابق لرئيس مجلس الاستخبارات القومي في وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، وأخصائي العلوم السياسية في مؤسسة راند، والخبير في كل من الشرق الأوسط والعالم الإسلامي؛ أن عدد مدارس گولن، على سبيل المثال؛ يتزايد على الدوام، وذلك بفضل سخاء رجال الأعمال الأثرياء، الذين يعتبرون تلك الأعمال ليست فقط شكلًا من أشكال الزكاة، بل هي أيضًا إدراكٌ للإحسان؛ ذلك الدافع الروحي العميق لتفعيل إيمان الفرد، بهدف الترقي الروحي الكامل من خلال «القيام بأعمال حسنة»، ويقول أيضًا:

> «...أطلقت حركة گولن برنامجًا رائدًا بنى شبكة من مئات المدارس. ومصدر تمويلها من داخل تجمُّعاتهم ومن رجال الأعمال الأثرياء، الذين صار بناء المدارس عندهم هو المعادل الحديث لبناء المساجد».[1]

ويعتمد تفسير فولر، لرغبة رجال الأعمال الأتراك المسلمين الواضحة في تمويل المبادرات التعليمية للحركة؛ على المفاهيم الإسلامية تحديدًا. وبالتالي؛ فإن استكشافًا سريعًا لثقافة العطاء وحُسن الضيافة، في تركيا خصوصًا وفي الإسلام بشكل عام؛

(1) Fuller (2008).

سيُلقي الضوء على الموضوعات ذات الصلة بأنشطة الحركة، ومصادر تمويلها، ودوافع الأفراد الذين يُسهمون في الحركة بوسائل متعددة. وإن أكثر العناصر أهمية في أي حركة إيثارية اجتماعية، بما يشمل حركة گولن؛ هو رغبة أعضائها في العطاء من وقتهم وأموالهم وطاقتهم، دون انتظارٍ لأي مكاسب مادية في المقابل. وفي هذا الفصل، سنُبرهن على أن بعض العناصر الأساسية التي تُعرِّف وتُحدِّد خصائص حركة گولن مثل الإيمان بالفضائل وممارستها، كالتضحية بالنفس والعمل الخيري والإحسان؛ هي عناصر مُتجذِّرة بعمق في الثقافة الإسلامية التركية.

إذ لقيم العطاء وحُسن الضيافة جذورٌ تاريخية عميقة في الثقافة التركية. ويمكن تتبُّع أصول التقاليد المرتبطة بالكرم وحسن الضيافة والعمل الخيري إلى حضارات آسيا الوسطى، التي تحدَّر منها الأتراك. وقد اعتنق الأتراك الرُحَّل، الذين عاشوا في آسيا الوسطى؛ الإسلام في القرنين التاسع والعاشر. ومن بين الأسباب المختلفة لاعتناق هؤلاء الأتراك الإسلام هي أوجه التشابُه العديدة بين أنماط حياتهم وقيمهم وأخلاقهم قبل الإسلام، وبين تلك التي ينُصُّ عليها الإسلام. ومن المقطوع به أن الإسلام قد عزَّز ثقافة تركيا قبل الإسلام، وأضاف إليها بُعدًا روحيًا، وأكسبها طابعًا مؤسسيًا، إضافةً إلى القطيعة مع بعض الممارسات غير المرغوب فيها؛ مثلما حدث جراء تفاعُل الديانات الرئيسية الأخرى مع الثقافات المحلية.

وبعض العادات والتقاليد والممارسات، التي تُنسَب عادةً إلى الإسلام؛ ربما تكون موروثة من الثقافة التركية قبل الإسلام. ولكن بما أن الإسلام قد جاء بعاداتٍ وتقاليد جد مشابهة؛ فمن الصعب معرفة أيها مصدره الإسلام وأيها مصدره الثقافة التركية القديمة. ومع الأخذ في الاعتبار الرجحان الواضح لتداخُل مُعظم العادات التركية الإسلامية وتلك السابقة على الإسلام، فيما يتعلَّق بالعطاء وحسن الضيافة؛ فسوف نتعامل معها بوصفها جزءًا موروثًا من «الثقافة التركية» حتى نهاية هذا الفصل. لابد أيضًا من الإشارة إلى حقيقة أن الرؤى الكونية وممارسات طُرق دينية معينة (مثل الطريقة الصوفية المولوية في قونيه) وثمارها الدينية-الثقافية (على سبيل

المثال المجلدات الستة للديوان الشعري المعروف بـ«المثنوي المعنوي» لمولانا جلال الدين الرومي) قد بلورت المعايير الثقافية للمنطقة، وتوحَّدت معها؛ بصورةٍ تجعل من المستحيل تمييز أحدهما عن الآخر.

أحد أهمّ مصادر التاريخ التركي المبكر هو نصٌّ بعنوان «حكايات دَدَه قورقوت Dede Kurkurt Hikayeleri»، التي تدور وقائعها في العصر البطولي للأتراك الغُز (oghuz) في القرن الثامن الميلادي. وتوثّق هذه الأساطير الملحمية تحوّل القبائل التركية من الشامانية إلى مجتمع مُسلِم، فضلًا عن استمرارية ثقافة عطاء وحسن ضيافة بارزة. فعلى سبيل المثال؛ نجد جنبًا إلى جنب مع حكايات شرب الأتراك الغُز للخمر وأكلهم لحوم الخيل، وهي عادات غير مألوفة بين المسلمين حاليًا؛ وصفًا لراوٍ عن رجل يؤذن للصلاة؛ يقول: «عندما رفع الفارسي طويل اللحية الأذان»، وهي إشارة إلى أن الدين الجديد لم يكن بعد مقبولًا بالكامل، كعنصر متأصّل في المجتمع التركي. وتصِف نفس القصص اللقاءات الاجتماعية والدعوات لها وصفًا دقيقًا؛ حيثُ كان رئيس العشيرة أو رب الأسرة يُنظِّم وليمة كبيرة ويُوزِّع هدايا كثيرة على الضيوف. ومن المؤكَّد أن مجتمعات الأتراك قبل الإسلام قد عرفت مناسبات عدة للولائم والاحتفالات المرتبطة بالعطاء؛ مثل الميلاد والزواج، واحتفالات تسمية المواليد، وعودة أعضاء العشيرة من أراض أجنبية، وطقوس التمني والموت. ومن بين الممارسات التركية القديمة، التي ما زالت حيّة في تركيا المُعاصرة؛ ولائم الزفاف والزيارة العائلية لطلب يد فتاة للزواج، وذبح حيوان وليمةً للضيوف.

إن المجتمع التركي اليوم معروفٌ بحسن ضيافته (misafirperverlik)، ودائمًا ما يشهد زوّار البلاد بدفء الضيافة التركية. يشرح مؤلف كتاب «التقاليد والتغيير في بلدة تركية» تلك الظاهرة؛ فيقول:

> «تصعُب المبالغة في أهمية الكرم وحسن الضيافة بين الأتراك وغيرهم من الشرق أوسطيين. فإن أي شرق أوسطي يتمتّع بسمعة امتلاك هاتين الفضيلتين؛ يحظى بتقدير واحترام أفراد مجتمعه. فالضيوف في بيت تركي

يجب أن يعامَلوا كالملوك. يُقدَّم لهم أفضل أمكنة الإقامة، وأفضل الطعام والشراب، ويصرف كل من في المنزل جُلّ اهتمامه وعنايته إلى راحتهم ... وفي المقابل؛ يجب أن يكون الضيوف في غاية الامتنان والتهذيب، وأحد أكثر الطُرق المفضلة لتعبير الضيوف عن شكرهم لمضيفيهم هي عبارة: تقبّل الله منكم؛ في إشارة إلى أن الكَرَم وحُسن الضيافة من فضائل التقوى».[١]

وفي العديد من الأعمال الأنثربولوجية؛ يتم التعامل مع حسن الضيافة عند الأتراك على أنه أمر مسلَّم به، ومن المثير للدهشة؛ قلة عناية الباحثين بالأسباب الكائنة وراء هذا السلوك الإيجابي الغامر لأعضاء المجتمع تجاه الضيوف وواجبات الضيافة.[٢]

وبرغم أن أشكال الضيافة التركية تتغير في المناطق الصناعية والحضرية الجديدة، نتيجة لتغيُّر عادات العمل والتركيبة السكانية؛ إلاَّ أنه لازال بالإمكان ملاحظة حُسن الضيافة بسهولة. وتتجذر العديد من التعبيرات والمُعتقدات، التي تحافظ على ثقافة حُسن الضيافة وتُشجِّعها في تركيا المعاصرة؛ في الإسلام، وكذلك في ثقافة الرُحَّل قبل الإسلام.

وتزودنا حكايات «دَدَه قورقوت»، على سبيل المثال؛ بنماذج عديدة على كرم الضيافة التركية. فعندما يموت أحد أعضاء العشيرة؛ يذبح أقاربه خيوله ويُعِدّون وليمة الجنازة. وعندما يكون قادة المجتمع على وشك اتخاذ قرار، أو الإعلان عن أمر من شأنه التأثير على الجميع؛ فإنهم يَدْعون أعضاء قبيلتهم إلى وليمة باذخة، ويَدَعونهم يغنمون كل ما في المائدة بما في ذلك الأواني. وبعض القصص تطوي إشارات إدانة، أو على الأقل الحط من شأن المنازل أو الخيام التي لا تستقبل ضيوفًا. ويقول «دَدَه قورقوت»، حكيم مجتمع العشيرة وصاحب القداسة؛ في ذلك الوقت: «من الأفضل تدمير الخيام السود التي لا يرتادها الضيوف». وفي تلك القصص؛

---

(1) Magnarella (1974).

(2) See, for example; Piece (1964), Magnarella (1974), and Delaney (1991). These authors are appreciative of Turkish hospitality, but they provide little explanation for it.

فالشخص الذي يُطعِمُ الفقراء ويُكرِم ضُيوفه، أو يقيم وليمة كبيرة؛ تتحقق جميع أمنياته. وفيما يلي نصيحة لزوجة أراد زوجها طفلًا، لكنها عجزت عن الإنجاب لسنوات طويلة:

قُومي واستنهضي همتك،
وفوق وجه الأرض انصبي خيامك الملوّنة،
وليذبح رجلك من الخيولِ الفحولَ، ومن الإبل الذُكورَ، ومن الأغنام الكباش.
واجمعي حولك نبلاء «الغُز» في الداخل والخارج،
وانظري الجائع؛ وأتخميه
وانظري العاري؛ ودثّريه
واستنقذي المدين من دينه.
كدِّسي تلال اللحم، ودعي بحيرات اللبن الرائب تَسِلْ؛
اصنعي وليمة هائلة واطلبي ما تشائين، وخلّهم يدعون،
فلأجل أفواهٍ ازدحم فيها الدعاء تشدو بمدحك؛
الله قد يرزقنا بطفل جميلٍ سليم.[1]

بعض التعبيرات والممارسات الأخرى لكرم الضيافة قد تكون هي أيضًا من بقايا ثقافة ما قبل الإسلام، برغم أن الإسلام دعم نفس الرؤية. فعلى سبيل المثال، إذا طرق غريب الباب؛ وجبت دعوته إلى دخول المنزل، وأن يُوفَّر له المأوى والغذاء السخي لمدة ثلاثة أيام. وفقط عند انتهاء الثلاثة أيام؛ يُسأل عن سبب الزيارة. هذا الإطار الزمني المُحدّد بثلاثة أيام نجده جليًا في كلٍ من الفولكلور الشفاهي التركي والأمثال الشائعة،[2] والعديد من المرويات من سيرة النبي محمد (ﷺ) وأحاديثه. ويدعو الأتراك الضيف، الذي يحل بغير سابق إنذار للمُضِيف؛ «ضيفًا من الله Tanrı Misafiri».

---

(1) Dede Korkut (1974).

(٢) راجع، على سبيل المثال؛ الصيغ المختلفة من المثل التركي السائر: «الضيافة ثلاثة أيام». ويُدلل هذا المثل على أن الإقامة لمدة ثلاثة أيام ضيفًا مقبولة من الطرفين؛ لكن الإقامة أكثر من ذلك قد تشكل عبئًا على المُضيف، ما لم يشرع الضيف بالمساعدة في أمور المنزل مثله مثل أعضاء العائلة.

ويُشير الاستخدام الغريب للفظة «Tanrı» التركية، في الإشارة إلى الإله؛ بدلًا من «الله»، المستخدمة في العربية أو الفارسية؛ إلى احتمال أن تكون تسمية الضيف غير المتوقَّع ترجع لفترة ما قبل الإسلام. وبالفعل، فحين يُصنِّف راوي حكايات «دَدَه قورقوت» النساء إلى ثلاث فئات، ويصف ميزات كل منها؛ يمتدح أكثر المرأة التي تستضيف الضيف وتطعمه، وإن لم يكن زوجها حاضرًا في المنزل. هذه الممارسة، التي حظيت في وقتٍ لاحقٍ بإقرار الدين، مع بعض القيود المتعلقة بتقسيم المساحات المادية داخل المنزل، وملابس الرجال والنساء، وسلوكهم وخطابهم في حالة الاختلاط؛ هي من الممارسات التي استمرّت كجزء من نسيج الثقافة التركية إلى يومنا هذا.

ومع ذلك؛ فمن الممكن أيضًا أن يكون التعبيرُ مستمدًا من الإشارة القرآنية إلى استقبال النبي إبراهيم (عليه السلام) وضيافته لثلاثة من الضيوف «المجهولين»، الذين يتضح لاحقًا أنهم أمين الوحي جبريل واثنين آخرين من الملائكة؛ يحملون له البشرى بأن زوجته سارة ستَلِدُ له ولدًا، ويُحذِّرونه من تدمير سدوم وعموره، ويزفون إليه نبأ نجاة ابن أخيه لوط وحفنة من المؤمنين. هذا الدافع الديني الحار لاستقبال الضيوف، غير المتوقعين والمسافرين أو حتى الغرباء ببابك؛ يعبّر عنه مثل مسجوع؛ يقول: «كل ليلة هي ليلةَ القدر، وكل ضيف ببابك هو الخضر».[1] ويُشير هذا المثل إلى شخصية الخضر (عليه السلام)؛ وهو ولي أو نبي مُسلم يُعتقد بظهوره وقت الحاجة، وقد وُهِبَ القدرة على معرفة الغيب، وعُرفت روحه بظهورها للأتقياء على وجه الأرض. ولذلك؛ يُشجِّع الأتراك على معاملة الغرباء، الذين يطرقون أبوابهم؛ كما سيعاملون وليًا زائرًا. يُشير المثل أيضًا إلى أن الضيافة في الحياة اليومية هي في أهمية الاستعداد الروحي لليلة القدر، وهي ليلة غير مُحددة من ليالي النصف الأخير من شهر رمضان، وتعتبر ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾؛[2] كما يصفها القرآن.

---

(1) Her geceyi Kadir bil, her geleni Hizir bil.

(٢) سورة القدر؛ الآية ٣.

وثمة مفاهيم وممارسات إسلامية أخرى محدَّدة للعطاء؛ تجذَّرت بسرعة في الثقافة التركية القديمة، وهاجرت مع الأتراك الرُّحَّل عبر مراعي آسيا الوسطى إلى الأناضول، ودخلت فيما بعد إلى شمال أفريقيا والبلقان تحت رعاية الإمبراطورية العثمانية. وثمة طرق معينة للعطاء وصفها القرآن وحثَّ عليها الرسول (ﷺ)، وقد وُجِدت لها ترجمة ثقافية في المجتمع ما قبل العهد العثماني، وفي المجتمع العثماني، وفي المجتمع التركي المعاصر. والمفاهيم الرئيسية التي ستتم مناقشتها هي: الصدقة، والزكاة، والأضحية، والوقف، ومؤسسات الأخية، والبركة، وحسن الجوار، والقرض الحسن. وفي هذا السياق؛ سنستعرض أيضًا الأهمية السوسيولغوية للأمثال والتعبيرات الاصطلاحية التركية الشائعة، والمتعلقة بالعطاء وحسن الضيافة والجوار. وأخيرًا؛ سوف نُشير بشكل مُختصَرٍ إلى الطُرق التي وفّرت من خلالها القيم والأنشطة والخطاب، التي تبنتها حركة گولن؛ نافذة جديدة للتعبير الفردي والجماعي عن التقاليد الإسلامية التركية المرتبطة بالعطاء.

المفاهيم الأساسية المرتبطة بالعطاء في الثقافة التركية

- الصدقة (Sadaka):

أحد أهم الممارسات النبوية التي تُشجِّع الأتراك على العطاء هي «الصدقة»؛ وهي «مِنحةٌ خيرية تُعطى بنية إرضاء الله، ورجاء الجزاء الحسن في الآخرة»، دون السعي لأي مكاسب دنيوية؛ مثل الشهرة أو السلطة أو المكانة الاجتماعية.[1] وليس ضروريًا أن يكون المستفيدون من الصدقة أتباع دينٍ بعينه. إذ يتلقى التبرُّعات كل من يحتاج إليها. وبرغم أن الصدقة تُفسَّر عادةً بالشيء النقدي أو الملموس؛ فإن الأحاديث النبوية تربطها بفعل المعروف، أيًا كان؛ حتى تبسُّم المسلم في وجه أخيه يمكن اعتباره صدقة، مع وعد لصاحبها بالجزاء الروحاني. وهكذا؛ يستطيع الناس

(١) من المثير أن اللفظة العربية «الصدقة»؛ مُشتقة من الصدق.

التصدُّق بالمال أو الطعام أو الماء أو الملابس أو الكتب أو الخبرة المهنية أو وقتهم. وتؤكِّد الإشارات المتعددة للصدقة في الأحاديث النبوية، خصوصًا؛ على علو مرتبة الصدقة في الأحوال التالية: الصدقة التي تُعطى للجار القريب أو الأقرباء، والصدقة يوم الجمعة أو في رمضان، والصدقة التي تُعطَى في مكة أو المدينة أو القدس، والصدقة التي تعطى في السرّ، والصدقة التي تطوي إيثارًا. فهذه الصدقات، على سبيل المثال؛ أجرُها مضاعف.[١]

ولاتزال الصدقة ممارسة واسعة النطاق في الثقافة التركية الحديثة، سواء كان المتصدِّقون يُعرِّفون أنفسهم بأنهم متديّنون أم لا. وفي زمن العثمانيين؛ كانت الصدقة تُعطَى في مناسبات عدة، وتُوضَع خفية سواء في صندوق تبرعات المسجد، أو على «حجر الصدقة Sadaka taşı» خارج المسجد أو في الشارع، أو في يد ممثِّل الوقف أو الحكومة المحلية، وكلاهما كان يدير مطابخ مفتوحة لإطعام العامة حساءً. وقد ضمنت تلك الممارسات حصول الأفراد المعوزين على ما يحتاجون بسهولة، دون التضحية بشرفهم العائلي أو بالكرامة الشخصية (تعني دون إراقة ماء وجوههم).[٢] وقد آمن معظم الأتراك العثمانيين باعتقاد إسلامي مفاده أن إخلاص الصدقة يُساعِد المسلم على درء شرور هذا العالم، ويهون عليه سؤال القبر، ويرفع درجته في الآخرة.[٣] ورغم أن حركة التغريب، التي بدأت في عصر التنظيمات واكتسبت قوة لا تقاوم تقريبًا خلال السنوات الأولى للجمهورية التركية؛ أقحمت القيم العلمانية والقومية في كل مجالات الحياة بطريقة سلطوية، «من أعلى إلى أسفل»؛ ومن ثم يمكن القول أن تلك القيم لم تمثل بديلًا حقيقيًا للإسلام، الذي وفَّر للأناضوليين الهويّة والمبادئ المنظمة للحياة لفترة طويلة. يقول «ريتشارد تابر»:[٤] «وعلى المستوى

(1) For more detailed information on the hadiths referencing sadaka, see the ‹sadaka› entry in *the Encyclopedia of Islam*, vol 26.

(2) Gülen (2005).

(3) Akyol (2008).

(4) Tapper (1991).

العام؛ لم يكن ذلك بديلًا عن القوانين المقدسة للإسلام. وعلى المستوى الفردي؛ لم يستطع أن يُلبِّي الاحتياج للأخلاق والإيمان بالآخرة». وهكذا؛ استمرت العديد من الممارسات الإسلامية، كالصدقة؛ في العصر الحديث.

وفي المجتمع التركي الحديث؛ تُمنح الصدقة في مناسباتٍ عدة، ولو بطريقة أقل وعيًا بالدين من قِبل بعض الأفراد. والمناسبات الأكثر شيوعًا للتصدُّق (عن طريق صندوق التبرعات في المسجد المحلي، أو التضحية الآنية ببقرة أو كبش وتوزيع لحومها على الفقراء، أو التحويلات الإلكترونية لتمويل المؤسّسات الخيرية)؛ هي: قبل ولادة طفل لزوجين شابين أو بعد ميلاد الطفل، قبل الشروع برحلة أو بعد اكتمالها، قبل بدء مشروع وبعد انتهاء المشروع، بعد رؤية حُلم سيء أو للحيلولة دون وقوع تأويله، وقبل أن تُزوِّج العائلات أبناءها أو بعد انتهاء حفل الزفاف، وعندما يعرف الأهل أن أبناءهم في انتظار مولود وبعد ولادة الطفل، وقبل إرسال أبنائهم للخدمة العسكرية وعند عودة أبنائهم من الخدمة. والأتراك الأكثر تديّنًا يحتفظون بصندوق تبرعات قُرب مدخل منزلهم، ويضعون به الفكّة في كل مرةٍ يخرجون فيها من المنزل. كذا يتصدّقون تكفيرًا للذنوب أو شكرًا لله بعد نجاتهم من كارثة كبيرة. والصّدقة يُخرجها الأحياء عن أنفسهم وتُخرَج كذلك نيابة عن الأموات. وثمة سنةٌ نبوية، ستتم مناقشتها على نطاق واسع في الجزء المتعلّق بـ«الوقف Vakıflar»؛ وهي تشجع ذُرِيَّةَ الشخص المتوفى على التصدُّق. ولهذا السبب؛ فإن أبناء المتوفى غالبًا ما يغتنمون أية فرصة للتصدق، ليس فقط لإرضاء الله؛ ولكن لتقر أرواح أحبائهم.

- الزكاة (Zekat):

وبرغم أن الصدقة هي مبلغ أو مساهمة طوعية؛ فإن معظم الأتراك يُقرّون بشكل ديني مؤسسي إلزامي لها، يسمى الزكاة. والزكاة هي إخراج إلزامي لجزء معين (٢,٥٪) من مجموع ثروة الفرد، إذا ما امتلك رأسَ مال أو ممتلكاتٍ تزيد عما يلزمه ليعول عائلته، ويخرجها للفقراء مرَّة في كل سنة. ويُعتبر هذا العطاء للمحتاجين، من ثروة جمعت بطريق حلال تطهيرًا وزيادةً لها. إذ شبَّه القرآن العمل الخيري ببذر

البذور الذي يعود على صاحبه بالأجر العظيم: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.[١]

والفهم التركي للإسلام، عمومًا؛ ينسجم مع التأويل السُّنِّي، والذي يفرض على كل مسلم قادر الوفاء بأركان الإسلام الخمسة. فجنبًا إلى جنب مع النطق بلفظ الشهادة، «أشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله»؛ والصلاة خمس مرات في اليوم، والصوم، والحج إلى مكة؛ تأتي الزكاة باعتبارها ركنًا أساسيًا فُرِضَ على المؤمنين القادرين اقتصاديًا. والإشارات الواردة في القرآن تجعل الزكاة إلزامية لكثير من المسلمين. ولا يمكن اعتبار الزكاة عملًا تطوعيًا لأنها أحد أركان الإسلام، ولا يستطيع المسلم منعها إذا كان قادرًا اقتصاديًا. ووفقًا للقرآن والعديد من الأحاديث؛ فإن لمتلقي الزكاة، مثل الفقراء؛ حقًا طبيعيًا وأصيلًا فيها، وبإخراج الزكاة؛ فإن دافعها يؤدي واجبه الديني بكل بساطة ليس إلَّا. وتقدِّر الأدبيات الإسلامية الزكاة بوصفها وسيلة هامة لإعادة توزيع الثروة بين أفراد المجتمع، فضلًا عن دورها في الوقاية من تفاقم بعض الأمراض المجتمعية بسبب الفقر؛ مثل السرقة والدَّعارة. وبالتأكيد؛ فإن الصدقات المنتظِمة، التي تُمنَح للفقراء؛ تُسهِمُ في الانسجام والازدهار الاجتماعي. كذا تدعم الزكاة العلاقات بين قطاعات مختلفة من المجتمع وتوفِّر له الاستقرار. ومن شأنها غرس روح المدنية، ومعالجة المشكلات الاجتماعية، وتعزيز أواصر المحبة والصداقة بين أفراد المجتمع.[٢] والآيات القرآنية، التي تعتَبِرُ الزكاة عملًا إلزاميًا؛ تتوعَّد المسلمين الذين يمنعونها بعذاب الجحيم.[٣]

---

(١) سورة البقرة؛ الآية ٢٦١.

(2) Karakaş (2002).

(٣) راجع على سبيل المثال سورة آل عمران، الآية ١٨٠؛ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

وتحوي إحدى آيات القرآن[1] قائمة مُفصَّلة بمن يستحق الزكاة؛ وهم: الأقرباء المعوزون، والجيران، واليتامى، والفقراء والمساكين، والغارمون، وأبناء السبيل، وفي الرقاب لتحرير الأسرى والعبيد، والعاملون عليها، والمؤلَّفة قلوبهم. وقد طور الفقهاء لاحقًا مجموعات فرعية تندرج تحت هذه الفئات، ليتسع نطاق مُستحقي الزكاة. ونتيجةً لذلك؛ فإن القاعدة الأساسية لإخراج الزكاة هي البدء من المركز (أي بالأشخاص الأقرب إلى المرء) ثمَّ التوسُّع إلى المحيط الخارجي. وبعبارة أخرى؛ فالمسلم الملتزِم يُخْرِج زكاته أولًا للأقارب والجيران المعوزين، ثم، ما لم يكن هناك مستحِقٌّ بينهما؛ تُمنَح الزكاة بعد ذلك لمعوزين آخرين. كذا يُفضَّل التوزيع المحلي للزكاة، على توزيعها في النطاق القومي أو الإقليمي.

صورة أخري من صور الزكاة أو الصدقة الإلزامية هي صدقة/ زكاة الفطر، التي يحين إخراجها في نهاية شهر رمضان من كل عام. وعادة تكون قيمة صدقة الفطر ما بين عشرة و٢٥ دولارًا، أو مقدار المال الذي يكفي لإطعام مسكين ليوم واحد،[2] وعلى عكس الزكاة، التي هي إلزام للمسلمين من عُمرٍ وحالة اقتصادية معينة؛ فإن صدقة الفطر يجب أن تُدفَع عن كل فردٍ من أفراد العائلة القادرة اقتصاديًا. ويُنظَر إلى صدقة الفطر بوصفها وسيلة «تسوية موازين»؛ تسمح لأعضاء المجتمع الفقراء بالاحتفال بعيد الفطر، الذي يُعَدُّ عطلةً رئيسية في نهاية شهر رمضان.

وفي التاريخ الإسلامي المبكر؛ كانت الدولة تجمع الزكاة في صورة ضرائب. وفي قرون لاحقة؛ كانت تُجمَع بصرامة أحيانًا، وفي أوقات أخرى كان الأفراد يُخرِجونها إذا أرادوا. وحتى في ظل إدارة بيروقراطية بشكل كبير مثل إدارة العثمانيين (منتصف القرن الثالث عشر وإلى أوائل القرن العشرين)؛ لا يبدو أنه كان ثمت طريقة رسمية لتقييم الثروة، لجمع الزكاة؛ ولذلك كانت قيمتها معلقة بالضمير

---

(١) سورة التوبة، الآية ٦٠؛ ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾.

(٢) كانت أجولة الحبوب والتمر والعنب، في الماضي؛ صالحة لزكاة الفطر (sadaka-yi fitir).

الشخصي.[1] وفي بداية القرن العشرين، ومع إفساح الخلافة الإسلامية المجال للدول القومية المستعمَرة أو شبه المستعمَرة، وتخلي العديد من الحكومات عن جمع الزكاة لصالح النُظم الضريبية على الطريقة الغربية، فقد وكِّل قرار إخراج الزكاة من عدمه، رسميًا؛ للأفراد أنفسهم. وعندما فككت المبادرات القومية العلمانية في تركيا العديد من المؤسَّسات الإسلامية في ثلاثينيات القرن العشرين، تم تعيين «مؤسسة الطيران التركية Turk Hava Kurumu» التي تأسّست عام ١٩٢٥م؛ مؤسسةً غير هادفة للربح يمكن أن يمنحها المواطنون زكواتهم. وبدافع القلق من ألا تلتزم هذه المؤسسة بالنصوص الدينية؛ بدأت منظمات مدنية أخرى مَهمة جمع وتوزيع الزكاة. وبالتأكيد؛ صارت الزكاة في تركيا المعاصرة مصدرًا ماليًا هامًا للغاية للمنظمات الخيرية غير الحكومية، وللمجتمع المدني بوجه عام.

أحد العناصر الهامة في إخراج الصّدقة أو الزكاة أو صدقة الفطر هو السريّة. إذ تُقرِّر السنة النبوية: *«حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه»*،[2] وهو ما يعني وجوب إخراج الصدقة والزكاة في سرِّية تامة. وبالنظر للمجتمع الصغير المتماسك الذي كان يعيش فيه النبي (ﷺ)، فضلًا عن طبيعة العديد من مجتمعات البلدات الصغيرة والقرى؛ فإن أهمية الحفاظ على شرف وكرامة مُتلقي الصدقات، الذين يعيشون ويعملون ويخالطون نفس المتصدِّقين؛ مبدأ غاية في الأهمية. ويعكس مثل تركي معروف الدوافع الدينية لفعل الخير في السرّ؛ «افعل الخير وألقه في البحر. وإذا لم تُقدِّر الأسماك عملك؛ فكن على يقين أن الله يفعل».[3] ومع ذلك؛ فثم حالات أُخرِجَت فيها الصدقة أو جُمِعَت التبرعات لصالح الفقراء علانية، بل وشُجِّع الأغنياء على التبرع بالمزيد. وثمة مثال شهير في التاريخ الإسلامي هو جمع النبي (ﷺ) التبرعات في المدينة عندما احتاج المجتمع المسلم النامي حديثًا المال، إذ طلب النبي (ﷺ) من

---

(1) McChesney (1995).

(٢) جزء من حديث متفق عليه.

(3) iyilik yap, denize at balık bilmezse halik bilir.

أصحابه الذهاب إلى منازلهم والعودة ببعض المال. عاد عمر (ﷺ) بنصف ما له، وأحضر أبو بكر الصديق (ﷺ) كل ثروته. وعندما سُئِل أبو بكر عمّا ترك لعائلته؛ ردّ قائلًا: «تركتُ لهم اللهَ ورسولَه». حتى يقال إن عمر بن الخطاب أدرك ساعتها أن ليس بإمكانه التفوق على أبي بكر الصديق. وكلا الرجلين مازالا يعتبران نماذج للسخاء بين المسلمين إلى يومنا هذا.

كذا يمكن أن يشتمل سياق الصدقة والزكاة على تقاليد إسلامية تركية أخرى مرتبطة بممارسات العطاء والإحسان خلال شهر رمضان والعطلتين الأساسيتين، عيد الفطر وعيد الأضحى. وخلال شهر رمضان؛ تكون دعوة المؤمن لضيوف لتناول طعام الإفطار، أو طعام السحور؛ واحدة من طرق عديدة يَرفَع الله بها قدر المؤمن. وفي الحقبة العثمانية؛ تطوَّرت تلك العادة لتشمل تفاصيل جديدة، إذ سعى المُضيفون الأسخياء لإرضاء ضيوفهم، ليس فقط بإطعامهم مجموعة مذهلة من الأطباق الشهيّة؛ ولكن بإهدائهم أيضًا هدايا صغيرة، في محاولة لاستمالة قلوبهم ونيل دعواتهم. وخارج إطار العائلة؛ تُجهِّز مؤسسات الوقف العثمانية (Vakıflar) والصناديق الخيرية ووكالات الحكومة المحلية إفطارًا عامًا، في الهواء الطلق؛ لضمان إفطار كلٍّ من الغني والفقير في موعد الأذان. واليوم؛ تمَّ إحياء «خيام الإفطار iftar çadırları»، مجانًا، وفتحها للجمهور؛ بواسطة حكام البلديات الأتراك، الذين يعتبرون مثل هذه الفعاليات الديمقراطية الخيرية بمثابة منفعة مُتبادَلة لكلا الفقراء والأغنياء. وخلال عيد الفطر؛ فحتى الأتراك الذين لا يُخرجون الزكاة، أو صدقة الفطر؛ يبذلون الجهد لإهداء الأطفال هدايا صغيرة من الحلوى والمال، ويمتد هذا إلى كل الأطفال الذين يعرفونهم أو يقابلونهم حينما يزورون أقاربهم وأصدقاءهم وجيرانهم.

- الأضحية (Kurban):

خلال عيد الأضحى «Kurban Bayramı»، فإن معظم المسلمين الأتراك، مثل المسلمين في أنحاء العالم؛ يُقدِّمون الأُضحية من حيوانات المزارع مثل الغنم أو الماشية، في إحياء لذكرى امتثال النبي إبراهيم (ﷺ) للأمر الإلهي بالتضحية بابنه،

وإحياء لذكرى الكرم الإلهي الذي قَبِل نيَّته الخالصة وأمره بالتضحية بكبش بدلًا من ولده.[١] وتتزامن هذه العطلة الإسلامية الأساسية الثانية مع اليوم التالي لانتهاء موسم الحج. ويُعَدُّ هذا اليوم مصدرًا لعدد من التقاليد الثقافية القوية المتصلة بالعطاء والإحسان. فعلى سبيل المثال؛ فإن معظم الأتراك الذين يُضَحّون بحيوان يعملون بالأمر القرآني والسُنَّة النبوية في تقسيم اللحم إلى ثلاثة أقسام:[٢] جزء للفقراء صدقة، وجزء للأقرباء والجيران، والأخير لأنفسهم. وإقرارًا منهم بأن نسبة كبيرة من اللحوم لابد أن تُعطى للفقراء والجياع، ليتمكنوا جميعًا من الاحتفال بالعيد؛ يتبرَّع العديد من الأتراك بكل أو مُعظم لحوم أضاحيهم، بالإضافة إلى جلودها وعظامها؛ إلى المنظّمات المدنية المسئولة عن التوزيع. والباقي يُطبخ للعائلة في وجبةٍ احتفالية يُدعى الأقارب والأصدقاء للمشاركة فيها. وتتجلّى الممارسات الخيرية المعتادة للمسلمين الأتراك، خلال عيد الأضحى؛ في تضافُر الجهود للتأكّد من عدم حرمان أي شخص فقير من طعام الأضاحي، أو حرمان قريب من الأقرباء، خاصةً المسنين منهم، فضلًا عن الأصدقاء؛ من الزيارة.

والميل التركي للتضحية بحيوان باسم الله؛ وتوزيع اللحم على الفقراء، صدقةً؛ بعد ولادة طفل وقصِّ أول خصلةٍ من شعره، هو استمرارٌ لعادةٍ سادت شبه الجزيرة العربية، قبل الإسلام؛ وتُسمَّى «عقيقة akika»، وقد أقرّها ورسَّخها النبي محمد

(١) سورة الصافات، الآيات ١٠٢-١٠٧؛ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧)﴾.

(٢) سورة الحج، الآية ٢٨؛ ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨)﴾.

سورة الحج، الآيات ٣٤-٣٧؛ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥) وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧)﴾.

(ﷺ) خلال سنوات الإسلام المبكرة. كذا شاع بين الأتراك التصدُّق باللحم عند تدشين مشروعٍ أو تجارةٍ جديدةٍ، أو في أي مُناسبةٍ من المناسبات المذكورة أعلاه، التي يُتصَدَّقُ فيها بالنقود.

- الوقف (Vakıf):

مؤسسة أخرى هامة، تعكس الميل للعطاء في الثقافة التركية؛ هي الوقف. شَهِدَ الوقف عصره الذهبي، في الثقافة التركية؛ خلال الحقبة العثمانية (١٢٩٩-١٩٢٠م)، ويمكن تسميته بـ«العطاء المتميز». واللفظة العربية (الوقف) تعني «وديعة شرعية عامة» أو «عطاء منح طواعية». ولتأسيس هذه الأوقاف الدينية غير القابلة للتصرُّف؛ يُخصص شخصٌ بالغ عاقل، قادر على إدارة الشئون المالية، ولم يخضع للحجز بسبب إفلاسه، حين ينوي التطوع قربى لله؛ يُخصص كلّ ممتلكاته أو جزءًا منها، وعادة ما تكون مبنىً أو قطعة أرض؛ لتكون وقفًا، أي تُكرَّس لأغراض خيرية أو دينية. وفي العموم؛ يكون هذا القرار نهائيًا. ولتأمين الوقف؛ فإن صاحبه يقصِد المحكمة ويسعى لاستعادة الملكية، عندئذ تُصدِرُ المحكمة حكمها بأن الملكية موقوفة ولا يجوز إرجاعها، أو بيعها، أو التبرُّع بها. كذا يتضمّن تأسيس الوقف تحديدًا رسميًا للمستفيدين (مثل أعضاء الأسرة، أو شريحة خاصة من العامة، أو المرافق العامة)، ويتم تعيين وصي أو مجلس أمناء مُتولٍّ؛ يُديرون الوقف تبعًا للهدف الأساسي منه والقوانين التي حكمت إنشاءه. ويملك هؤلاء الأوصياء الحق في إجراء تغييرات طالما كانت موافِقةً للشريعة الإسلامية، وتعود بالنفع على المؤسسة، وفي حالات مُعينة؛ يجب استئذان قاضٍ في ذلك. وأي إساءة في إدارة الوقف، خاصة إساءة توظيف أمواله؛ تُعدُّ خطيئة. وبرغم أن بعض الباحثين يعتقدون أن الأوقاف الإسلامية المبكِّرة تشكّلت احتذاءً للأوقاف المسيحية والزرداشتية، التي احتك بها العرب المسلمون في القرن السابع الميلادي تقريبًا؛[1] فإن جميع الأتراك يؤمنون بالأصل الإسلامي لنشأة هذه المؤسسة.

---

(1) McChesney (1995).

وبرغم أن الوقف لم يُذكَر تحديدًا في القرآن؛ فإن العديد من الأحاديث النبوية تشجعه. ومن وجهة نظر إسلامية قانونية؛ فقد ظهرت المؤسَّسة عندما أصاب عمر بن الخطاب أرضًا في خيبر قرب مكة. وسأل النبي (ﷺ) عما إذا كان يجب عليه التصدُّق بالأرض؛ فرد النبي (ﷺ) قائلًا: *«إنْ شئتَ حبستَ أصلها وتصدّقتَ بها»*؛[1] ففعل عمر ذلك بشرط ألا تُباع الأرض ولا تورَّث، وخصص ريعها لعدة أغراض خيرية؛ وهي تحرير الرقاب، ولأبناء السبيل، وللأضياف وفي سبيل الله.[2] وثمة حديثٌ آخر شهير أن الرسول (ﷺ) قال: *«إذا مات ابنُ آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث: صدقةٍ جارية أو علمٍ يُنتفع به أو ولدٍ صالح يدعو له»*،[3] وفي حين فُسِّر البند الثاني من الحديث، «علم يُنتَفع به»؛ بتأليف كتاب أو تعليم سلسال من الطُّلاب، فقد فُسِّر الأول، «صدقة جارية»؛ باستمرارية الأوقاف.

بلغت الأوقاف ذروتها في المجتمع العُثماني. فخصَّص الأثرياء من الرجالِ والنساء المتدينين قطعًا كبيرة من الأراضي ومبانيَ بأكملها، فضلًا عن القطع الصغيرة من الأراضي والمنازل، وحتى الغُرف المفرَدة؛ خُصِّصت أوقافًا. وثمة حالات أوقفت فيها سجادة واحدة، أو بساط؛ لمدرسة أو جامع، أو أوقِفَتْ المكتبات أو الكتب المفردة لاستخدام العامة. وانتشرت الأوقاف كذلك ليس فقط بين المسلمين؛ ولكن بين المسيحيين واليهود الذين يعيشون تحت الحكم العثماني. وفي المدن الكبيرة والمراكز الحكومية، وحتى في بلدات الأقاليم؛ أُنشِئت مئات الأوقاف لأغراضٍ مُتعددةٍ. بعض الأوقاف خُصِّص لاحتياجات الحيوان؛ لمساعدة الطيور الضعيفة التي لا تستطيع الهجرة لأرضٍ أدفأ، ولتفريخ الدواجن، ورعاية القطط والكلاب الضالّة، ولتوفير الخدمات البيطرية. وأوقاف أخرى كُرِّست لاحتياجات أفراد أو جماعات من الناس. وبما أن كلًا من الأفراد والمرافق العامة يُمكِنُها الإفادة من الأوقاف؛

(١) أخرجه البخاري في الوصايا، باب: الشروط في الوقف، برقم (٢٧٣٧).

(2) Ibn Hadjar al-Askalānī, Bulūgh al-marām, Cairo n.d., no. 784. In: "WaKf", *Encyclopedia of Islam (EI-2).*

(3) ibid., no. 783.

فقد أُنشِئَت أوقاف لشق وصيانة الطرق، وبناء المدارس، والمساجد، ومرافِق المياه، والحمّامات العامة، والجسور، والمقابِر، ونوافير مياه الشرب، فضلًا عن الدعم المالي للطلاب، والأرامل، والأيتام، والفقراء في الأحياء التي أُقيمت فيها الأوقاف. كذا استطاع المسلمون، مثلهم مثل المسيحيين واليهود؛ تأسيس تلك الأوقاف والإفادة منها، خاصة في البلقان؛ حيث غلبة السكان المسيحيين في السنوات الأولى من الحكم العُثماني، إذ لعبت الأوقاف دورًا هامًا في أداء الوظائف المدنية، ومساعدة الضعفاء والمعوزين في المنطقة، وبالتالي الظفر بتقدير وتعاطُف السكان المحليين.

وفي المجمل؛ وفَّرت الأوقاف خدمات عديدة كالتي توفِّرها الدولة الحديثة والحكومات المحلية؛ مثل الرعاية الصحية والتعليم الابتدائي، وصيانة الطُرق، وتوزيع المياه النقية على القرى والمدن. وبالإضافة لخدمة الفقراء والمعوزين؛ يزيد الوقف كذلك من الاحترام العام للأثرياء، الذين أسسوا الأوقاف. وباختصار؛ فإن وجود الأوقاف قد عَزَّز التجانُس الاجتماعي، وقلَّص الفجوة بين الأثرياء والفقراء.

وقد استمر تقليد الوقف بقوة من القرن الثاني عشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي؛ مؤديًا مهامَّ إيجابية في المجتمع العثماني. وفي عام ١٩١٠م؛ استبدَلَ به الأتراكُ الشباب الغرفَ التجارية، وفي عام ١٩٢٠م؛ نُقِلَ الإشراف عليها وإدارتها إلى وزارة الشئون الدينية والأوقاف، التي صارت، عام ١٩٢٤م؛ المديرية العامة للأوقاف. والمديرية العامة مُستَمِرَّةٌ في الإشراف على نحو واحد وأربعين ألف وقف مُتبقٍ من العهد العثماني، وهي تَمْلِكُ واحدًا من أكبر المصارف في البلاد، بنك الوقف (Vakıf Bank)؛ الذي يعمل فيه أكثر من ٣٨ ألف موظَّف.[1] واليوم؛ يوجد في تركيا أشكال متعددة من الأوقاف. بعضُها يوفِّر التمويل لترميم المواقع التاريخية اللا معدودة، والحفاظ عليها؛ في حين يوفِّر البعض الآخر الدعم المالي والتعليمي والثقافي والصحي للعامة. ويتكامل مع أوقاف اليوم كذلِك جحافِل من المؤسسات

(1) For more information, see: www.tr.wikipedia.org/vakiflargenel mudurlugu (11.05.2008), http://www.vakifbank.com.tr/vakifbank-tarihcesi.aspx or http://www.diyanet-sen.org.tr/article. php?article_id=8. (accessed 11.05.2008).

والجمعيات الخيرية، التي تتشابه أنشطتها عادةً؛ برغم اختلاف هياكلها المالية والقانونية.

وبشكلٍ مُقارن؛ فإن الأشكال المؤسَّسية من الأعمال الخيرية، مثل الوقف؛ أسهل في التعقُّب والتتبُّع من الأشكال غير الرسمية من العمل الخيري، مثل الصدقة؛ وذلك بسبب المساهمات والممارسات التي تضطلع بها مؤسّسات الوقف، والتي تُخلِّف آثارها من الوثائق القانونية.

- مؤسسات «الأخية Ahilik»:

بالإضافة إلى الأوقاف؛ تُعدُّ مؤسسات الأخية هي الأخرى مثالًا على العطاء الخيري. ومؤسسات الأخية هي تشكيلات اجتماعية ومهنية ودينية ظهرت في الأناضول، خلال القرن الثالث عشر الميلادي؛ ولعبت دورًا هامًا في تأسيس الإمبراطورية العثمانية. وهي كيانات ارتبطت بـ«الفتوة» أو «الفتيان Fityan»، والتي تجسَّدت في حركات ومؤسسات مختلفة، ظلّت مُنتشرة في أنحاء المجتمعات الحضرية للشرق المسلم حتى بداية العصر الحديث.[1] وهي صورة من صور الفروسية مضافًا إليها عنصران هامان؛ هما: صلاتهم بالصوفية، وطابعهم المهني. وباعتبارهم تجمُّعًا مهنيًا؛ كانوا يتحدَّرون من «آخي إفران Ahi Evran»، المتوفى ١٢٦٢م؛ الذي عُدَّ الولي الراعي للدباغين. وبرغم تعدُّد الاتحادات المهنية في تركيا، إلا أن الدباغين صاروا مظلة اتحادية جامعة؛ نظرًا لتوسُّط موقعهم وإحكام هيكلهم التنظيمي. وقد عاش ممثل إفران في «كيرشِهر Kirsehir» في تركيا الوسطى، وكان مسئولًا عن قبول انضمام أفراد جدد للمهنة. وقد تضمن حفل الانضمام الرمزي تدشين المرشح لإقرار تأهله للاضطلاع بأعباء المهنة. ولاحقًا؛ صار كبير الدباغين في كيرشهر رأس جميع الاتحادات المهنية بدعم من السلطان، الذي استفاد من مساهمات الأخية خلال الحرب والسلم على حد سواء. فخلال وقت الحرب؛ زودت بعض تنظيمات الأخية

(1) Cahen C. ‹Futuwwa.› *Encyclopedia of Islam (EI-2).*

الجيش بالجنود وصنعت الأسلحة. وخلال وقت السلم؛ أسهمت في ترقي المجتمع ماديًا واجتماعيًا.

وبرغم أن الأخية لم يحوزوا أبدًا قوة سياسية مستقلة؛ إلاَّ أنهم لعبوا أدوارًا عادة ما تتولاها الدولة، مثل الدفاع عن القرى والمدن ضد غزو المغول. وفي بعض الحالات؛ لعبوا دور الوسيط بين الدولة والجماهير.[1] وبمعنى ما؛ كانت هذه الاتحادات معادلًا للنقابات المهنية الحديثة، مع بُعدٍ أخلاقي وروحي. إذ لم يعتبروا أنفسهم مجرد منتجين أو حرفيين، بل زعماء كذلك ومسئولين عن رفاهة المجتمع؛ ماديًا واجتماعيًا. وكان يتوقَّع من أعضاء الأخية التحلي بصفات: الولاء، والأمانة، والكرم، والعدل، والتواضع، ونجدة زملائهم في المهنة، والاستعداد للتسامُح.

- البركة (Berket):

مفهوم آخر ذو أهمية، ويُعدُّ جزءًا من المفاهيم التركية الإسلامية الخيرية؛ مفهوم «البركة» وقد صارت لفظة «بركة Berket» جزءًا أساسيًا من الثقافة التركية؛ بشيوع استخدامها في الحياة التركية اليومية. وهي «قوة مثمرة ذات مصدر إلهي تؤدي لازدهار المجال المادي، وللسعادة والرضا على النطاق النفسي».[2] وبالتأكيد؛ فإن الغالبية العظمى من الأتراك يعتقدون أنهم عندما يفعلون شيئًا بنية إرضاء الله (ﷻ) دون انتظار الجزاء في الدنيا؛ فسوف تتنزل عليهم البركات. فعلى سبيل المثال؛ إذا أعطى شخص جزءًا من ماله للفقراء والمعوزين، فإنه يتوقع أن يُبارَك له في المتبقي من ماله (أي يصير أكثر من كافٍ لتلبية احتياجاته). ولا يقتصر تطبيق الاعتقاد على البركة التي يُثمِرُها الكرم في الأموال، ولكنها تنطبق أيضًا على الوقت والحياة وأشياء أخرى قابلة للقياس؛ مثل المحاصيل والطعام وهلم جرّا. ويُعتقد أنه إذا استخدم الفرد جزءًا من وقته في العمل الصالح؛ فإنه سيصير أكثر كفاءة وإنتاجية

(1) Ergun (1922).

(2) Collin (1960).

في استخدام ما تبقَّى من وقته. ولمفهوم البركة جذور في القرآن؛ إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.[١]

و«البركة» لفظة شائعة الاستخدام في الحياة اليومية التركية، سواء أكان المتحدث يتبنى رؤية دينية للعالم أم لا. فعلى سبيل المثال؛ بعد إنهاء صفقة تجارية، يقول صاحب المتجر أو مندوب المبيعات : «جعله الله مباركًا Allah berket versin»، وذلك أثناء قبضهم الأموال إلى جيوبهم أو إلى السجل النقدي. وفي المناطق الأكثر ريفية؛ عندما يزور شخص جاره وقت الحصاد؛ فإنه يقول: «لتكن مباركة أو تبارك الله Berketli Olsun».[٢]

يُعدُّ النبي إبراهيم (عليه السلام) نموذجًا هامًا للسخاء وحُسن الضيافة. إذ تورِدُ الحكايات الشعبية أن بيته كان ذا أربعة أبواب، كلها مشرعة؛ ليأتي الآكلون من كل جهة إلى مائدته. إذ كان ضيوفه لا ينقطعون ومائدته ممتلئة أبدًا، ولذلك؛ يؤمن الأتراك بأن الضيوف يجلبون البركة للمُضيف. وتشير إلى ذلك الاعتقاد تعبيرات لغوية عديدة. فعلى سبيل المثال؛ عندما يتناول شخصٌ الطعامَ، في منزلِ آخر؛ يقول الأتراك: «جُعلت مائدتك كمائدة إبراهيم»؛ بمعنى الدعاء له بأن يُكافأ بثروة وبركة. وخلال التجوال في أنحاء القرى والمدن التركية؛ يرى الواحد العديد من المطاعم وقد أطلق عليها «مائدة الخليل إبراهيم Halil Ibrahim Sofrasi».

- حسن الجوار (iyi komşuluk):

للكرم وحُسن العلاقات مع الجيران كذلك أهمية قصوى في الثقافة التركية الإسلامية. يُدرِكُ العديد من الأتراك أن النبي محمد (ﷺ) أكَّد على أهمية العلاقات

---

(١) سورة الحديد؛ آية ١٨.
راجع أيضًا سورة التغابن، الآية ١٧؛ ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾.

(٢) كذا تعبر عبارات أخرى في اللغة التركية عن انمحاق البركة، مثل «بيت بدون بركة Bet bereket Kesildi»؛ أو أنها انتهت، مثل «لقد رُفعت البركة Berket Kalkti»؛ وذلك لافتقاد شخص للكرم. والعبارات العديدة التي تستخدم لفظة «البركة» مؤشر على أن المعنى صار جزءًا أساسيًا من الثقافة التركية.

الحسنة مع الجيران، ويمكن ذكر أحاديث نبوية بهذا الشأن؛ مثل قول النبي (ﷺ):[١] «*مازال جبريل يُوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه*»،[٢] و«*من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرمْ ضيفَه، ومَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصلْ رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت*»؛[٣] أي ليمسك عن كل حديث بالسوء أو الفُحش.[٤]

ويجمع العلماء المسلمون على أن الجيران غير المسلمين لهم نفس حقوق الجيران المسلمين، بما أن الأحاديث النبوية لم تقصُر الحقوق على الجيران المسلمين، وثمة بعض المرويات المرتَبِطة بمواقِفَ تَدُل على كرم النبي محمد (ﷺ) وآله نحو جيرانه اليهود.[٥]

وفي اللغة التركية الحديثة أمثال عديدة تُشير إلى علو قيمة الجيرة الحسنة. مثل «اختر الجار قبل الدار Ev alma, komşu al»، و«قد يحتاج الجار حتى للرماد الذي يخلفه جاره Komşu komşunun külüne muhtaçtır». ولذلك فإن معظم الأتراك يبذلون جهدًا للحفاظ على علاقات طيبة مع جيرانهم؛ بتحيتهم بابتسامة، ومحاورتهم حوارات قصيرة، ودعوتهم للشاي أو القهوة، وزيارتهم في الأعياد أو أوقات الشدة، ومن خلال إهدائهم كعكًا أو ورق عنب محشوًا، أو أيًا ما طبخ في المنزل يومها؛ وتقليل الضجيج إلى أدنى حد ممكن. وتميل ربات البيوت التركية، بشكل خاص؛ لتكوين علاقات أوثق مع ربات البيوت المجاورة، ويشتركن في الطبخ، والخبز، ورعاية الأطفال. ويمكن أيضًا أن يساهمن بالمال شهريًا، في إناء؛ لجمع مبلغ يُمنَح لجار معوز، أو يلتقين معًا يوم الجمعة لقراءة القرآن.

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٥٦٦٩) ومسلم (٦٨٥٤).

(2) Al-Bukhârî, Adab, 28. *Riyâd-us-Sâliheen* (1991).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، (٥٦٧٢).

(4) Sahih Bukhari, Volume 8, Book 73, No. 47.

(5) Diyanet İslam Ansiklopedisi, "Komşu," p. 157.

- القرض الحسن (Karz–i Hasen):

«القرض الحسن» هو آخر الجوانب الهامة في ثقافة العطاء التركية. وهو قرض يُسدَّد دون فائدة في نهاية الفترة التي يتَّفق عليها الطرفان. وفي المجتمع التركي، كما في المجتمعات الإسلامية الأخرى؛ فإن إقراض شخص ما قرضًا حسنًا، يُعينه على تلبية احتياجاته؛ يُعدُّ عملًا صالحًا يُجزي الله به خيرًا. وتُثني العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على الإقراض بدون فائدة لمن يحتاجه، إذ تقول آية قرآنية: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾،[1] لذا؛ يُعدّ إقراضُ المال لسبب وجيه، ودون تقاضي فائدة؛ عملًا ذا فوائد دنيوية لمصلحة المتلقي، وروحية للدائن. والقرض الحسن، الذي يُنسَبُ له المساهمة في تعزيز التناغُم والتعاون الاجتماعي؛ لازال ممارسة شائعة بين الأتراك، برغم أن البنوك الغربية تهيمن على البلاد. فعلى سبيل المثال؛ يُفضل مُعظم الأتراك دفع فواتيرهم الشهرية أو شراء سياراتهم ومنازلهم بقرضٍ حسنٍ من أقرب الأقرباء، أو الجيران، أو الأصدقاء؛ بدلًا من الاقتراض من بنكٍ أو من مُرابٍ.

إحياء حركة گولن للإحسان الإسلامي التركي

وكما بيَّنت الأمثلة السابقة؛ فقد امتزجت الثقافة الإسلامية والتركية وخلقتا تقليدًا ثريًا وعريقًا للعطاء في تركيا. ويصبح من السهل، في مثل هذا السياق؛ اكتشاف أن أحد أهم أسباب نجاح حركة گولن هو قدرتها على كسب ثقة الجماهير عبر استثمار شبكة الدوافع الخيرية الحاضرة مسبقًا في المجتمع التركي. على سبيل المثال؛ عندما أوجز الأستاذ گولن رؤيته في توفير تعليم جيد لكل الشباب التركي، بتأسيس بيوت طلبة، وعقد دورات تحضيرية، وأخيرًا مدارس ثانوية وجامعات؛ فقد دعا جميع من ألهمته تلك الرؤية للمشاركة في توفير تلك الفرص للشباب في تركيا. إذ تحدَّى الرجالَ والنساء ليصبحوا مُعلِّمين، ويكرِّسوا حياتهم لتعليم

---

(١) سورة البقرة؛ الآية ٢٤٥.

الشباب. ومديري مدارس ليتفانوا في تأسيس مناهج من الدرجة الأولى، وبيئات مناسبة للتعليم؛ ورجالَ أعمال ليُنمّوا أعمالهم لتربح أكثر حتى يتمكنوا من دعم أنشطة الحركة ماليًا. علاوة على ذلك؛ فقد أعلن دعوته إلى العمل على أساس من قيم المجتمع التركي الإسلامي؛ مثل: كرم الضيافة والعطاء والصدقة والالتزام بمساعدة المعوزين في المجتمع. تلك الأفكار، والتضحيات التي تنطوي عليها؛ كانت مألوفة لأولئك الذين سمعوا دعوة گولن، واستجابوا لها؛ لأنها كانت جزءًا لا يتجزّأ من الثقافة التي تربَّوا عليها. لقد زودهم گولن، ببساطة؛ بالوسائل التي يمكن للأتراك التعبير بها عن الكرم والعطاء، بوصفها من مبادئ ثقافتهم ودينهم. وباختصار؛ فإن المشاركين في الحركة الذين يتصدَّقون على الطلاب الفقراء، والذين يُرسلون لحوم أضاحيهم للعائلات الفقيرة في جنوب شرق تركيا وفي قلب أفريقيا، والذين يكرِّسون مهنهم وتجاراتهم للعمل الصالح، أو الذين يساعدون ضحايا الكوارث الطبيعية؛ جميعهم مدفوعون بالتقاليد العريقة للعمل الخيري والإحسان، والمتأصّلة في المجتمع التركي.

الفصل السادس

إمداد الطاحونة بالماء؛ تمويل مشروعات گولن الخدمية

الموارد المالية حجر الزاوية لبناء وصيانة المشروعات المتعددة المرتبطة بحركة گولن. وتوصِّف المعلومات التي استعرضناها في الفصل الرابع، «شبكات الدوائر المحلية»؛ الآليات المستقرة داخل الدوائر المحلية، لتوليد موارد مالية مُعتبرة. وقد عرض الفصلُ الخامس، «ثقافة العطاء الإسلامية التركية»؛ المفاهيمَ الإسلامية التركية للعطاء وحسن الضيافة المتجذِّرة في الثقافة التركية. أمّا هذا الفصل؛ فيتناول الترتيبات المالية في علاقتها بالمؤسسات المرتبطة بحركة گولن.

في نوفمبر عام ٢٠٠٤م؛ سأل صحفيٌّ الأستاذ گولن: «من أين يتم إمداد هذه الطاحونة بالماء؟»، وهو اصطلاحٌ تركي يعني: «ما هو مصدر المال الذي يُضَخ في مشروعات گولن؟». وقد اعترف الأستاذ گولن أنه سُئِل هذا السؤال عدة مرات من سياسيين وصحفيين أتراك؛ يظنون أن ثمة مصالح شخصية أو خططًا خفية كامنة خلف مشروعات الحركة. وقال إن العديدين لن يمنحوك كوبًا من الشاي دون ضمان حصولهم على كوبين في المقابل. ومع ذلك؛ يواجه الأستاذ گولن هؤلاء بآخرين كرَّسوا أنفسهم لدعم الأعمال الخيرية المستوحاة من تعاليمه. وعنهم يقول: «هؤلاء قومُنا الذين يعطون ويعطون. يمكنك القول إنهم مدمنون على العطاء. ولو قلتَ لهم لا تعطوا؛ ركبهم الحزن والبؤس». واستطرد يحكي قصة

رجل متقاعد حادثَهُ قبل إحدى فعاليات جمع التبرعات. لم يستطع الرجل التبرّع بأي شيء، لأنه لا يملك شيئًا. وحينما كان الأستاذ گولن يُغادِرُ المبنى؛ لحِقَ به الرجل على الدَرج وناوله مجموعة مفاتيح، وقال: «هذه مفاتيح منزلي. لا أملك أي شيء أتبرع به غير هذا المنزل؛ من فضلك خذ المفاتيح». لكن الأستاذ گولن أعاد إليه مفاتيحه، وطلب منه ألا يحمل نفسه ما لا يطيق، وليُعطِ حين يكون لديه شيء يعطيه. وتابع الأستاذ گولن مُثنيًا على أهل الأناضول بوصفهم معجزة تدعم المشروعات التي يرونها جديرة بذلك، والتي تساعد في حل مشكلات العالم ومشكلات شعبهم ومستقبله. وعلّق قائلًا إن قادة تركيا لم يستطيعوا توظيف هذه الطاقات الكامنة في شعبهم.

لم يملك الأستاذ گولن نفسه ثروة شخصية ليستطيع دعم المشروعات. لقد اختار أن يعيش حياة تقشُّف مُكرَّسة للعبادة وللقراءة. ولعدد من السنواتِ عاش في زاوية مسجدٍ محلي في مساحة تكفي بالكاد ليتمدد فيها جسده. وبالإضافة إلى عدم امتلاكه ثروة أبدًا؛ فقد دعا لأقربائه أن يظلوا فقراء، لئلا يُثيروا شكوكًا في أنهم يتربَّحون من نفوذه.[1] وقد ظهر في العديد من مناسبات جمع التبرعات، وزار أفرادًا من الأثرياء لمحاولة إقناعهم بدعم تعليم حديث وجيد. وناهيك عن تشجيعه الناس على التبرع بالمال، فقد ظل الأستاذ گولن بعيدًا، رغم ذلك؛ عن أي معاملات مالية، بل شجّع داعمي المشروعات على الإشراف المباشر على طريقة توظيف مساهماتهم. وقد أدّى ذلك لترسيخ الاطمئنان والثقة في نزاهة الأستاذ گولن وأمانته.

---

(1) Aslandogan and Cetin (2006).

- بنك «آسيا Asya»:[1]

يُعَدُّ بنك آسيا اليوم أكبر أربعة بنوك تشاركية (Participation Bank) في تركيا.[2] افتُتح البنك عام ١٩٩٦م؛ عندما اشترى «٣٤٦» رجلِ أعمالٍ من أنحاء تركيا حصصًا في البنك، وحصلوا على ترخيص وزارة الخزانة التركية لإنشاء بنك بدون فوائد (تُسمَّى في الأصل بيوت التمويل). في ذلك الوقت كان بنك آسيا واحدًا من ستة بنوك مُشابهة، وعُرِفَ باسم «آسيا فَيْنانس Asya Finans». ومنذ ذلك الحين؛ أفلس أحد تلك البنوك واندمج اثنان، لتبقى البنوك الأربعة الحالية في تركيا وعلى رأسها بنك آسيا؛ صاحب الحصة السوقية الأكبر: ٣٠٪.

كيف يمكن وصف بنك آسيا بالبنك المستَلِهم لأفكار گولن؟ في أوائل التسعينيات؛ وافق الأستاذ گولن بعض رجال الأعمال على أن تدشين بنك بدون فوائد ربما كان فكرة جيدة. وقبلها، وفي عام ١٩٨٣م؛ عندما وقّع الرئيس أوزال مرسومًا بإنشاء بيوت تمويل خاصة قِوامها نظام بنكي بلا فوائد، لتخدم الأتراكَ المسلمين، الذين لا يريدون إيداع أموالهم في حسابات ذات فائدة؛ دعم الأستاذ گولن، صديق الرئيس أوزال؛ المرسوم، وشجَّع رجال الأعمال المهتمين على مواصلة خططهم لإنشاء بنك من هذا النوع. كان بعض طليعة رجال الأعمال هؤلاء ممن ألهمتهم خطب الأستاذ گولن وكتاباته. لكن ذلك لم ينطبق على كل رجال الأعمال البالغ عددهم ثلاثمئة وستة وأربعين، الذين كان بعضهم لا يكترث بأفكار الأستاذ گولن، لكنه رأى صفقة تجارية مناسبة في تأسيس مثل هذا البنك. وقد حضر الأستاذ گولن مراسم افتتاح البنك، والتُقِطتْ له صور فوتوغرافية مع بعض حملة الأسهم الأصليين الذين حضروا الافتتاح بدورهم. ومن ثم؛ ساهم الإعلام في خلق صورة توحي بأن البنك

(١) وُضِع بنك آسيا تحت الوصاية الحكومية أوائل عام ٢٠١٥م. (المترجم)

(2) For a discussion of Islamic Finances, see Yousef (2004).

مرتبط بحركة گولن. لكن الوصف الأدقّ للواقع هو أن بعض المساهمين في البنك كانوا جزءًا من الحركة، لكنّ كثيرًا من المساهمين لم يكونوا كذلك.

وتتعاون بعض المدارس والمستشفيات المستوحاة من فكر گولن مع بنك آسيا لتلبية بعض احتياجاتها المصرفية. لكنّ هذا الاختيار يَعتمِد على عطاءات تنافسية بين البنوك في تركيا. وكما أكد رئيس البنك، «أونال كاباكا Unal Kbaca»؛ مرارًا أنه تعيّن على البنك العمل بجدّ للمنافسة على نيل الأعمال التي يُباشِرُها، وأنه ليس للبنك مزية تنافُسية لدى مشروعات گولن، ومن ثم لزمه العمل جاهدًا للحصول على تلك الصفقات، كما هو الحال مع المشروعات الأخرى في تركيا. فعلى سبيل المثال؛ ظلت جامعة الفاتح، وهي مؤسسة مستوحاة من فكر گولن؛ تتعاون سنوات عديدة مع أحد البنوك الحكومية، حتّى حَظِيَ بنك آسيا بثقتها من خلال تطوير نظامٍ لتحصيل الرسوم الدراسية، الذي حاز قبول مجلس إدارة الجامعة. إذ أصدر البنكُ بطاقة ائتمانية لعائلات الطلاب؛ يستطيعون من خلالها دفع أقساط شهرية لسداد الرسوم الدراسية، سواء في المدارس الابتدائية أو الثانوية أو الجامعات. وقد نجحت بطاقة الائتمان هذه في مهمتها، وتقبلتها العائلات التركية قبولًا حسنًا. ومع ذلك؛ عرض بنك آسيا خدمة البطاقة الائتمانية ذاتها لكل المدارس الخاصة المعنية، وليس مدارس گولن فحسب. وبسبب نجاحه في مشروع بطاقات ائتمان الرسوم الدراسية؛ فإن بنك آسيا يخدم حاليًا عددًا من المؤسسات التعليمية، من بينها عدد من الجامعات المحلية.

وقد باع عدد من المساهمين الأصليين حصصهم في البنك، وحاليًا تعود ملكية ٣٠٪ فقط من الأسهم للمجموعة الأصلية من المؤسسين. واليوم؛ صار البنك مُنشأة عامة تتوزَّع أسهمها بين أفراد وشركات عدة، ولا توجد طريقة لمعرفة عدد المساهمين الحاليين الذين ألهمهم الأستاذ گولن، بما أن الحركة ليس لديها لائحة بأعضائها؛ إذ أن الانتماء إلى الجماعة مسألة شخصية بالكلية. والرئيس الحالي لمجلس إدارة البنك هو رجل أعمال ثري، يملك العديد من الشركات في صناعة النقل

البحري، ويؤيد العديد من المشروعات المستوحاة من فكر گولن، وكان في وقتٍ من الأوقات عضوًا في مجلس إدارة جامعة الفاتح. لكن تأييد گولن ليس شرطًا أبدًا لذلك المنصب. ولا توجد صلات رسمية بين الأستاذ گولن ومجلس إدارة البنك وموظفيه وعملائه. وكل ثلاث سنوات تُعقَد الجمعية العمومية للمساهمين، شاملةً المستثمرين الأجانب؛ لانتخاب رئيس وأعضاء مجلس الإدارة. ومعظم هؤلاء المساهمين لم يسمعوا بالأستاذ گولن أو حركته. ويؤكّد السيد كاباكا أنه ليس ثمة أثر واضح اليوم لروح الأستاذ گولن وأفكاره في البنك.

ويصف كاباكا بنك آسيا بأنه «بنك إسلامي»؛ إذ لا يتعامل بالفائدة على الأموال المودعة، بل يستثمرها في تعامُلاتٍ حقيقيةٍ على منتجاتٍ حقيقيةٍ، بدلًا من الفائدة المركبة على المال وحده. وبالإضافة إلى ذلك؛ لا يموِّل البنك صناعات المقامرة أو المشروبات الكحولية. ويودع بعض غير المسلمين، من المسيحيين واليهود الذين يعارضون آلية الفائدة المركبة لأسباب أخرى غير الدين؛ أموالهم في بنك آسيا، خاصة إذا ما كانت قيمهم الاجتماعية تتطابق مع قيم البنك. والحال كذلك بالنسبة لجودة أداء البنك؛ إذ تضاعف رأس ماله من سبع إلى ثماني مرات منذ نشأته قبل اثني عشر عامًا. وفي عام ٢٠٠٧م؛ أعلن البنك تحقيقه أرباحًا صافية بلغت ٥١٪، وأفاد بأن الأموال المودَعة في حسابات تقاسُم الأرباح (المرابحة) ارتفعت بنسبة ٤٧٪، فضلًا عن ودائع جارية بلغت خمسة مليارات دولار. ونتيجةً لنجاحه المالي؛ فقد اجتذب البنك مستثمرين عالميين، سواء أفراد وشركات.

وخلال الأزمة المالية في تركيا، عام ٢٠٠٢م؛ عزفت أكثر البنوك عن الاستثمار في شركات البناء، سواء محليًا أو عالميًا. وقد وجدها بنك آسيا فرصة للنمو، فدعم العديد من شركات البناء في منطقة الخليج وفي أفريقيا. ونتج عن هذا الاستثمار تحقيق أرباح مُعتبرة للبنك، وزيادة شهرته في عالم الاقتصاد في أنحاء العالم. واليوم ينتمي العديد من حاملي الأسهم لمؤسّسات، خصوصًا من الولايات المتحدة وأوروبا. ومن بين خمسة مليارات دولار ودائع؛ ثمة ما يقرُب من ملياري دولار مصدرها أفراد،

وثلاثة مليارات مصدرها شركات. وبينما تحوز البنوك التشاركية في تركيا٣,٢٪ فقط من السوق المصرفي التركي، فإنها تنمو من١,١٪ في عام ٢٠٠١م مستهدفة الوصول إلى ١٠٪ من السوق المصرفية التركية في غضون ثلاث سنوات.

وباختصار؛ ففي حين أيد الأستاذ گولن ابتداءً فكرة إنشاء بنك بدون فوائد، وشجّع مجموعة المساهمين المؤسسين على متابعة خططهم لإنشاء ذلك البنك؛ فلم يكن هناك أبدًا أية صلات رسمية بين الأستاذ گولن وبنك آسيا. وفي حين ألهمت أفكارُ گولن بعضَ حملة الأسهم الأصليين؛ لم يكن ذلك صحيحًا بالنسبة لكل حاملي الأسهم الأصليين الثلاثمائة والستة والأربعين، وهو التأثير الذي تضاءل مع نمو البنك وزيادة قدرته التنافسية، ونجاحه في السوق؛ واجتذابه المتزايد للمستثمرين الأجانب.

- **محطة تلفاز «STV»:**[1]

خلال الثمانينيات؛ بدأ الأستاذ گولن الدعوة لإعلام مسئول يشمل كلًا من الصحف والبث الإذاعي. وفي عام ١٩٨٩م؛ التقى حوالي عشرين رجل أعمال في إسطنبول لاستطلاع إمكانية إنشاء محطة تلفاز تلتزم بخدمة إخبارية تراعي المسئولية الاجتماعية والموضوعية والاتزان، بالإضافة إلى برامج تُرسِّخ توجُّهًا عائليًا يخلو من الجنس الصريح أو الجريمة العنيفة. وقد قدَّر بعض أعضاء المجموعة الأصلية للمؤسسين تكاليف بدء تشغيل تلك المحطة بما يقرب من ربع مليون دولار. واتَّفق رجال الأعمال على ضخ رأس المال الأوَّلي لمحطة «Samanyolu TV»، أو كما يطلق عليها المشاهدون: «STV»؛ والتي أُطلِقَت في ١٣ يناير عام ١٩٩٣م. كانت تكاليف إنشاء محطة جديدة، برغم ذلك؛ أربعة أضعاف ما كان مُقدَّرًا تقريبًا. وخلال السنوات الست أو السبع الأولى، من ثم؛ لم تستطع المحطة إعالة نفسها بتوليد دخل، وكان دعمها يأتي من رجال أعمال محليين ينتمون لحركة گولن. ولكن بعد أربع أو خمس سنوات؛ صار الدخل قادرًا على تمويل المحطة نفسها بشكل تزايد كل

(١) أوقِف بث المحطة أواخر عام ٢٠١٥م. (المترجم)

عام، بالأساس من خلال الإعلانات المدفوعة. ومنذ عام ٢٠٠٤م؛ لم تعد المحطة في حاجة إلى الدعم من الممولين المحليين.

وحاليًا؛ يكفي دخل الإعلانات لتغطية كل تكاليف التشغيل. وفي الحقيقة؛ فإن المحطة تُحقِّق الآن هامش ربح يسمح لها بالتوسُّع في برامجها وأماكن بثها. وتشمل برامجها اليوم: الدراما، والرياضة، والكوميديا، وعروض تلفاز الواقع، وبرامج الطهو، وبرامج الأطفال، وبرنامج أخبار على مدار ٢٤ ساعة. لكن الذي يجعل قناة «STV» تختلف عن أيّة محطة تركية أخرى، وفقًا للسيد كراكاس مدير العلاقات العامة؛ هو أنها تؤكِّد على توجه عائلي في كل برامجها. وتتضمَّن المحطة برامج تُروِّج لأهداف الحركة في مجالات الحوار بين الأديان والثقافات.

وأحد البرامج المشهورة في الماضي القريب كان «كيمسه يوق مو Kimse Yok Mu»، أو «هل هناك من أحد؟»؛ وهو برنامج واقعي بُثَّ في أعقاب زلزال عام ٢٠٠٤م خارج إسطنبول. حيث أنقذ رجال الإغاثة، الذين دخلوا المنطقة المنكوبة؛ طفلة صغيرة كانت تُنادي: «هل هناك من أحد؟». وعَرَضَ البرنامج عائلتين، واحدة فقيرة والأخرى لها موارد اقتصادية؛ حيث تساعد العائلة الأكثر ثراءً تلك الفقيرة على إعادة بناء حياتها بعد وقوع الزلزال. ونتيجةً لهذا البرنامج؛ تدفَّقت التبرعات للمحطة لمساعدة ضحايا الزلزال، فأنشئت منظمة إغاثية غير ربحية، سُمِّيت «كيمسه يوق مو»؛ لتوزيع الأموال على مناطق الإصابة بالزلازل وغيرها من الكوارث في أنحاء تركيا وحول العالم.

وبرنامج «Samanyolu T.V» للطهو، والمسمَّى «يشيل ألما Yeşil Elma» أو «التفاح الأخضر»؛ هو الأول في المشاهدة بين البرامج المشابهة في تركيا. كذا مسلسل «تركيا واحدة Tek Türkiye»؛ كان أكثر العروض مُشاهدةً في البلاد في عام ٢٠٠٨م. وابتداءً من عام ١٩٩٨م؛ بدأت شركة «AGB»، وهي شركة مركزية تُقيِّم محطات التلفاز على أساس ٢٥٠٠ معيار مختلف؛ بترشيح المحطة للمعلِنين. وقد أُعجِب العديد من الشركات العابرة للقارات بحقيقة أن المحطة تُبثُّ بعدة لغات مختلفة،

وإلى بقاعٍ مختلفةٍ من العالم عن طريق الأقمار الصناعية؛ مما نتج عنه إقبالٌ كثيفٌ على الإعلان، أدى لتحول المحطة إلى تجارة مُربحة. واليوم؛ فإن ميزانية المحطة السنوية تبلُغ نحو ستة وثلاثين مليون دولار، أو ما يعادل ثلاثة ملايين دولار شهريًا.

- صحيفة «زمان Zaman»:

في منتصف الثمانينيات؛ تبلور اعتقاد الأستاذ كولن، وهؤلاء المحيطين به ممن يدعمون أيديولوجيته؛ أن من الصواب امتلاك صحيفة شاملة من حيث تعبيرها عن وجهات نظر وآراء أيديولوجية مختلفة، فضلًا عن نقل الأخبار أولًا بأول بروح موضوعية تكرس الحوار والتسامح، بدلًا من الكراهية؛ بين المجموعات الأيديولوجية والعرقية والدينية المختلفة، وتتجاهل إعلاناتها الكحول والعُري. وفي عام ١٩٨٦م؛ وجدت مجموعة من رجال الأعمال الأتراك، الذين ألهمهم الأستاذ كولن؛ أن امتلاك صحفية بتلك الأهداف يُمثل فرصة اقتصادية جيدة، فاشتروا حصصًا في الصحيفة؛ وهكذا أُطلِقَت صحيفة «زمان Zaman».

كان رجال الأعمال المهتمون بالإعلام هم من امتلكوا الصحيفة وسيطروا عليها منذ بدايتها. وبرغم أن بعض مالكي الأسهم الأصليين قد تأثَّروا بالأستاذ كولن واستلهموا فكره؛ لم يكن للأستاذ نفسه أية مشاركة مالية أو إدارية في الصحفية. ولم يسبق له عضوية مجلس إدارتها أو المشاركة في بنيتها المؤسَّسية، برغم كتابته عمودًا في الصحفية كل يوم جمعة.

وقد عبر رئيس تحرير «زمان» [الأسبق]، «أكرم دومانلي Ekrem Dumanli»؛ عن هدف الصحيفة كما يلي: «نحن نحاول إصدار صحيفة موافقة للمعايير العالمية. هذا هو معيارنا، وليس إنتاج صحيفة دعائية تجتذب بعض الأعضاء الجدد للحركة. نُريدُ صحيفةً تستطيع التنافس مع غيرها من الصحف، ونحن نحب أن نرى زمان تُقرأ بوصفها الصحيفة الأفضل؛ لذا نُشجِّعُ فريقنا الصحفي على تزويدنا بأفضل خدمة إخبارية». واليوم، وبعد ٢٢ عامًا من بدايتها؛ فإن صحيفة «زمان» هي

صاحبة أعلى مُعدَّل توزيع بين كل الصحف في تركيا، بمتوسط اشتراكات يومية مدفوعة ٧٦٠,٠٠٠ اشتراك، وعدد قرَّاء إجمالي يُقدَّر بنحو مليونين ونصف المليون شخص يوميًا (وهذا يشمل المشتركين الذين يقرأ نسخهم أكثر من شخص، فضلًا عمن يبتاعون الصحيفة من الباعة).

وبالإضافة إلى الطبعة التركية من «زمان Zaman»، والطبعة الإنكليزية «زمان توداي Zaman Today»؛ توجد خلفهم مجموعة إعلامية أضخم، تُعتَبَرَ الصحف جزءًا منها. إذ بالإضافة للصحف؛ تشمل المجموعة مجلة أسبوعية ووكالة أنباء. وفي عام ٢٠٠٧م؛ وصل دخل المجموعة الإعلامية إلى ما يَقرُب من ٢٥٠ مليون دولار، وهو ما يأتي أكثر من نصفه من الاشتراكات. ومع ذلك؛ فالصُحف يأتي أكثر من ٥٠٪ من دخلها من الإعلانات وأقل من ذلك من الاشتراكات. ومصدر معظم الإعلانات هو الشركات المحلية التي ترغب في الوصول إلى جمهورٍ أكبر، ولا ترتبط بحركة گولن بأية صورة. وكما أوضح السيد دومانلي: «تريد هذه الشركات إنجاح أعمالها فحسب، وتعتبر صحيفتَنا طريقًا يُبلغها السوق المرغوب».

واليوم لا تعول «زمان» نفسها فحسب، بل هي مشروعٌ تجاريٌ مربحٌ لمساهميها. وحاليًا؛ فإن أكبر مُساهِم في «زمان» هو رجل صناعة ثري في مجال الغزل والنسيج بتركيا. ولم يكن دومانلي متأكدًا من عدد أعضاء مجلس الإدارة، المنتمين إلى حركة گولن. وأضاف أن المجلس يُختار من الوجوه الرائدة في عالمي الإعلام والأعمال في تركيا، بغير اشتراطٍ لأية ارتباطات مع الحركة.

وعندما سئل كيف تعكس الصحيفة الحالية أفكار الأستاذ گولن؛ أجاب دومانلي أنه بدون تأثير الأستاذ گولن، من حيث الأفكار المشتركة؛ «لم نكن لنستطيع إنجاح الصحيفة، لأننا نعتمد على أفكار الأستاذ گولن حول الحوار بين الثقافات والأديان، ومن ثم تعكس الصحيفة مجموعة مُتنوِّعة من الآراء يَصعُب وجودها في الصحف الأخرى. إذ هي في أغلبها تعبر عن انتماءات أيديولوجية مختلفة. نحن نحاول أن نعكس مختلف الآراء، خاصة في الأعمدة الصحفية. صفحات الرأي مفتوحة لأي

أحد، ولا تُبطن كراهية لأي شخص»، ثم واصل قائلًا إن كُتَّاب الأعمدة ينتمون إلى كل من اليمين واليسار، وأن الآراء في مختلف القضايا تُعرَض من منظور كل جوانب الطيف. ومن السياسات التي تلتزمها الصحيفة حرصها على حرية التعبير عن الرأي، بغض النظر عن الدين أو الانتماء العرقيّ. وفي رأي دومانلي؛ فسياسة الدفاع عن حرية الرأي هذه هي التي تجعل من «زمان» صحيفةً ناجحة. وفي حين لا توجد فصول لتلقين فكر گولن، أو آليات رسمية لتعريف هيئة تحرير صحيفة «زمان» بأفكار الأستاذ؛ فثم مناخ عام ينسجم مع مبادئ گولن الأساسية في الحوار والتسامح وحرية التعبير والالتزام بالديمقراطية والانسجام الاجتماعي.

وأحد متطلبات استمرار «زمان» في السوق هو الشفافية المالية. وكل عام تتحقق الحكومة من ماليات كل صحيفة، وإذا وجدت أية مخالفات تتعلق بالمعاملات المالية أو الشفافية؛ يتم غلق الصحيفة أو تكبيدها غرامة مالية. وطوال ٢٢ عامًا، هي عُمر «زمان»؛ لم تظهر فيها أية مخالفات برغم التدقيق الواضح لمراجعي الحسابات المالية.

وباختصار؛ تعتبر «زمان» صحيفة تستلهم فكر گولن، بقدر ما ألهمت أفكاره بعض المساهمين الأصليين، وشجَّع هو حماستهم. إضافة إلى أن الصحيفة ملتزمة بقيم گولن عن الحوار، وتمثيل مختلف الآراء ونبذ الكراهية. كذا؛ تقتصر الإعلانات على ما لا يروّج للتعري أو الخمور أو الأنشطة ذات العلاقة بالجريمة. ومن ثم؛ فلا يوجد ارتباط مالي بين الصحيفة وحركة گولن. فالصحيفة مشروع تجاري ربحي لمساهميها.

- وَقف الصحفيين والكُتَّاب:

خلال زيارة لإسطنبول، عام ١٩٩٤م؛ التقى الأستاذ گولن مجموعة من الكُتَّاب والصحفيّين، وقال إن لهم دورًا تعليميًا هامًا يتعين عليهم الاضطلاع به في تشكيلِ أفكار الجمهور، خصوصًا فيما يتعلّق بالحوار بين الثقافات والأعراق والأديان. جاءت ملاحظاته بعد مرور عقد من الزمان على الاستقطاب الشديد بين المثقفين

في تركيا، والذي أدى في بعض الحالات إلى صراع مسلح حقيقي. فالاستقطاب المتزايد بين الشيوعيين والقوميين والمجموعات الدينية الرايكالية في تركيا، والحرب الوحشية في البوسنة والهرسك؛ كانت الدافع وراء إصرار الأستاذ گولن على أن الحوار بين الثقافات والحضارات والأديان صار حاجةً ملحةً، في تركيا والعالم؛ أكثر من أي وقتٍ سابقٍ. وشجع الأستاذ گولن المجموعة على دعوة أشخاص من انتماءات أيديولوجية مختلفة لمائدة حوار واحدة، وشجَّعهم على إنشاء مؤسسة تُكرِّس لهذا الهدف.

وفي يونيو ١٩٩٤م؛ دَشَّنَتِ المجموعة الأساسية، التي التقت الأستاذ گولن وألهمتها رؤيته للمؤسسة الحوارية؛ وَقف الصحفيين والكُتَّاب ومقره الرئيس في إسطنبول. ووافق الأستاذ گولن على شغل منصب الرئيس الشرفي للمؤسسة، وهو الدور الذي أدّاه طوال أول عشر سنوات. وفي القلب من مؤسَّسة الوقف تأتي اجتماعات «منصة أبانت Abant Platform»، وهو منتدى للنقاش يُسلِّطُ الضوء على سيناريوهات مختلفةٍ لمواجهة التحديات المشتركة، فضلًا عن القيم الإنسانية الأساسية التي تجمع المشاركين. وعلى سبيل المثال؛ جمعت هذه اللقاءات الأتراك من خلفيات فكرية ودينية متنوعة، بما في ذلك العلمانيون والمسلمون والتقليديون والحداثيون والملحدون والمسيحيون واليساريون والمحافظون؛ لبحث ومناقشة المواقف المشتركة حول القضايا الرئيسية المعاصرة. وتُحدِّد بيانات «أبانت Abant»، التي تمخَّضت عن تلك الاجتماعات؛ الخطوطَ العريضة لنقاط الاتفاق المشتركة.

ومصدر التمويل الرئيسي للوقف هو وحدة نشر الكتب، وهي كتبٌ موجهة ابتداءً للمثقفين. وفي حين يُسجِّل العديد من الناشرين بيع حوالي ألفي نسخة من كتبهم؛ فقد باع الوقف ما يزيد على الخمسين ألف نسخة من بعض الكتب، خاصة تلك التي ألفها الأستاذ گولن. ومن منشوراته؛ يجني الوقف ما بين ثلاثمئة إلى خمسمئة ألف دولار سنويًا. كذا يجني بعض الإيرادات من بيع الإسطوانات الموسيقية، وإن كان ذلك بشكلٍ هامشي في معظم السنوات. وعند تنظيم فعالية

معينة، مثل لقاء «منصة أبانت» أو مؤتمر في موضوع مُعيَّن؛ تطلب مؤسّسة الوقف الدعم من رجال الأعمال المحليين. وقد تلقَّت المؤسسة مِنحًا حكومية، في ثلاث مناسبات؛ لتغطية تكاليف استجلاب باحثين من دول أخرى، بما إجماليه أقل من خمسين ألف دولار. بالإضافة إلى ذلك؛ شرعت المؤسسة ببعض المشروعات المبتكَرة لتوليد المال. كان آخرها إنتاج أسطوانةٍ لمغنٍّ شهير؛ وافق على التبرع بالعوائد لمراكز التعليم في المناطق الفقيرة في تركيا والعالم. فضلًا عن أن المؤسسة استطاعت جمع عشرة مطربين معروفين في تركيا، لا يرتبط أي واحد منهم عميقًا بحركة گولن؛ للتبرع بأجورهم عن أغنيات أُنتِجَت لأسطوانةٍ باعت بالفعل مئتي ألف نسخة في وقتٍ قصير. وقد خُصِّصَت عوائدها لدعم عمل المؤسسة.

تضمَّن مشروع آخر لجمع التبرعات رعايةَ المؤسَّسة لمباراة كرة قدم بين رياضيين أتراك الجنسية ورياضيين عالميين مشهورين. واستُخدمت الأموال التي جُمِعت من الفعالية لبناء مدارس في البوسنة للطلاب الصرب والبسنويين. وقد توقَّف الصراع المعتاد بين الصرب والبوسنة على أبواب المدرسة؛ استسلامًا لحقيقة أن طلاب المجموعتين الإثنيتين حضروا للمدرسة بهدف الحصول على تعليم جيد.

وبسبب وضعه كمؤسَّسة قانونية؛ فإن وقف الصحفيين والكُتَّاب مؤهل للحصول على إعفاءات ضريبية على العقارات التي يملكها للاستخدام التجاري. لكن المؤسسة حاليًا تستأجر العقارات التي يستلزمها نشاطها، ومن ثم فلا يُمكنها الاستفادة من تلك الاستقطاعات الضريبية. ولعدة سنوات؛ كان العام المالي للمؤسسة ينتهي بالديون. لكن مع نشرها كتاب الأستاذ گولن الأخير، الذي حقَّقَت مبيعاته نجاحًا باهرًا؛ تُخطِّطُ المؤسّسة لشراء عقار قريبًا ليضُم مكاتبها.

- **جامعة «الفاتح Fatih»:**

افتُتِحت جامعة الفاتح عام ١٩٩٤م، بعد عامٍ من موافقة الكونجرس على طلب إنشاء جامعة خاصة يتم بناؤها في ضواحي إسطنبول. وفي تركيا؛ يحق للمؤسسات الخيرية وحدها إنشاء جامعات خاصة، وليس ذلك متاحًا للأفراد أو الشركات بهدف الربح. كان مقرّ المؤسسة الخيرية، التي بدأت تمويل الفاتح؛ في مدينة أنقرة، وتألّفت من مؤيدين مُتصلين بحركة گولن. كان مؤيدو گولن في مدينتين، ورجال أعمال من إسطنبول؛ هم مصدر التمويل، إذ تبرَّع رجل أعمال ثري من إسطنبول بالمال لبناء ودعم الجامعة. وتبرَّع آخر بالأرض التي بُنِيَت عليها الجامعة، والتي قُدِّرَت في ذلك الوقت بحوالي خمسة ملايين دولار. وتبلغ قيمة الأرض اليوم مئة مليون دولار. وما أن خُصِّصت الأرض؛ حتى ساهم رجال أعمال آخرون في إنشاء المباني والافتتاح التمهيدي للجامعة.

وحاليًا؛ تكفي الرسوم الدراسية لتكاليف تشغيل الجامعة، بما في ذلك صيانة المباني، ورواتب أعضاء هيئة التدريس... إلخ. لكن القانون التركي يحظُر استخدام الرسوم الدراسية في الإنشاءات، إذ يتعين على المؤسَّسة جمع التبرعات لمثل تلك النفقات. وقد تم بناء كل مباني ومختبرات الجامعة، من ثم؛ بواسطة التبرعات التي جمعتها المؤسسة. ومنذ عدة سنوات؛ أنشأت المؤسَّسة مختبرًا تكلف سبعة ملايين دولار. وفي عام ٢٠٠٧م؛ أنهت الجامعة مبنى الدورات التحضيرية، الذي تكلف أربعة ملايين دولار. وفي عام ٢٠٠٨م؛ احتاجت الجامعة إلى خمسة عشر مليون دولار لبناء مختبرات، لكن المؤسسة قالت أنها لا تستطيع جمع مثل ذلك المبلغ في عام؛ لذلك فسوف تزود الجامعة بنصف المبلغ في نفس العام، والنصف الآخر في العام التالي.

ويتبرع العديدون، ومعظمهم من مؤيدي گولن؛ للمؤسسة. وثمة عدد صغير من الأفراد يُقدِّمون مساهمات ضخمة، وتسمي الجامعة، غالبًا؛ مبنىً أو مختبرًا بأسمائهم، عرفانًا بمثل هذا التبرع. ورغم ذلك؛ فالمؤسسة والجامعة حريصتان للغاية

في قبول التبرعات، مع نية عدم قبول الأموال من الجماعات السياسية الراديكالية. ومؤخرًا؛ كانت الجامعة في حاجةٍ مُلحّةٍ للعديد من المباني التعليمية الجديدة، وسنحت لها الفرصة للتقدُّم لمنحة تنموية من بنك إسلامي يُقرِض أموالًا بدون فائدة، للجامعات في الدول الإسلامية؛ دعمًا للتعليم. وكان مقرّ البنك في المملكة العربية السعودية، لكن سيتم الحصول على المال من خلال الحكومة التركية. ورفع المسئولون في الجامعة المقترَح للأستاذ گولن، الذي أثناهم بوضوح عن المضي قُدُمًا في القرض. وكما قال؛ فإنه نظرًا لحقيقة وجود البنك في المملكة العربية السعودية، فإن الجماهير ستتهم الحركة بقبول أموال من السعودية، وهو ما يُصِرُّ على أنه ليس بفكرة جيدة. وقد نصح المسئولين بالانتظار، والتحلّي بالصبر؛ والحصول على المال من مؤيدي حركة گولن في تركيا.

وطبقًا لقانون التعليم العالي في تركيا، فإذا استوفت جامعة شروطًا معينة؛ تُغطي الحكومة ١٥٪ من ميزانيتها كل عام. ويخصّص هذا لكل وأي جامعة مؤهَّلة في تركيا. وفي عامي ٢٠٠٦م و٢٠٠٧م؛ تأهَّلت الفاتح وحصلت على حصتها، وفي عام ٢٠٠٨م؛ أخفقت في شرطٍ واحدٍ وحُرِمَت من العون.

والعلاقة بين المؤسسة الخيرية والجامعة علاقة مالية. وفي الحقيقة؛ لا يعرف المسئولون في الجامعة أعضاء مجلس إدارة المؤسسة. وقد حكى نائب رئيس الجامعة، الذي التقيته؛ قصة للتأكيد على هذه الحقيقة. إذ كان في لقاء مؤخرًا، في إسطنبول؛ وذكر أن الجامعة في حاجة لمزيد من الأراضي للتوسّع. فعلّق رجل من الحاضرين، لم يكن يعرفه؛ قائلًا: «هل تعني أن الأرض التي أعطيتُها لكم سلفًا لا تكفي؟». لقد التقى المتبرِّع الأصلي بمحض الصدفة، وبالمثل؛ فإن مديري الجامعة لا يعرفون من يشغل عضوية مجلس إدارة المؤسسة، أو من يتبرع لها. فالمال يُمنَحُ للمؤسسة لدعم الجامعة من بين مشروعات أخرى. وعندما يتبرَّع الأفراد للمؤسسة؛ فهم بشكل روتيني لا يستوثقون أي المشروعات سوف تموِّل بتبرعاتهم.

وليس للمؤسسة أي سلطة على الجامعة سوى توفير التمويل لمشروعاتٍ معينة، وبناء على طلب إدارة الجامعة. ولا يوجد ممثل روتيني للمؤسسة داخل مجلس أمناء الجامعة، ناهيك عن أن يحقّ له التدخُّل في الشئون الأكاديمية للجامعة. وهذا ينطبق على أكثر الأفراد المتبرِّعين للجامعة. وعلى سبيل المثال؛ تبرَّع صاحب شركة حُلِيّ بمالٍ لمبنى في الحرم الجامعي، وحضر افتتاح المبنى، ولم يره الإداريون في الفاتح مرة أخرى.

وعندما سُئِل نائب رئيس الجامعة عن نسبة الطلاب المشاركين في حركة گولن، قَدَّرَهُم بما نسبته ٥٠٪ متعاطفون، بمعنى أنهم مشاركون بمستويات مختلفة في الحركة. وجامعة الفاتح معروف ارتباطها بگولن، ومن ثم كان الانضمام للجامعة يدل على أن الطالب، على الأقل؛ ليس مناوئًا لحركة گولن. ولا يوجد قسم للدراسات الدينية في الجامعة، ولا دورات عن الأستاذ گولن وأفكاره، ولا صور أو تماثيل له، أو أي دوائر أو مناقشات منظمة تتناول تعاليمه. وأي دائرة محلية من الطلاب، تلتقي لمناقشة أعمال الأستاذ گولن؛ تكون طوعية وغير رسمية. وثمة تفضيل لتوظيف الإداريين المتأثرين بأفكار الأستاذ گولن؛ حتى يمكنهم المحافظة على رسالة الجامعة بروح الأستاذ. ومع ذلك؛ فأقل من ٥٠٪ من أعضاء هيئة التدريس ينتمون إلى الحركة. وتحاول الجامعة توظيف أعضاء هيئة التدريس الذين يتبنون نفس قيم الأستاذ گولن عن التجانس المجتمعي، والحوار، واحترام التعليم والعلم، وغرس القيم الهيومانية في الطلاب؛ ليحترم بعضهم بعضًا، ويكونوا مواطنين صالحين يحترمون بلادهم.

وفي جامعة الفاتح؛ يطبق القانون التركي، الخاص بمنع المشروبات الكحولية في الحرم الجامعي؛ بصرامة ليست موجودة في جامعات أخرى. ولذلك السبب؛ تُفضِّل العديد من الأسر التركية إرسال بناتها إلى جامعة الفاتح. ويتوقَّعون أن تكون الفتيات بمأمنٍ، ويخضعن لإشرافٍ أكثر صرامة من العديد من الجامعات التركية الأخرى. ونتيجة لذلك؛ فنسبة الطالبات في جامعة الفاتح تتعدى نسبتهن في جامعات أخرى عديدة.

- مستشفيات ألهمها گولن:

ثمة ستة من مستشفيات گولن في تركيا. زرنا اثنين منها: مستشفى «سما Sama» في إسطنبول، ومستشفى «بهار Bahar» في بورصة. وقد مُوِّلَت مستشفى سما، في البداية؛ بواسطة خمسة رجال أعمال من حركة گولن أرادوا تدشين مشروع في قطاع الرعاية الصحية. فناقشوا مع الأستاذ گولن فكرة تطبيق النموذج التعليمي شديد النجاح، لمدارس گولن؛ في مستشفى خاص. أيّد الأستاذ گولن الفكرة، وشجّعهم على مباشرة خططهم. وقد وفّر رجالُ الأعمال، الخمسة المؤسسون؛ التمويل الأولي لمستشفى «سما» من أموالهم الشخصية، وأموال أخرى اقترضوها بسبب نفوذهم المالي لدى بنوك إسطنبول. ومازال رجال الأعمال الخمسة أعضاء في مجلس أمناء المستشفى، ويشاركون عن كثب في إدارتها.

وبرغم امتلاك تركيا لنظام رعاية صحية عالمي؛ فإنه لا يغطّي كل النفقات المطلوبة في المستشفيات الخاصة. وفي بعض الحالات المرضية، مثل مشاكل القلب والعناية المركزة وعلاج العيون؛ لا يتطلب العلاج بالمستشفى شيئًا يزيد على متطلبات التأمين الصحي «العالمي». وبالنسبة للنفقات الأخرى الزائدة؛ فإن البعض يقدر على سدادها وحده، والبعض الآخر لا يمكنه ذلك. وغالبًا ما تسدد فواتير المرضى غير القادرين بمعرفة مؤيدي گولن. وأحيانًا ما يرافق الداعمُ المريضَ، ويطلب إرسال فاتورة الرسوم الزائدة عن التأمين له ليدفعها. وفي حالات أخرى؛ يُرسِل متبرِّعون مجهولون أموالهم لمساعدة المرضى المعوزين، ولا يعرف العاملون في المستشفى هويتهم. وفي حالات ثالثة؛ يأتي المريض الذي يحتاج لرعاية طبية، لكنه يخطرهم مقدمًا بعجزه عن سداد أي مبالغ زائدة على التأمين الصحي الحكومي. وفي هذه الحالات؛ يحاول العاملون في المستشفى البحث عن مُتبرِّع راغب في مساعدة هذا المريض بعينه. وقد علّقت كريستين، مدير الصحة العامة في المستشفى، والمتخرجة في جامعة هارڤارد؛ قائلة:

«لدينا شبكة مُبهرة من الأشخاص الذين يدعمون المرضى المحتاجين للعلاج. هذا النظام غير رسمي بالمرة، لكنه ناجح. وحركة گولن فعّالة جدًا في إدراك أننا مستشفى جديد، وبحاجة للدعم حتى نستقر. والداعِمون لا يريدون أن نضطر لتأخير إنجازاتنا؛ لذا فهم كرماء جدًا في دعمهم».

وفي الخطة الإستراتيجية لمستشفى سما؛ لا توجد أهداف مالية. بل يتوجَّه التركيز إلى إرضاء الموظفين والمرضى. ولأنه مستشفى خاص، أي أنه مستشفى ربحي؛ فإن الأرباح رغم ذلك لا تعود لرجال الأعمال، لتعزيز قدراتهم المالية. لكنها بدلًا من ذلك تُنفَقُ لتطوير وتوسعة المستشفى؛ لتوفير رعاية أكبر للفقراء، أو مساعدة مستشفياتٍ أخرى لتبدأ وتنجح. ولعدة مرات، خلال حوارنا مع كريستين ومجموعة من الأطباء؛ تكررت تَعليقاتُهم أنه إذا ما طوَّرت مستشفى سما نموذجًا ناجحًا، فإن أتباع گولن سيبنون مستشفيات أخرى، ومن ثم يجد المزيد من المحتاجين علاجًا في جو من الإنسانية والرعاية.

وتختلف مستشفى سما عن باقي المستشفيات، سواء الخاصة أو العامة؛ في سماتٍ ثلاث أساسية: أولها طريقة توظيف الأطبّاء والعاملين ودفع رواتبهم، وثانيها إستراتيجية التسعير، وثالثها طريقة معاملة المرضى. ففي العديد من المستشفيات يعتبر الأطباء موظفي خدمة مدنية مشغولين جدًا. وكما علّق طبيبٌ: «في المستشفيات العامة؛ غالبًا ما يُعامِل الطبيبُ المرضى بوصفهم مصدر إزعاج»، وأضاف: «ثمة شيء مختلف في هذا المستشفى؛ فالناس هنا لا يعملون للمال، بل لأجل المرضى». وعملية التوظيف في مستشفى سما صارمة. وبرغم أهمية الشهادات والخبرة، لكل من العمالة الطبية والإدارية؛ فإن مسئولي التوظيف والتعاقُد «ينظرون أيضًا في جوهر الأشخاص، أكثر مما يهتمون بإنجازاتهم. فممرضة تستمتع بمساعدة الناس، أكثر فائدة للمرضى من ممرضة حظيت بتدريبٍ عالٍ لكنها لا تحب الناس». وقد علّق أحد الأطباء بأن أكثر الأطباء الثمانين العاملين في مستشفى سما ينتمون إلى دوائر گولن المحلية من قبل توظيفهم، وآخرون قد يكونون غير مشاركين في الحركة،

لكنهم يُريدون العمل في مكانٍ إنساني تأسس على نموذج مدرسة گولن. وبشكل منتظم؛ يقبل الأطباء أجرًا مُنخفضًا للعمل في مستشفى سما، فرغبتهم في أن يكونوا جزءًا من طاقم عمل أولويته رعاية المرضى، في أجواء داعمة؛ تفوق حرصهم على المال. وبالمثل؛ فبعض العمالة الطبية والإدارية يعلمون أن مستشفى سما مستوحاة من فكر گولن، ومن ثم؛ لم يكونوا ليختاروا العمل بها ما لم يتوافقوا مع ثقافة المستشفى وأجوائها.

ومن بين عشرين ألف طبيب يعملون في إسطنبول؛ يرتبط حوالي ألفين منهم بحركة گولن، وهم جزء من الدوائر المحلية للأطباء. وفي أبريل عام ٢٠٠٨م؛ سافر ثمانون طبيبًا مرتبطين بحركة گولن، على نفقتهم الخاصة؛ إلى جنوب شرقي تركيا لعلاج المرضى دون أي أجر، لمدة ثلاثة أيام. ونُقِلَ حوالي مئة وثلاثين من هؤلاء المرضى، معظمهم يعانون مشكلات في القلب؛ إلى مستشفى سما وعولجوا مجانًا. بالإضافة إلى ذلك؛ فإن كل دوائر الأطباء المرتبطة بحركة گولن تتبرع بالمال للحركة، كما يفعل العديد من العاملين في المستشفى. وفي الحقيقة؛ فإن العاملين بمستشفى سما يدعمون إحدى مدارس گولن في ألبانيا.

كذا؛ يُعنى مستشفى سما بمعلمي كل مدارس گولن، في أي مكان في العالم؛ بنفس هيكل الأسعار المخصصة لموظفي المستشفى، وهو ما يشمل تخفيضًا يصل إلى ٨٠٪ على الرسوم المعتادة. إن مساعدة هؤلاء المعلمين، الذين يحصلون عادة على أجور مُنخفضة ولا يمكنهم تحمُّل تأمين صحي إضافي، كما ذكرت كريستين؛ «تكريم لهم على العمل الذي يضطلعون به». وعلى سبيل المثال، في اليوم السابق على مُقابلتنا؛ حضر مدرِّسٌ من إحدى مدارس گولن، في نيجيريا؛ للعلاج من عدَّة أمراض. وعرفانًا بالرعاية الصحية التي وفرتها مستشفى سما لهذا المريض؛ وَعَدَ وزيرٌ نيجيري بتخصيص أرض لإقامة مستشفى يستلهم فكر گولن في نيجيريا. وقد أخبرنا أحد الأطباء الذين قابلناهم إن بعضًا من أفراد مجموعة الأطباء الذين زاروا جنوب شرقي تركيا، لتقديم الرعاية الطبية؛ كانوا يخطِّطون كذلك لزيارة

أفريقيا، للوقوف على إمكانية افتتاح مستشفيات هناك تأسيسًا على نموذج مدارس گولن، الذي يُستخدَم الآن بنجاح في مستشفى سما. وفي الواقع، كما أخبرنا؛ فإن السيناريو المثالي سيكون تدريب الأطباء والممرضات في إطار نظام گولن التعليمي، ثم توظيفهم في مستشفيات گولن؛ حتى يتسنّى للروح والأهداف، المستوحاة من الأستاذ گولن؛ أن تتخلل مختلف هذه المؤسسات.

أما عن تجربة المرضى في هذا الجو الفريد، في مستشفى سما؛ فقد ضربت كريستين مثالًا لعامل، من ذوي الياقات الزرقاء؛ الذي قال بعد عملية جراحية في القلب: «لقد اكتشفت هنا أنني إنسان. لم أستطع إدراك قيمتي كإنسان حتى أتيتُ إلى هنا». وقالت إن لدى المستشفى شهادات كثيرة، من هذا النوع؛ عن الفارق بين رعايتهم للمريض ورعاية العديد من المستشفيات الأخرى. ويأتي المرضى خصيصًا إلى مستشفى سما، من داخل تركيا ومن بلدان أُخرى؛ بسبب معرفتهم أنها من مستشفيات گولن. كما يأتي آخرون لأنهم سمعوا أن المستشفى يوفّر أعلى درجات الرعاية في جو يحترم المريض بوصفه إنسانًا.

أما مستشفى بهار؛ فقد بدأ باعتباره مركزًا طبيًا عام ١٩٩٨م، عندما وظف مجموعة من رجال الأعمال ٤-٥ أطباء لإدارة عيادة طبية صغيرة. وبالإضافة إلى رجال الأعمال؛ كان هناك دعم شعبي من أعضاء حركة گولن في بورصة، الذين أُلهموا لبناء مركز طبي. وقد ابتيعت أول سيارة إسعاف من مال حُليّ تبرعت به نسوة من مؤيدات الحركة. وفي عام ٢٠٠٤م؛ افتُتح أول طابق من المبنى كمستشفى. وفي الطابق الأخير من المبنى، المكون من ثمانية طوابق؛ أنشئت مدرسة من مدارس گولن، والتي نُقِلت لاحقًا لتوسعة المستشفى. واليوم يمتد المستشفى في ثمانية طوابق بها ثمانون سريرًا للمرضى. ويوجد به الآن ثلاثة وخمسون طبيبًا، ويبلغ مجموع العاملين في المستشفى أربعمائة شخص.

وتحفل جميع وحدات المستشفى بالمعدات الطبية المتقدِّمة تقنيًا، بما في ذلك وحدة القلب والأوعية الدموية، والتي نفذت فيها أكثر من سبعمائة عملية جراحة في

القلب.ومن بين المستشفيات الثمانية الخاصة في المدينة، فإن مستشفى بهار هو ثالثها من حيث الحجم، إذ يجرى فيه نحو ألف عملية جراحية، كل شهر؛ بميزانيةٍ سنوية تبلغ أربعين مليون دولار، وبمعدل ربح ١٠-١٥٪.

وشعار المستشفى هو: «ثق في الطب»؛ فغالبًا ما يتشكّك المرضى في تركيا في دوافع الأطباء لتوصيف إجراءات وأدوية قد تستهدف التربُّح وليس مصلحة المريض. ملمحٌ رئيسي آخر لمستشفى بهار، هو غرسه للثقة في مرضاه. فعلى سبيل المثال؛ ذهبت مريضة مؤخرًا لرؤية طبيب عيون في إسطنبول، لتستشيره في مشكلة تعانيها، وشكّت في التشخيص؛ لذا ذهبت إلى بهار، بناء على نصيحة صديق؛ الذي قال إنها تستطيع أن تثق في أطباء بهار.

ويصّر المستشفى على أن يُعامِل فريقُه المرضى كأنهم أعضاء أسرة واحدة، ويجعلونهم يشعرون، في جو المستشفى؛ كأنهم في بيوتهم. ويوظِّف العاملون، بما في ذلك الأطباء؛ بناءً على معايير الكفاءة المهنية والسلوك تجاه رعاية المرضى، كليهما. وحوالي ٤٠٪ من العاملين مُشاركون في حركة گولن، أما نسبة الـ٦٠٪ الباقية فليسوا جزءًا من الحركة؛ لكنهم يُشارِكونها الإيمان بقيمة الأولوية المطلقة للرعاية الصحية للمريض.

وللمستشفى قدرة على تحمل أعباء المرضى، الذين لا يمكنهم سداد نفقات العلاج. وقد سافر أطباء من المستشفى، مرتين في الأشهر الأخيرة؛ إلى جنوب شرقي تركيا وعثروا على مرضى بحاجة لعمليات جراحية، وتم نقلهم إلى بهار لتلقي العلاج. ولم يدفع هؤلاء المرضى شيئًا في مقابل ذلك. وبقيادة المستشفى؛ توجد جمعية تجتذب الأطباء الذين يريدون فعل الخير، على غرار «أطباء بلا حدود». ومعظم هؤلاء الأطباء منتمون لحركة گولن. وقد أرسلت الجمعية خمسة وثلاثين طبيبًا من مدينة بورصة إلى إحدى مدن جنوب شرقي تركيا، وأربعين طبيبًا لمدينة أخرى.

ويتماشى هيكل رواتب المستشفى مع متوسط رواتب الأطباء في القطاع الخاص. ويصرُّ المستشفى على أن تُدفَع للأطباء رواتب كافية حتى لا تشغلهم احتياجات الحياة، ويستطيعون من ثَمَّ تكثيف جهودهم في رعاية المرضى. أضف إلى ذلك أن العديد من أطباء المستشفى ينتمون إلى دوائر محلية للأطباء، وهي الدوائر التي يتعهدون من خلالها مشروعات متنوعة بالدعم المالي، ومنها مشروعات الرعاية الصحية أو المدارس والمنح الدراسية. وعلى سبيل المثال؛ فإن طبيبًا ممن قابلتُهم يجني حوالي مائة وعشرين ألف دولار سنويًا ولديه ثلاثة أطفال، وهو يخصص نسبة ٣٠٪ من دخله السنوي لمشروعات گولن، مما يعني أن إجمالي مساهماته يبلُغ حوالي أربعين ألف دولار سنويًا. وقد قال إنه يعرف أطباء يخصصون نسبة ٥٠٪ من رواتبهم السنوية لتلك المشروعات. وقدَّر أن تبرُّعات الأطباء في بورصة تدعم حوالي ستمائة منحة دراسية في العام، قيمة كل واحدة ألف وخمسمائة دولار؛ ليبلُغ مجموع التبرعات حوالي تسعمائة ألف دولار سنويًا. وأضاف أن الأطباء يدعمون كذلك إنشاء مبانٍ مدرسية بعينها، ومشروعات أخرى ساعة ظهورها. وعندما سألتُه لماذا يتبرع بمثل ذلك المبلغ الكبير؛ علق قائلًا:

> «أعتبر ذلك شكرًا لله. وقد بدأ ذلك الاتجاه لديَّ عندما كنت أقيم في منازل يقيم فيها الطلاب. شعرت بالامتنان والعرفان بالجميل إذ شهدت رجال أعمال يتبرّعون بمبالغ ضخمة، وأردت أن أتبرع بمثل تلك المبالغ عندما تُتاح لي الفرصة. لذلك فأنا أؤمن أنه عمل يرضي الله، وهو يكافئ الذين ينسجمون مع مشيئته».

وفي كلية الطب؛ كان ذلك الطبيب يقيم في بيوت الطلبة، ولاحظ أن المبلغ المالي الذي يدفعه لا يكفي لإدارة المنزل. ورأى عائلات تدعو الطلبة لتناول العشاء، وتساءل إن كان مصدر المال هو مثل هذه الأنشطة. ثم رأى رجال أعمال يدعمون هذه البيوت، ودعوات العشاء، وغيرها من المشروعات؛ وأراد أن يكون يومًا من أصحاب اليد العليا.

- المؤسسات التعليمية؛ بيوت الطلبة والدورات التحضيرية:

في القلب من تعاليم الأستاذ گولن؛ يأتي تأكيده على الحاجة للتعليم الجيد لكل الشباب التركي. فهو يرى في التعليم الحل الرئيس للمشكلات الثلاث، التي تضرب البلدان النامية؛ وهي: الفقر والجهل والانقسامات الداخلية.[1] وهو يحتج بأن المعرفة، ورأس المال العامل، والاتحاد؛ يمكنهم مكافحة هؤلاء. وقد وجد في الجهل المشكلة الأكثر خطورة بينهم، ومن ثم كان التعليم أكثر الحاجات إلحاحًا للمجتمع التركي، مؤكدًا بأن كل مشكلة في الحياة الإنسانية تعتمد على البشر أنفسهم، ومن ثم كان التعليم هو الوسيلة الأكثر فعالية، بغض النظر عمّا إذا كان النظام السياسي والاجتماعي مشلولين أو يعملان بدقة مثل الساعة؛ وقد شجّع الأستاذ گولن الجماهير لخدمة بلدهم والإنسانية عمومًا، من خلال دعم التعليم والترويج له.

وفضلًا عن ترويجه الدائم للتعليم في خطبه، فقد شجَّع الأستاذ گولن رجال الأعمال والصناعيين الأقوياء، جنبًا إلى جنب مع صغار رجال الأعمال؛ على الدعم المالي للتعليم الجيد. إذ أدرك أن إعداد معلمين ممتازين هو الخطوة الأولى والحاسمة تجاه تعليم أرقى في المدارس، لكن مثل ذلك الهدف يتطلب وقتًا لتحقيقه. ولذلك، وكخطوة أولى؛ شجّع التجار ورواد الأعمال على دعم بيوت الطلبة، حيث يمكن للطلاب الإقامة والدراسة معًا تحت إشراف مُعلّمين مُتفانين. كان هذا التنظيم مُلحًا بوجهٍ خاص لشباب الريف، الذين التحقوا بمدارس ثانوية وجامعات في المدن الكبرى، لكنهم لا يستطيعون تحمُّل نفقات السكن والمعيشة فضلًا عن الرسوم المدرسية والكتب. وبالإضافة لتوفير وسائل المعيشة؛ وفّرت بيوتُ الطلبة مُعلّمين لمساعدة النشء على الاستقرار واستكمال تحصيلهم الأكاديمي.

وقد درَّس الأستاذ گولن نفسه، خلال السبعينيات؛ للنشء في بعض بيوت الطلبة تلك وكذا في شقته الخاصة. ويتذكر السيد يافوز، وهو رجل من بورصة في العقد الثامن من عمره؛ بأنه وشقيقه أجَّرا الطابق العلوي، من بناية يملكانها؛

(1) Unal and Williams (2003).

إلى الأستاذ گولن، الذي كان يدعو الطلبة بشكل مُستمر إلى شقته، للإشراف على دراستهم. كما شجع الطلاب الآخرين على الإشراف على زملائهم، الذين لا يؤدُّون بشكلٍ مُرضٍ في فصولهم الدراسية.

بعدها بأربعين عامًا، في أبريل عام ٢٠٠٨م؛ عندما كنت أُجري أبحاثًا في تركيا، استمرَّت بيوت گولن للطلبة في الانتشار، في أنحاء البلاد؛ مع وجود عدد منها في كل مدينة. وبيوت الطلبة تلك يدعمها رجالُ الأعمال والمهنيون والعمال المحليون المرتبطون بحركة گولن. وفي حين تُفرَض رسومٌ جد مُخفَّضة على المقيمين؛ فإن كثيرًا من الطلاب لا يستطيعون تحمل تلك النفقات، ويحتاجون إلى الدعم. والقليل من بيوت الطلبة مُستقلٌ ماليًا تمامًا، ومُعظمها يعتمِدُ على دعم المؤيدين المحليين. وكما يتَّضِحُ في الفصل الرابع، «شبكة الدوائر المحلية»؛ فإن كثيرًا من الدوائر المحلية تدعم المقيمين في بيوت الطلبة المرتبطة بگولن، وقد تعرَّف الكثيرون من المشاركين في الدوائر المحلية، ممن قابلتهم؛ على حركة گولن لأول مرة في بيت طلبة عاشوا فيه خلال المرحلة الثانوية، أو بشكل أكثر تكرارًا؛ عند التحاقهم بالجامعة أو كلية الطب.

وبالإضافة إلى الترويج لتأسيس بيوت الطلبة؛ شجَّع الأستاذ گولن مشروعًا آخر هو توفير دورات تحضيرية للجامعة، لإعداد طلبة المدارس الثانوية للاختبار الإجباري، الذي يخوضه كل الراغبين في الالتحاق بالجامعة. ومن بين ما يقرب من مليوني خريج من المدارس الثانوية، يخوضون الاختبار كل عام؛ يجتازه حوالي ٢٥٪ ممن لم يلتحقوا بإحدى الدورات التحضيرية. وتزيد النسبة إلى ٥٠٪ لأولئك الذين التحقوا بدورات تدعمها الدولة، أو تتوفر لهم بشكلٍ خاص. وحاليًا؛ يدعم الدورات التحضيرية، كما تُسمى؛ المعلمون الذين يتشاركون فلسفة گولن التعليمية ويعملون بها، وهي دورات متوفرة في كل مدينة، تقريبًا؛ في أنحاء تركيا. والطلاب الذين يلتحقون بهذه الدورات التحضيرية تتحسَّن علاماتهم لدرجة أن نسبة ٧٥-٨٠٪ منهم يجتازون الاختبار. وأحد أسباب نجاح تلك الدورات هو كفاءة وتفاني

المعلّمين، الذين ينتمي كثير منهم إلى حركة گولن وتتجاوز دوافعهم العائد المادي المجرد.

وبينما صارت الدورات التحضيرية، التي استلهمت فكر گولن؛ مملوكة وتُدار بصفتها مشروعًا تجاريًا يَتقاضى رسومًا، فإن هناك طلابًا يريدون الالتحاق بتلك الفصول لكنهم لا يستطيعون تحمُّل رسومها. لذا؛ توفر كل الدوائر المحلية، التي زرتها؛ منحًا دراسية، للطلاب المعوزين؛ للالتحاق بالدورات التحضيرية. يوفّر ذلك الدعم فرصة للطلاب الذين لن يستطيعوا الحصول على إعدادٍ جيدٍ للاختبار. وكثير من المشاركين في الدوائر المحلية تعرفوا على حركة گولن لأول مرة في هذه الدورات التحضيرية. وتوفّر كل من بيوت الطلبة والدورات التحضيرية، من ثم؛ فرصًا تعليمية للشباب التركي، وتعمل، ربما بغير قصد؛ كآلية لتجنيد المشاركين في الحركة.

- المؤسّسات التعليمية؛ المدارس التي ألهمها گولن:

حجر الزاوية في حركة گولن هو المدارس (قُدِّرت بأكثر من ألف مدرسة) المنتشرة في جميع أنحاء تركيا، وفي مئة دولة حول العالم تقريبًا، وخمس قارات. في هذه المدارس يتم التعبير عن فلسفة الأستاذ گولن التعليمية بوضوح، كما تتجلى فيها ثمار أفكاره التربوية. وهدف المدارس هو خلق أجيال قادرة على المنافسة العلمية، أجيال من المؤمنين المخلصين والمواطنين الأوفياء. لتكون غاية هؤلاء هي تجاوز الصراع المفترَض بين إيمان المسلم، وأنماط المعيشة الإسلامية التركية من ناحية؛ وبين العلوم الطبيعية الغربية من ناحية أخرى.[1]

ويشار للمدارس غالبًا بأنها «مدارس گولن»، برغم أن فتح الله گولن لا يملكها، بل تملكها شركات خاصة، ومؤسسات؛ أنشأها رجال أعمال ألهمهم الأستاذ گولن ويتشاركون أفكاره. وگولن نفسه اتصاله بالمدارس ضعيف، إن وُجِد؛ ولا يعلم على

---

(1) Turam (2004).

وجه الدقة أعدادها أو أسماءها.[1] وقد ألهم المثل المبكر الذي ضربه گولن بوصفه مُعلّمًا، جنبًا إلى جنب مع أفكاره عن التعليم والمجتمع العالمي والتقدُّم الإنساني؛ ألهم جيلًا ليبني المدارس في أنحاء تركيا، وآسيا الوسطي، وأوروبا وأفريقيا، وأماكن أخرى؛ وهي مدارس تأسست على قيم فتح الله گولن. وبهذه الطريقة عُرِفت المدارس بـ«مدارس گولن».

ومَثَلُها مَثَلُ كل المؤسسات المستلهمة من گولن (المؤسسات الإعلامية، والمستشفيات، وبيوت الطلبة، والدورات التحضيرية) لا يُديرها ويشرف عليها تنظيمٌ مركزي أو هيكل رسمي، بل تُنشأ كل مدرسة على يد مجموعة من رجال الأعمال، ومشاركين آخرين في حركة گولن؛ الذين يلمسون الحاجة لمثل تلك المدرسة في منطقة محلية، ومن ثم يبدأ جمع الأموال والتخطيط لتحقيق ذلك. وفي العديد من المقابلات؛ سَمِعتُ مرارًا أنه لا يوجد دعم حكومي، داخل تركيا؛ لمباني أو ترميم أو صيانة المدارس. فالدعم المالي يأتي ابتداءً من الرعاة المحليين، حتى تبدأ الرسومُ الدراسية، التي يدفعها الطلاب؛ في تغطية تكاليف تشغيل هذه المدارس، لتتحول إلى مؤسّسات ذاتية التمويل.

ومدارس گولن هي مدارس خاصة، بمصروفات؛ لكنها ذات معايير قبولٍ صارمة. لذلك؛ فهي مدارس نخبوية يميل الطلاب فيها إلى تسجيل درجات مرتفعة في التحصيل الدراسي، مما يؤهلهم للالتحاق بالجامعة والفوز بالمسابقات المدرسية المحلية والدولية. وتلتزم المدارس مناهج الدولة المضيفة، مع تدريس غالبية المواد باللغة الإنكليزية جنبًا إلى جنب مع بعض التركية. وناهيك عن هيكل الرسوم المفروضة؛ فإن الآباء الذين يدفعون رسوم التعليم ورجال الأعمال الذين يدعمون المدارس؛ يوفرون فرصًا تعليمية لبعض الطلاب أصحاب الخلفيات المحرومة اقتصاديًا. فحوالي ٢٠-٤٠٪ من عدد الطلاب في كل مدرسة يتلقَّون مِنحًا دراسية للمُحتاجين. ولذلك يدرك الآباء، من ثم؛ أن الرسوم التي يدفعونها لأطفالهم تُعين

(1) Carroll (2007).

كذلك طلابًا معوزين. وقد دشن بعض الآباء، والرعاة من التجار؛ منحًا دراسية إضافية للطلاب المعوزين.

والمنهج الدراسي، الذي تقرره الدولة في تركيا؛ هو منهجٌ علماني تمامًا، مع تخصيص ساعة واحدة فقط، أسبوعيًا؛ للتربية الدينية داخل كل المدارس. وتلتزم مدارس گولن هذا النموذج. وفي الساعة المحددة للتعليم الديني لا يقتصر تركيزهم على الإسلام فحسب، بل تمتد جهودهم لتعريف الطلاب بالأديان الأخرى كذلك.

وتتمايز مدارس گولن، عن المدارس الخاصة والحكومية الأخرى؛ بعدة عناصر: أولها التأكيد على القيم الأخلاقية؛ إذ يعتبر الأستاذ گولن أن جوهر الإسلام هو قيمه الأخلاقية، وتعتبر مدارس گولن نفسها مخلصة للإسلام، لأنها توفِّر إرشادًا ونموذجًا أخلاقيًا للطلاب.[1] أما العنصر الثاني فهو العناية في انتقاء المعلمين، وتدريبهم على مفهوم القدوة وتَمَثُّل القيم. فبدلًا من الدعوة إلى الإسلام في المدارس؛ يصير المعلمون قدوة للطلاب في أعمالهم الصالحة والتزامهم الأخلاقي. وبالإضافة إلى ذلك؛ يتجاوز التزام المعلمين، بالتنمية الأخلاقية والتربوية للطلاب؛ اليوم الدراسي الطبيعي. وليس من المستغرَب بقاء بعض المعلمين لعدَّة ساعات، بعد اليوم الدراسي؛ للإشراف على الطلاب ومتابعتهم. كذا؛ يشارك المعلمون عائلات الطلاب مهامهم، بشكل عميق؛ وغالبًا ما يزورونهم في منازلهم لمناقشة تطّور الطلاب، أو المشكلات التي تعتري مسارهم.

ويتم انتقاء المعلمين بعناية، وعادةً ما يتم توظيفهم من داخل دوائر الجماعة. ومن المتكرر أن يكون المعلمون أنفسهم قد درسوا في مدارس گولن، وأقام كثير منهم في مساكن الطلبة أو بيوت النور. وبالإضافة إلى كفاءتهم في موضوعات اختصاصهم؛ يكون المعلمون كذلك مستوعبين لقيم حركة گولن وملتزمين بها.

(1) Solberg (2005).

ويشجع الأستاذ گولن، باستمرار؛ طلاب الجامعة على اختيار التعليم مجالَ تخصصٍ، وهو يروج لتفوق مهنة التعليم على الطب والهندسة أو القانون، برغم احتمالات الإثراء المستقبلي خارج مهنة التعليم.[1] وقد لقَّن مريديه أن خدمة الشباب، من خلال التعليم؛ واجبة على كل إنسانٍ مسئول، وهو يستوفي السبب من خلق الإنسان. ويمثل ذلك الحافز؛ رفع الأستاذ گولن مكانة المعلِّم من مهنة منخفضة الأجر، لا تحظى بالتقدير؛ إلى اعتبار «أهلها زبدة بُناة مُستقبل البلاد».[2] ونتيجة للقيمة التي أضفاها على المعلم؛ اختار كثيرٌ من الشباب التخصُّص في التعليم. ويحترم أتباع گولن، في العموم؛ الأشخاص الذين اختاروا تكريس حياتهم المهنية للتعليم. إن كادر المعلِّمين المخلصين لواجبهم هو المَعلَم الأبرز لمدارِس گولن، وهو العامل الرئيس الذي يفسر نجاحها. وحقيقة رغبة المعلمين في التضحية بمهنٍ أكثر إدرارًا للربح في سبيل التعليم؛ تحفِّز رجال الأعمال المحليين بدورهم على الدعم المالي للمدارس.

وفي معظم الحالات؛ يتبرَّع رجالُ الأعمال المحليون بالمال لبناء مدرسة. وفضلًا عن ذلك؛ فغالبًا ما تتوفر تبرُّعاتٌ عينية خصوصًا من المؤيدين أصحاب الأنشطة المتعلقة بأعمال البناء والأثاث. على سبيل المثال؛ كانت أول مدارس گولن في بورصة مدرسة ثانوية بُنِيت في أوائل الثمانينيات. إذ رأت مجموعة من رجال الأعمال، الذين التقيتُهم بعدها؛ أن ثمة حاجة لبناء مدرسة، طالما كانت المدارس الحكومية غير كافية. وبرغم ذلك؛ كانت المهمة جد صعبة بالنسبة للعشرين الأوائل، الذين تجمعوا منهم لبناء ودعم المدرسة؛ بما أن أكثرهم كانوا يحاولون دعم أعمالهم التي لاتزال في بداية الطريق. ومع ذلك؛ تبرع أحدهم بشراء الحديد اللازم للبناء، وتكفل آخر بالأسمنت. ثم قصدوا أصدقاءهم، في صناعات أخرى؛ لتوفير ما يستطيعون من خامات لاستكمال مشروع بناء المدرسة. وبهذه الطريقة؛ استطاعوا بناء المدرسة

---

(1) Aslandogan and Cetin (2006).

(2) Ibid.

بثُلث أو نصف التكاليف التي كانت ستلزمها. وقد قدرت قيمة تلك المدرسة، التي جمعتنا برجال الأعمال في بورصة؛ بحوالي ١٤ مليون دولار. وقد جمعوا لتلك المدرسة التبرعات النقدية بنجاح. ويشارك نفس الرجال، حاليًا؛ في بناء مدرسةٍ جديدةٍ في ضواحي بورصة. إذ تبرع أحدهم بأرض لبناء المدرسة، وآخر بتمويلِ واحدٍ من مبانيها الثلاثة، ورجل أعمال ثالث، لم يكن حاضرًا في لقاءاتنا؛ تبرّعَ لبناءِ مبنى ثان.

عندما تأسس أول بيت للطلبة، ودشنت أولى الدورات التحضيرية، وأنشئت أولى مدارس گولن؛ أُنشئت كذلك مؤسسات غير حكومية، لجمع التبرعات وتوزيعها على العديد من مشروعات گولن. وعادة لا يعلم المتبرعون، على وجه الدقة؛ ماهية المشروعات أو عين الطلاب الذين يُموِّلون من مساهماتهم. فالمال يُمنَحُ للمؤسسة، وهي التي توزِّعه على المشروعات حسب الحاجة. ومع ذلك، فخلال العقد السابق؛ تم التخلي عن آلية بناء مؤسسات، وأُنشِئتْ بدلًا من ذلك شركات لإدارة عمليات جمع التبرُّعات التي تدعم مختلف مشروعات گولن. والسبب وراء الانتقال من المؤسسات إلى الشركات يتعلق بحقيقة أن المؤسسات تُنظِّمها قوانين غاية في الصرامة، بعكس الشركات؛ إضافة إلى أن الانقلابات العسكرية الماضية في تركيا قد تمخَّضت عنها وكالات حكومية جديدة؛ تفكك المؤسسات الخيرية وتغتصب مواردها المالية. وخلال الحقب السياسية غير المستقرة؛ تكون الشركات أكثر أمنًا من المؤسسات الخيرية، وأقل عُرضةً للاستيلاء. ورغم أن الشركات بعكس المؤسسات الخيرية؛ مُستثناة من الإعفاءات الضريبية الحكومية، فإن رجال الأعمال في الحركة مقتنعون بأن كفة عامل الأمان أرجح من كفة الإعفاءات الضريبية. وباعتبارها شركات؛ يمكنها كذلك التربُّح، وهي الأرباح التي تستخدم، بصورة روتينية؛ لدعم المزيد من المدارس. وفي الواقع؛ فإن الشركات التي تدير مدارس گولن ناجحة ماليًا للغاية، لدرجة أن الشركات الربحية غير المرتبطة بحركة گولن استخدمت نفس النموذج لتدشين مدارس خاصة. لكن لم تحقق تلك المدارسُ أبدًا ذات الدرجة من النجاح، لأن مدارس گولن تعتمد على معلميها المتفانين، وليس على الرسوم الدراسية؛ في تحقيق نجاحها.

وأحيانًا يتبرع رجل أعمال ثري مُنفردًا، مثل الذي التقيته وحاورته في مدينة «قيصري Kayseri»؛ بما يكفي من المال لبناء بيت طلبة أو مدرسة. لكن القليلين يستطيعون ذلك، وقد شُيدت جمهرة المشروعات بجهدٍ جماعيٍ وتبرعات العديدين.

وقد قدّر رجال الأعمال في بورصة أنه يوجد بها حوالي ألف شخص يشاركون في لقاءات الدوائر المحلية، ويساهمون دومًا في المشروعات المحلية، بالإضافة إلى ألفِ آخرين يُسهِمون في مشروعات معينة. والمجموعة الأولى، المشاركون أصلًا في الحركة؛ تبلُغ متوسط مُساهماتهم السنوية في المشروعات بين ١٥٪ إلى ٢٠٪ من دخولهم. أما هؤلاء المنخرطون في الحركة منذ فترة طويلة؛ فالنمط الأساسي لمساهماتهم هو تخصيص ثلث الدخل السنوي لتطوير تجاراتهم، والثلث الثاني لتلبية احتياجات أسرهم، والثلث الأخير لمشروعات گولن. وبالنظر إلى حقيقة التكاثُر الحالي لرجال الأعمال الأثرياء في بورصة، والمنتمين للحركة؛ يُعدّ مبلغ هذه المساهمات معتبرًا. فعلى سبيل المثال؛ يملك ويدير أحد رجال الأعمال، في المجموعة الأساسية القديمة؛ شركة صناعة نسيج كبرى، بينما يملك آخر شركة بناء عالمية.

وتختلف التقديرات حول عدد مدارس گولن، في تركيا وخارجها؛ اختلافًا كبيرًا. إذ يُقدِّرها البعض بحوالي ألفي مدرسة في ٥٢ دولة في خمس قارات.[1] بينما البعض الآخر يؤكّد على أن الحركة تملك ٢٩ مدرسة في كازاخستان، و١٢ مدرسة في أذربيجان، و١٣ في تركمانستان، و١٢ في قيرغيزستان. والدولة الوحيدة، من دول آسيا الوسطى التركية؛ المعادية لمدارس الحركة هي أوزبكستان.[2] ويوجد للحركة مدارس في كل الدول الإسلامية، عدا إيران والمملكة العربية السعودية وليبيا. وقد أغلقت ست مدارس في أفغانستان، على يد حركة طالبان؛ لكن أعيد افتتاحها الآن. أما المدارس الأربع في شمال العراق؛ فأغلب طلابها أكراد ومسلمون محليون.

---

(1) Baskan (2004).

(2) Balci (2003).

ومن المستحيل الوقوف على أرقام دقيقة عن مدارس گولن، سواء في تركيا والآن في جميع أنحاء العالم؛ لعدة أسبابٍ أولها أنه لا توجد وكالة مركزية أو هيكل تنظيمي يتحكَّم في المدارس، وكل منها مملوك ويُموَّل ويُدار محليًا. وحتى في داخل تركيا، ناهيك عن المستوى العالمي؛ لا توجد وكالة تنسيقية أو حتى إدارية تُتابعُ هذه المدارس. وثاني هذه الأسباب أنه من الصعب تحديد ماهية مدارس گولن، بسبب تعدُّد طرق تنظيمها، وطبيعة ارتباطها بالنظم المدرسية المحلية.

وفي بعض البلدان خارج تركيا؛ تحصُل مدارس گولن على بعض الدعم الحكومي، خاصة في بدء أمرها؛ فيما يتعلَّق بالأرض أو المباني، اللذين تتبرع بهما الحكومة المحلية كطريقة لتشجيع تأسيس تلك المدارس في بلادها. ويُعلِّق عدد من رجال الأعمال بأنه غالبًا، وبرغم ذلك؛ ما تكون المباني مُجرَّد هياكل متداعية تحتاج إلى إصلاحات جوهرية. فعلى سبيل المثال؛ تبرعت الحكومة في أذربيجان بمبنى ليُستخدَم مدرسةً، لكن تجديده استلزم ما قيمته خمسمئة ألف دولار تكفَّل بها الشعب التركي. وبعد ثلاث سنوات من بدء التشغيل؛ صارت المدرسة ذاتية التمويل. وعند افتتاح أولى المدارس في الدول التركية للاتحاد السوڤييتي السابق؛ طلب الأستاذ گولن من السيد أوزال، رئيس تركيا في ذلك الوقت؛ كتابة خطابات للحكومات في تلك الدول، طالبًا الإذن بفتح مدارس هناك. وقد لبّى أوزال الطلب، ووفّر بذلك الدعم لتوسُّع مدارس گولن خارج تركيا.

وخلال العقدين الماضيين؛ توسَّع العديد من رجال الأعمال، الذين ألهمهم گولن؛ في أعمالهم عالميًا، خصوصًا في البلقان ودول الاتحاد السوڤييتي السابق. وبازدياد استثماراتهم المالية في تلك الدول؛ لمسوا حاجة لفرص تعليمية أفضل للشباب. وغالبًا ما كان رجال الأعمال هؤلاء هم من يدشن خطط بناء مدارس گولن. ويلتزمون بوقف مصادرهم الخاصة كدعم مالي، ويلتمسون العون المالي كذلك من الأصدقاء والشركاء في تركيا.[1] وفي أثناء المقابلات؛ اكتشفتُ اضطلاع

(1) Balci (2003).

خمسة من رجال الأعمال، من تلقاء أنفسهم؛ بتمويل وبناء وافتتاح مدارس گولن في هذه البلدان، بما في ذلك ألبانيا والبوسنة وتركمانستان وأفغانستان وباكستان.

وتكثُر مدارس گولن في دول الكتلة الاشتراكية السابقة، خاصة دول الاتحاد السوفييتي السابق. إذ كانت المقاطعات العثمانية السابقة، ودول البلقان وآسيا الوسطى؛ من أوائل الدول التي حَظيت بمدارس گولن خارج تركيا. وكذا تكثُر هذه المدارس في أوروبا الغربية؛ خصوصًا في التجمُّعات التركية في فرنسا وألمانيا وهولندا. ومؤخرًا؛ افتُتحت مدارس گولن في دول أفريقيا وجنوب آسيا.

والمدارس خارج تركيا لها أجندات ثقافية وسياسية أوسع. ففي أوروبا والولايات المتحدة؛ تجتذب المدارسُ أسر المهاجرين الأتراك، الذين يريدون تنشئة أبنائهم على «الطريقة التركية». وفي الدول المتخلِّفة أو النامية، في أفريقيا وآسيا؛ تروق هذه المدارس للطلاب لجودة التعليم بها ومواكبتها للتكنولوجيا، فضلًا عن المعايير التعليمية العالية. ويجتذب التركيز العالي للمدارس في آسيا الوسطى مجموعة واسعة النطاق من الأتراك، بما فيهم المهاجرون والمقيمون؛ لتصير بمثابة مركز ثقافي وتجاري يفتح قنوات اتصال بين رجال الأعمال والمدارس والساسة المحليين.[1]

وثمة تَبِعة هامة لوجود مدارس گولن في المناطق التي ينشط فيها تجنيد الشباب في المجموعات الإرهابية، ألا وهي توفير بديل مُناسِبٍ للشباب. وقد أُجرِيتْ دراسة مؤخرًا في جنوب شرق تركيا، حيث النشاط الكبير لحزب العمال الكردستاني (PKK)؛ وأكدت المعلومات التي تمخَّض عنها البحث أن مدارس گولن في المنطقة قد صارت بدائل للشباب، الذين عُرِض عليهم الانضمام لحزب العمال الكردستاني.[2]

(1) Turam (2004).

(2) Kalyoncu (2008).

- جمعية «كيمسه يوق مو kimse Yok Mu» للتضامن والمساعدة:

الاستثناء الوحيد، للنمط اللامركزي لإطلاق وإدارة مشروعات گولن؛ هو «كيمسه يوق مو»، وهي المنظمة الإغاثية التي تحولت إلى مؤسسة خيرية غير ربحية بعد زلزال عام ١٩٩٩م، في قلب منطقة مرمرة بتركيا. فالوكالة، المستوحاة من فكر گولن؛ تملِكُ هيكلًا هرميًا رسميًا وآليات منظمة لجمع التبرعات.

إذ بعد ثلاث سنوات من بث البرنامج على محطة «STV»، حيث اقتصر على تلبية احتياجات أهل مرمرة، وجَمْع المحطة لأموال الإغاثة؛ تأسَّست، في عام ٢٠٠٢م؛ «كيمسه يوق مو» للتضامُن والمساعدة باعتبارها مؤسسة خيرية. وخلال عدة سنوات؛ توسَّع مداها ليبلُغ أشخاصًا آخرين يحتاجون للمساعدة، في تركيا وحول العالم. وتجمع الوكالة المساهمات النقدية والعينية كليهما. وبعد زالزل پاكستان، عام ٢٠٠٥م؛ أرسلت إلى المنطقة ١٢ مليون دولار من المساعدات. وبالمثل؛ أرسلت التبرعات إلى إندونيسيا بعد كارثة تسونامي عام ٢٠٠٤م، وكذا إلى بيرو بعد الزلزال، وإلى أثيوبيا وكينيا، في عام ٢٠٠٦م؛ للتخفيف من حدَّة الفقر بعد الحروب القبيلية هناك. وحاليًا؛ ألزمت وكالة «كيمسه يوق مو» نفسها بإعادة بناء بلدة بأكملها في إقليم دارفور، السودان؛ خلال ثلاث سنوات، بتكلفة خمسين مليون دولار.

وتجمع الوكالة حوالي ١٦ مليون دولار سنويًا، بعضها من خلال آلياتٍ مُبتكرةٍ لجمع التبرعات. وفي عام ٢٠٠٧م؛ وصلت التبرعات المباشرة على حساب الوكالة المصرفي إلى ٦,٦ مليون دولار، وتم التبرع بحوالي ٥٥٨ ألف دولار على الإنترنت باستخدام بطاقات ائتمان. وجُمع من الأكشاك الموجود بها صناديق للتبرعات في الشوارع المزدحمة، وأخرى في متاجر بعض الشركات الصغيرة؛ ١٦٥ ألف دولار. وكانت الطريقة الأكثر ابتكارًا هي إرسال رسائل نصية لرقمٍ مُعلَنٍ عنه من أي من الشركات الثلاث مزودة خدمة الهواتف الخلوية، حيث أُضيفت مبالغ التبرع إلى فواتير العملاء الشهرية. وأدت هذه التقنية إلى جمع حوالي مليون دولار في عام

٢٠٠٧م. وللوكالة أيضًا صناديق تبرعات في أنحاءٍ مختلفة من إسطنبول ومدن تركية أخرى.[١]

وتعد «كيمسه يوق مو» وكالة غير حكومية، وقد حصلت على اعتراف الحكومة، عام ٢٠٠٦م؛ بأنها «مؤسسة تستهدف المصلحة العامة». ويقع المقر الرئيسي للوكالة في مبنى من خمسة طوابق في إسطنبول، ويديرها رئيس، ومدير للجنة التنفيذية. وهي تجمع التبرعات النقدية والعينية وتوزّعها من مقرها.

ومن بين مشروعات الوكالة: مشروع الأسرة الشقيقة، والمعونات العينية، والمعونات التعليمية، والمعونات الخارجية. وفي مشروع الأسرة الشقيقة؛ تربط الوكالة أسرة ثرية أو متوسطة بأخرى فقيرة. لتُساعِد الأسرة الأفضل حالًا شقيقتها الأخرى في احتياجات المعيشة والتعليم وفرص العمل. وقد ربطت الوكالة، حتى الآن؛ بين حوالي ١٥٠٠ أسرة من جميع أنحاء تركيا، وتخطط، خلال خمس سنوات؛ للوصول إلى أكثر من مئة ألف أسرة.[٢]

ومن خلال بنك الطعام؛ يمكن للوكالة جمع الطعام، والملابس، ومواد النظافة، والوقود؛ من الأفراد ومن مصنّعي تلك المنتجات، وإعادة توزيعها على المعوزين. وفي عام ٢٠٠٧م؛ وزّعت الوكالة تلك السلع على أكثر من مليوني شخص في ١١ دولة مختلفة. وبالإضافة إلى تلك المواد الغذائية؛ تجمع الوكالة لحوم الأضاحي، خلال عيد الأضحى؛ توزعها على المعوزين. وفي عام ٢٠٠٧م؛ جمعت ١٢,٥٠٠ أُضحية، ووزّعت لحومها على ٤٥ ألف شخص في ٣٥ دولة، بالإضافة إلى ٣٠ ألف شخص في تركيا.[٣]

---

(1) Koc (2008).

(2) Bolukbas (2008).

(3) Ibid.

وكذا توزِّع الوكالة الوسائل التعليمية والمنح الدراسية، على الطلاب المعوزين؛ في تركيا وأماكن أخرى. وقد وفَّرت الوكالة خدمات تعليمية لأكثر من عشرين ألف طالب بمساعدة متطوعيها. واستطاعت أيضًا بناء ١١ مدرسة في باكستان وأربع مدارس في إندونيسيا، ومدرسة في بنغلاديش، ومدرسة في تركيا. وبعد بناء المدارس؛ تُسلِّمها الوكالة للحكومات المحلية.

كذلك تُنظِّمُ الوكالة كشفًا طبيًا مجانيًا وتوفر أدوية، للمقيمين في المناطق الريفية. ومؤخرًا؛ نظّمت الوكالة مجموعات محلية من المساندين، لتوصيل المساعدة للقاطنين في مناطق جنوب شرقي تركيا، الذين يعانون جرّاء الصراع مع حزب العمال الكردستاني. وقد فحصت مجموعة من الأطباء المحليين ثمانية آلاف مريض، في المدن والقرى هناك؛ بينما وزعت مجموعة من العمال الطعام والملابس، التي جُمِعت من التبرعات في إسطنبول وبورصة ومدن تركية أخرى. وقد استفاد من تلك الخدمات أكثر من خمسين ألف شخص معظمهم في تركيا، وبعضهم في دول أفريقية وفي باكستان وبنغلاديش.

أنماط داخل مؤسسات گولن

ثمة أنماط جد واضحة تسري في مؤسسات گولن المختلفة، والسالفة الذكر؛ سواء في أصولها، وهيكلها التنظيمي، وتمويلها، وخصوصًا في الروح والثقافة التي تكتنفها. ولهذه الأسباب؛ يصح وسم تلك المؤسسات بأنها استَلهَمَت فكر گولن.

- الإلهام الأصيل:

في كل الحالات، وبدون استثناء؛ ينمو الإلهام والحافز، لإنشاء مؤسسة ما؛ من طيات أفكار الأستاذ گولن وتعاليمه. فالمشروعات التعليمية، التي تشمل بيوت الطلبة، والدورات التحضيرية، والمدارس؛ هي الثمار المباشِرَة لإصراره الدائم على أن التعليم هو الحل للفقر والصراعات الداخلية، التي شهدها داخل تركيا وكذا حول

العالم. وقد انعكست رغبته المتأجِّجة، في تعليم الشباب؛ في مُعظم خطبه وكتاباته المبكرة، ويمكن اعتبارها أحد أحلام الأستاذ گولن المبكرة للغاية. إذ كان مُقتنعًا بأن تعليم الشباب هو الحل؛ الذي يواجَه به غياب التحديث، وعدم تقدير العالم لتركيا، فضلًا عن كونه الترياق المضاد للإرهاب، وللصراع؛ داخل تركيا وفي أنحاء العالم.

وقد أنشئت المؤسسات الإعلامية (صحيفة «زمان»، وتلفاز «STV»، ووقف الصحفيّين والكُتَّاب) على نموذج عمل قِوامُهُ الموضوعية والتوزُان والمسئولية الاجتماعية، وهو النموذج الذي دعا له الأستاذ گولن خاصة في التسعينيات. إضافة إلى ذلك؛ فقد أصّر على أن السبيل الوحيد لتحقيق السلام والتجانُس، بين المجموعات الأيديولوجية والعرقية والدينية المختلفة؛ هو السماح بحرية التعبير عن الرأي، وتدشين حالة حوار بين المجموعات التي تهدف إلى الفهم والاحترام المتبادَل. وقد تبنَّت كل أجندات المؤسسات الإعلامية، التي تطورت من أفكار گولن؛ تلك الأهداف بوضوح.

وتم تأسيس المستشفيات على أساس من روح تعاليم الأستاذ گولن، الداعية لاحترام كل البشر، بما فيهم المرضى؛ وتوفير الاحتياجات الأساسية للإنسان، التي رأى أن أكثرها أهمية هو الرعاية الطبية والإنسانية الملائمة. ويُكرِّس كل مستشفى استلهم فكر گولن لتحقيق أفضل رعاية طبية، ليس لأولئك الذين يستطيعون تحمّل كُلفتها فحسب؛ بل كذلك للمرضى الذين يحتاجون عونًا ماليًا للحصول على عنايةٍ طبيةٍ جيدة.

ويمكن أن نعُد بنك آسيا هو الأقل التزامًا بإنفاذ أفكار الأستاذ گولن، برغم أنه هو نفسه قد وافق، منتصف التسعينيات؛ بعض رجال الأعمال الأتراك على أن الوقت قد حان لتدشين بنك بدون فوائد، للمسلمين الرافضين إيداع أموالهم في الحسابات المُدِرَّة للفائدة، والتي توفِّرها البنوك الحكومية والخاصة في تركيا. وفي حين لم توجد قطّ أية روابط رسمية بين الأستاذ گولن وبنك آسيا؛ إلا أن بعض حاملي الأسهم الأوائل في البنك كانوا ممن ألهمهم الأستاذ گولن.

وتقبس قيادة «كيمسه يوق مو» إلهامها، باعتبارها وكالة إغاثية؛ من اهتمام الأستاذ گولن بالمعوزين أينما وُجِدوا. وفي حقيقة الأمر؛ فهذه هي المؤسّسة الوحيدة التي زرتُها؛ حيث تنظم فصولًا وبرامجَ لموظفيها تخصص لأفكار الأستاذ گولن؛ بوصفها مصدرًا للإلهام.

وبرغم أن تعاليم الأستاذ گولن هي الملهِمة لكل مشروعات الحركة، وناهيك عن حقيقة مشاركته ابتداءً في بعضها، مثل بيوت الطلبة، والدورات التحضيرية الأولى، بالإضافة إلى حضوره افتتاح بنك آسيا؛ فإنه مازال يُسهِمُ، بشكل يومي؛ في أقل القليل منها. الاستثناء الوحيد هو كتابته عمودًا أسبوعيًا في صحيفة «زمان»، ونشر عددٍ من كتبه بواسطة وقف الصحفيين والكُتَّاب. لكن لا توجد علاقات مستمرة له مع بنك آسيا، أو محطة «STV»، أو جامعة الفاتح، أو المستشفيات، أو المدارس أو المنظمة الإغاثية. وثمة تقليد يتمثَّل في سفر مجموعات رجال الأعمال إلى الولايات المتحدة، حيث يعيش الأستاذ گولن حاليًا؛ للتشاور معه أثناء تخطيط مشروع، أو عندما يجدُّ أمرٌ معين يحتاجون معه النصيحة. على سبيل المثال؛ تم استشارته أثناء التخطيط لبنك آسيا، ومؤخرًا من قِبَل المسئولين في جامعة الفاتح؛ عندما دعوا للتقدُّم لمنحة تنموية من الحكومة التركية، تتكفَّل بها السعودية؛ لتمويل عملية توسِعَة الجامعة. وقد نصحهم الأستاذ بالاعتماد على المصادر التركية وحدها. وبخلاف تلك المناسبات الدورية، وشديدة التحديد؛ لا يُشارِكُ گولن في التشغيل اليومي للمؤسسات التي تَسْتلهِمُ أفكاره.

- تغلغُل الأفكار:

ثمة ثقافة تنظيمية واضحة في كل مؤسسات گولن التي زرتُها، والتي تشكَّلت نتيجة للأفكار والقيم المستوحاة من الأستاذ گولن. وتبلغ تلك القيم من القوة ما يُميِّز هذه المؤسسات، عن غيرها؛ بخصائص مشتركة تشمل الآتي: تربية الشباب على الجمع بين الروحانية والجهد الفكري. توفير تعليم حديث في كافة مناحي الحياة. تكريس القومية التركية، وترسيخ احترام الماضي التركي. المشاركة في الحوار

بين الأديان والثقافات. التسامُح تجاه الأفكار والآراء المختلفة. حب واحترام الإنسانية جمعاء. المنظور العالمي. حُسنُ الضيافةِ. خدمة ومساعدة وأخوة الإنسانية.

وسواءٌ في المؤسسات التعليمية، أو المستشفيات، أو وكالة الإغاثة، أو وسائل الإعلام؛ فإن الخصال المذكورة أعلاه كانت واضحة في الطرائق التي تمت بها هيكلة المؤسسات، وأهدافها؛ وفي الموظفين الذين يعملون بها. فكيف تحقق ذلك؟ إن حقيقة انتظام مجموعات أساسية، في كلٍ من تلك المؤسسات؛ من المشاركين في حركة گولن، مشاركين ينتمي معظمهم إلى دوائر محلية داخل مهنهم وأحيائهم؛ تعني أن هؤلاء الأشخاص يَدرُسون ويناقشون تعاليم وكتابات الأستاذ گولن، بالإضافة إلى السُنَّة النبوية؛ بشكلٍ مُستمرٍ. لذا؛ فثمة كادر من الموظفين مُترابط اجتماعيًا من خلال مجموعة من القيم والأفكار. بالإضافة إلى ذلك؛ فبرغم أن عضوية الفرد في الحركة ليست شرطًا للعمل في المدارس وبيوت الطلبة والمستشفيات والوكالة الإغاثية، إلا أن ثمّة اهتمامًا كبيرًا بالاقتصار على توظيف الأفراد الذين يتشاركون نفس القيم والأهداف التي تتبناها المجموعة الأساسية من أعضاء الحركة. ومن خلال هذه الآليات المتَّبعة في الارتباط الاجتماعي والتوظيف يتم، من ثم؛ تشكيل سمتٍ ثقافيٍ تتميز به كل مؤسسةٍ استلهمت فكر گولن.

- **الالتزام الوظيفي:**

بالإضافة إلى الاشتراك في نفس الثقافة من القيم والأفكار، وكجزء من هذه الثقافة؛ فإن سببًا رئيسًا لنجاح مؤسسات گولن هو التزام وتفاني الأفراد الذين يُديرونَها. وسواء كان من حاورتهم أطباء، أو إداريين للمستشفيات، أو مديري مدارس، أو معلمين، أو نائب رئيس جامعة الفاتح، أو موظفي وكالة الإغاثة؛ فقد علقوا جميعًا بأنهم لا يعمَلون من أجل المال فحسب، بل لأنهم يؤمنون بما يفعلون. ونتيجةً لذلك؛ تمتدُّ ساعات العمل إلى ما بعد الساعات الثماني الطبيعية لليوم، فالموظفون تحمَّلوا مسئولية المرضى والطلاب، ويعنون بهم عناية تفوق المتطلَّبات الوظيفية الاعتيادية، مع نُدرة الشكوى والتذمر من الوظيفة في كل المؤسسات، بل

كان الأشخاص جد سعداء بوجودهم في تلك المؤسسات، ويشعرون بأنهم جزء من أنشطة تستحق الجهد، وممتنون لأنهم يخدمون إخوانهم. وبالإضافة إلى تلك الدوافع المثالية؛ فإن صيرورة المرء جزءًا من مدارس أو مشروعات گولن يوفّر دعمًا اجتماعيًا قويًا في مجتمع ذي غاية. فعلى سبيل المثال؛ ضُمِنَ للمعلّمين أنهم وعائلاتهم يتمتعون بالأمان الوظيفي فضلًا عن كفالة تكاليف العلاج والمسكَن. وكل تلك المكافآت توفِّرُ دافعًا للموظفين للالتزام بوظائفهم، وتجنّبُهُم أكثر المخاوف التي تؤرِّقُ كثيرًا من العاملين.

- الدعم المالي:

باستثناء بنك آسيا، الذي كان مشروعًا تجاريًا منذ البداية؛ فإن المشروعات المتبقية موِّل جُلها منذ البداية بواسطة مجموعات من الداعمين المحليين، الذين أرادوا تحقيق أفكار الأستاذ گولن؛ بإنشاء مؤسَّساتٍ ذات ثقافات تنظيمية تُعبِّر عن تلك القيم. والسِّمة المميِّزة للحركة هي اللامركزية والتنظيم المحلي. وفي كل حالة درستُها؛ فإن تدشين وتخطيط وتمويل كل من المدارس، وبيوت الطلبة، والدورات التحضيرية، والمستشفيات، والمؤسسات الإعلامية؛ بدأ بتجمُّع عدد من مؤيدي گولن، عادة ما تضمَّن رجال أعمال محليين؛ مجموعة أولية تقرر أن ثمة حاجة لمؤسسة معينة في مجتمعهم. فيتبرعون، من ثم؛ نقديًا وعينيًا، ويطلبون عون عائلاتهم وأصدقائهم ومعارفهم. لينشئوا، في معظم الحالات؛ مؤسّسة أو شركة لجمع التبرعات وإدارة المشروع، أو المشروعات؛ في منطقتهم المحلية.

ومع بدء افتتاح مدارس گولن في دول خارج تركيا، خصوصًا دول الاتحاد السوفييتي السابق؛ صار النمط المعتاد هو أن يشرع رجل أعمال أو عدة رجال أعمال أتراك، ممن لهم تعامُلات في دولةٍ معينةٍ؛ في تدشين وتمويل مدرسة محلية، وغالبًا ما كان ذلك بدعم مالي من شركاءٍ تجاريين في تركيا. وفي حالاتٍ كثيرةٍ؛ فإن واحدةً أو أكثر من دوائر مؤيدي گولن المحلية يتبنون مدرسة في بلد آخر، ويوفِّرون لها الدّعم المالي. وفي حالاتٍ أخرى؛ يوافق رجل أعمال تركي على بناء وصيانة مدرسة

في الخارج. وقد سَمِعتُ بأمثلةٍ عديدة من مؤيدي گولن في تركيا، الذين زاروا مدارِسَهُم الشقيقة للإعراب عن عظيم فخرهم بالمدرسة.

والنمط المعتاد في كل مؤسَّسات گولن هو اعتمادها على دعم الرعاة للمباني الأساسية، فضلًا عن تشغيل المؤسّسة. لكن تلك المشروعات تصبح، وفي كل الحالات؛ ذاتية الدعم خلال سنوات قليلة. إذْ استطاعت معظم المدارس، التي زرتُها؛ توفير دعمٍ لنفسها، من خلال الرسوم الدراسية؛ في غضون عامين إلى ثلاثة أعوام من افتتاحها. وتوفّر كل المدارس مِنَحًا دراسية لبعض الطلاب المعوزين، الذين لا يستطيعون تحمُّل الرسوم الدراسية، والتي تتراوح بين خمسة إلى تسعة آلاف دولار سنويًا. وفي معظم الحالات؛ يستمر الداعمون المحليون في توفير بعض تلك المنح الدراسية. وفيما عدا ذلك؛ تُضْحِي المدارس مؤسسات تموَّل ذاتيًا، ولا تحتاج للدعم المالي بعد الأعوام القليلة الأولى لإطلاقها. والنمط المعتاد، كما شهدته في بورصة؛ أن تجد المجموعة الأساسية من الداعمين مشروعًا جديدًا، بمجرَّد استغناء المدرسة الأولى عن دعمهم المالي. وفي بورصة؛ توجد حاليًا ست من مدارس گولن، وسوف تُفتتَح السابعة قريبًا، وجميعها موَّلها مؤيدون محليون في حركة گولن. كذلك كل من مستشفى سما في إسطنبول وبهار في بورصة؛ قد صار تمويلهما الآن ذاتيًا، برغم اعتمادهما على دعم الرعاة للبدء بالتشغيل في سنواتها المبكرة.

- مؤسسات ذات جودة:

من الخصائص الأساسية لمؤسسات گولن هي جودتها المعترَف بها، بغضّ النظر عن القطاع الذي تعمل فيه. لقد عُرِفَت مدارس گولن في كل من تركيا والعديد من البلدان الأخرى، التي تعمل فيها حاليًا؛ بأنها مدارس من الدرجة الأولى. وحقيقة أن نسبةً عالية جدًا من طلابها يجتازون اختبارات قبول الجامعات داخل تركيا وخارجها، وعددًا استثنائيًا من طلابها يفوزون بأعلى الجوائز في تركيا، فضلًا عن المسابقات الأكاديمية القومية؛ لهي شهادة على تميز التعليم الذي توفِّره تلك المدارس.

وبالمثل؛ تتمتع المستشفيات المرتبطة بالحركة بسمعة ممتازة، بوصفها من أفضل المستشفيات الخاصة في تركيا. فرواتب الأطباء فيها تنافسية، بالنسبة للمستشفيات الخاصة. وبالإضافة إلى انهمامها بالمريض كسمة تميزت بها تلك المؤسسات الطبية؛ فإنها تجتذب بعض أفضل الأطباء في تركيا. وتتوفر في مختبرات مستشفيات سما وبهار أحدث المعدات؛ مثل أجهزة الرنين المغناطيسي الرقمية، وقابلية إجراء عمليات قلب مفتوح بأحدث المعدات. وبسبب بعض هذه المعدات؛ يستمر الممولون المحليون في توفير الدعم المالي، الذي تستطيع المستشفيات من خلاله شراء أحدث المعدّات وأكثرها تطورًا في السوق الطبية.

ويُعدّ بنك آسيا الآن أكبر بنك تشاركي في تركيا. وبرغم حصوله على أحدث ترخيص لبنك تشاركي من الحكومة؛ فقد استحوذ في غضون اثني عشر عامًا على ثلث سوق تلك البنوك في تركيا، مع حجم ودائع حاليّ يبلغ خمسة مليارات دولار. وبالمثل؛ فقد صارت «صحيفة زمان» صاحبة أعلى معدلات توزيع في تركيا. وبرغم أن عمر وَقف الصحفيين والكُتّاب لا يتجاوز أربعة عشر عامًا؛ إلا أنه استطاع الجمع بين القيادات الدينية والسياسية، من مختلف ساحات الصراع في تركيا وحول العالم؛ لأجل الحوار بين الأديان والثقافات. وعلى سبيل المثال، ففي عام ٢٠٠٦م؛ نُظِّم اجتماع لقادة المجموعات الدينية الرئيسية في تركيا (مسلمين، ومسيحيين أرثوذوكس، ويهود) في غوتيبورغ، السويد؛ لمناقشة القضايا التي توحِّد المجتمعات أو تقسّمها. وفي نفس العام؛ رعت المؤسسة حوارًا بين قادة أتراك وفرنسيين، لمناقشة مسألة التعدُّدية الثقافية في أوروبا. وعُقِدت العديد من اللقاءات لمناقشة موضوع عضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي، منها اجتماع في مصر، عام ٢٠٠٧م؛ ركّز على الإسلام والغرب والتحديث. وقد اعترفت العديد من الحكومات والمنظمات غير الحكومية بالمؤسسة، بما في ذلك حكومة تركمانستان، ومؤسّسة الاتحاد الروسي، ومعهد هارتفورد اللاهوتي بالولايات المتحدة؛ بوصفها من المؤسسات الأكثر فاعليةً في خلق حالة حوار بين المجموعات التي طال بينها الصراع.

لذلك، وبغض النظر عن القطاع الذي تعمل فيه؛ تشترك مؤسسات گولن في الخصائص السالفة، والتي تميِّز تلك الجهود بوصفها المؤسسات الأجود والأعلى مرتبة. وهذا ما يتحقق، لدرجة كبيرة؛ بسبب التزام المتطوعين والداعمين، الذين يُنفقون من أوقاتهم ومهاراتهم ومواردهم المالية لإنجاز ذلك النوع من المشروعات الخدمية، التي دعا لها گولن بقوة؛ لخلق مجتمع أفضل أينما كانوا.

الملخَّص

بدأت البحث المعروض في هذا الكتاب بطرح ثلاثة أسئلة: ما هي الآليات التنظيمية التي تولِّد الالتزام والحماس بين مؤيدي الحركة، والتي تفسّر سبب انتشار حركة گولن بوصفها حركة عابرة للقوميات؟ وكيف تتشكل العلاقة بين التزام الأعضاء والآليات المالية، التي تدعم المشروعات الخدمية؛ بطرقٍ تُروِّج لحماس ومشاركة والتزام مؤيدي الحركة؟ وما هي الترتيبات المالية المرتبطة بمؤسسات الحركة، وبأي الطرق يرتبط المؤيدون ماليًا بالمشروعات المستلهَمة من فكر گولن؟ وفي الفصل الأخير؛ لخصتُ الردود على هذه المسائل الثلاث، تأسيسًا على الحوارات التي أجريتُها مع مجموعة واسعة من أنصار حركة گولن، في كل من تركيا وهيوستن؛ تكساس.

وللإجابة على الأسئلة البحثية أعلاه؛ أجريتُ لقاءات بأفراد ومجموعات رئيسية، من أرباب الأعمال والمهنيين والعمال ذوي الياقات الزرقاء؛ في المدن والقرى والبلدات التركية (إسطنبول، أنقرة، بورصة، قيصري، مودانيا). بالإضافة إلى ذلك؛ حاورت مؤيدين من المجموعات المحلية في هيوستن. وقد شملت اللقاءات رجالًا ونساءً من خلفيات اقتصادية واجتماعية متنوِّعة، مع تبايُن فترات مشاركتهم في الحركة. والتقيت كذلك أعضاءً تنفيذيين منتدبين، ومديري مدارس، وموظفين في الإدارة العليا؛ في مؤسسات گولن التالية: بنك آسيا، ومحطة تلفاز «STV»، وصحيفة «زمان»، ووقف الصحفيين والكُتّاب، وجامعة الفاتح، ومستشفيات «سما» و«بهار»، وخمس من مدارس گولن، وجمعية «كيمسه يوق مو».

وبوصفه جزءًا من المشروع الأساسي للإجابة على الأسئلة المذكورة أعلاه؛ التقيت وحاورت أعضاء الحركة فحسب. واستهدف ذلك، من الناحية المنهجية؛ تحديد ما يحفِّز الأفراد على الالتزام تجاه تنظيمٍ ما. والتعرُّف على آليات التمويل داخل مؤسسات محدَّدة، ومن ثم؛ كان من المنطقي سؤال المعنيّين داخلها. ونتيجة لذلك؛ فهذا الكتاب ليس تقييمًا نقديًا للحركة، يستعرض وجهات نظر مختلفة؛ فقد كان تحقيق مثل ذلك الهدف يتطلب منهجيةً مُختلفةً، بما في ذلك محاورة أشخاص أصحاب وجهات نظر مختلفة عن الحركة. لكن هذا الكتاب تحليل سوسيولوجي لهيكل الحركة، مع التركيز على آليات التزام الأعضاء، والمشروعات الخدمية التي تمخَّضت عنها الحركة.

وبالنظر لدرجتي الأكاديمية، باعتباري عالم اجتماع؛ فإن المنظور السوسيولوجي هو العدسة التي صمَّمتُ بها البحث. ونظرًا للطابع الطوعي للمشاركة في الحركة، والهيكل غير الهرمي الواضح؛ فقد ركَّزتُ جهودي بصفةٍ خاصةٍ على آليات الهيكلة والتحفيز، التي شجَّعت على الالتزام بأهداف ومشروعات الحركة. وقد أدركتُ وجوب تناول مسألة التمويل، باعتبارها جزءًا من التحليل التنظيمي؛ نظرًا لحقيقة ارتباط مئات من أفضل المدارس، بصورة ما؛ بحركة گولن، فضلًا عن ستة مستشفيات خاصة، وإمبراطورية إعلامية، وجامعة خاصة، ووكالة إغاثية. ومنذ البداية؛ شككتُ، تأسيسًا على النظرية التنظيمية التقليدية؛ في وجود علاقة قوية بين الهياكل المالية والتزام الأعضاء.

وخلال أحاديثي مع زملاء وطلاب، وعدد من الناشرين المحتملين؛ أدركت أن قلة من القراء الغربيين قد سمعوا عن فتح الله گولن، أو حركة گولن. ومن ثم؛ كان من الضروري البدء بفصل يتناول حياة وتعاليم الأستاذ گولن، بالإضافة إلى نبذة تاريخية عن الحركة التي ألهمها. ذلك أن الحركة تُركيةٌ بامتياز، ليس لكون غالبية مؤيديها من الأتراك فحسب؛ بل بسبب نشأتها التاريخية والسياسية كذلك. وأنا أتشكك في إمكان ظهور حركة گولن، على صورتها المشهودة واهتماماتها

المعروفة؛ في أي بلد آخر في العالم. فجذورها تمتد إلى حقبةٍ تاريخيةٍ معيَّنةٍ؛ حقبة عاشها الأتراك أربعة عقود بعد ولادة الجمهورية التركية. لقد تأثّر تطور الحركة تأثّرًا كبيرًا بالأحداث الاجتماعية والسياسية، التي شهدتها تركيا خلال الستينيات والعقود الأربعة التالية، فضلًا عن الأحداث التي وقعت منذ بداية القرن الحادي والعشرين. لذا؛ وجدتني مضطرة، من ثم؛ لأضمِّن الكتاب فصلًا موجزًا عن تاريخ تركيا، مع عنايةٍ خاصةٍ بموضوع علاقة الإسلام بالدولة.

نتائج البحث

أنتقل الآن إلى الأسئلة البحثية الثلاثة، التي وَجَّهتْ معلومات وطريقة تنظيم هذا الكتاب. وفيما يلي ملخص النتائج التي توصّلتُ إليها:

١- ما هي آليات الالتزام التنظيمي، التي تجذِبُ الأعضاء إلى الحركة وتُبقي عليهم؟ سوسيولوجيًا، ومن منظور النظرية التنظيمية، خصوصًا تلك النظريات التي تتنبأ بالتزام الأعضاء وتعبئة الموارد؛ فإن شق الحركة الهيكلي الأساسي الذي يولِّد الالتزام يكمُنُ داخل الدوائر المحلية. وتتكون هذه الدوائر من رجالِ أعمال ومهنيين وعمالٍ، في البلدات والمدن والمناطق الريفية التركية؛ يلتقون بانتظام لقراءة تفسير القرآن، ومؤلّفات المفكرين المسلمين، خصوصًا الأستاذ گولن؛ والصلاة معًا، ومشاركة أفكارهم واحتياجات المنتمين إلى كل مجموعة، ويعينون المشروعات الخدمية (مثل المدارس والمستشفيات وبيوت الطلبة ووكالة الإغاثة)، التي تختارها المجموعة لدعمها ماليًا. وفي أغلب الأوقات؛ تتكون الدوائر المحلية من أشخاصٍ مُشتَغِلين بنفس المهنة (مثل الأطباء والمحامين ورجال الأعمال وعمال المصانع)، أو يعيشون في نفس المنطقة السكنية. وهذه المجموعات الطبيعية تدعم الصداقة، فضلًا عن الشبكات التي تُسهِّل العلاقات المهنية والتجارية.

والدوائر المحلية مبنية على الجماعات التركية التقليدية (جمع جماعت)، وهي مجموعات جماهيرية تطورت في المجتمع التركي، بعد تشكُّل الجمهورية وحظر الطرق الصوفية والمدارس الدينية التقليدية (Medrese)؛ شكلها مسلمون ملتزمون أرادوا الحفاظ على التراث الإسلامي في غمرة تبنيهم للحداثة. وتم تنظيمها حول العلماء والمثقَّفين، الذين مزجوا الإخلاص الديني مع صيغة من صيغ القومية أو الممارسات الروحانية الفردية.

وقد كان الأستاذ گولن، في شبابه؛ جزءًا من جماعت انتظمت حول تعاليم سعيد النورسي، العالم الصوفي الذي روَّج لانسجام العلم والعقل من جانب والوحي والإيمان من جانب آخر. وحين بدأت أفكار الأستاذ گولن تجتذب الأنصار في تركيا، أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات؛ شجع هو المهتمِّين بالانتظام في جماعاتٍ لمناقشة أفكاره وعلاقتها بالمجتمع التركي المعاصر.

وبجلاءٍ؛ تُبين حواراتي، مع أعضاء من حركة گولن؛ أن الروابط الاجتماعية، التي تتشكَّل من خلال الانضمام لدائرة محلية؛ تُعَدُّ ثمرة أساسية للأعضاء. إذ وَصَفَ أنصار حركة گولن، وبأغلبية ساحقة؛ عضويتهم في الدوائر المحلية بوصفها مُحددًا أساسيًّا في حيواتهم، وعنصرًا يتغلغل في هويتهم وأولوياتهم وحياتهم اليومية.

وليست حركة گولن بنية تنظيمية هرمية رسمية، لكنها شبكة فضفاضة مُتجانسة من الدوائر المحلية، لكل منها استقلالها في دورية الاجتماعات ومحتواها، وتنوع الأعضاء والمشروعات التي يُمكِنُ دعمها. وتلك البنية القاعدية تُعزِّز الالتزام والمشاركة؛ إذ لا يتم إنجاز شيء لا يدشنه وينفِّذه الأعضاء. فالسلطة اللامركزية والهيكل الإداري؛ يُعزِّزان مشاركة ملايين الأعضاء وشعورهم بالمسئولية، إذ صار لهم مساهمة شخصية في إنجازات الحركة. ونتيجة ذلك جماعة متماسكة بدرجة كبيرة؛ تتشارك الأهداف والرؤية التي بلورها فتح الله گولن، جنبًا إلى جنب مع التزامهم نحو بعضهم بعضًا ونحو المشروعات التي تبنتها كل مجموعة.

٢- ما هي الكيفيات التي تُروِّجُ بها الآليات المالية، المستخدَمة في تمويل المشروعات الخدمية؛ لكل من المشاركة والحماسة والالتزام في صفوف أنصار الحركة؟ وكيف يتم تحفيز الأنصار للتبرع؟

العطاء المالي هو عنصر أساسي في صفوف حركة گولن. فقد شجّع الأستاذ گولن مرارًا، في خطبه وكتاباته على مر الأعوام؛ أنصاره على العطاء بأي طريقة يستطيعونها، بما في ذلك الخدمة في المدارس والمستشفيات ووكالات الإغاثة، فضلًا عن الدعم المالي للمشروعات الخدمية. ونتيجة لذلك، خصوصًا في السنوات المبكرة للحركة؛ انضم العديد من الأنصار إلى كُلّيات التربية وصاروا إداريين ومُعلّمين في مدارس گولن، مُضحين بمهن أخرى أكثر ربحية؛ للاضطلاع بدورٍ في خلق المدارس المتميزة التي حَلُم بها الأستاذ گولن لتركيا.

لقد دعا الأستاذ گولن لاضطلاع كل أحد بدوره في تحقيق رؤيته لتعليمٍ مُحسَّنٍ لكل ناشئ في تركيا. وشجَّع رواد الأعمال الأثرياء وأرباب الأعمال الصغيرة، على حدٍ سواء؛ لدعم التعليم الجيد وإنشاء أوقاف لدعم المدارس الثانوية والمتوسطة، وبيوت الطلبة، والمدارس التحضيرية التي تُعِدُّ طلاب المدارس الثانوية لاختبار القبول الإلزامي المؤهِّل للجامعة. ولتوفير مثل تلك التبرعات؛ شجَّع أنصاره على تنمية تجاراتهم إلى أقصى حدٍ مُمكن، خصوصًا على الصعيد العالمي، الذي اعتبره المستقبل الاقتصادي للعالم. لتُستخدَم حصة من الثروة المتراكمة، من ثم؛ لدعم المشروعات التعليمية، التي من شأنها القضاء على الفقر والجهل والرذيلة بين الشباب. ويحتج الأستاذ گولن بأن وجود سوق حر قوي هو أمرٌ ضروري لإنتاج الثروة الاقتصادية، التي يمكن لها دعم نظام تعليمي حديث.

وفي تشجيعه لروح العطاء؛ يستدعي الأستاذ گولن تقليدًا قديمًا في الثقافة الإسلامية والتركية. فبالإضافة إلى الزكاة، أحد أركان الإسلام الخمسة؛ التي تقتضي إنفاق قسطٍ مُعينٍ من ثروة الفرد للفقراء مرة في كل عام، تُعتَبر الصدقة هِبةً تُعطَى بنيةٍ وحيدةٍ هي إرضاء الله ورجاء الثواب في الآخرة. أما مفهوم حسن الجوار وكرم

الضيافة؛ فهو راسخ في الثقافة التركية، ويمكن تتُّبع جذوره في سُنّة النبي (ﷺ)، التي أكدت على أهمية العلاقات الطيبة بالجيران. وقد عبّر الأستاذ گولن، في دعوته الجمهور لدعم المدارس الجيدة والمشروعات التعليمية بكل الطرق الممكنة؛ عبر عن تلك الدعوة باستخدام هذه القيم الإسلامية التركية الأساسية. لقد زود مجتمعه، ببساطة؛ بوسائل يمكنه من خلالها التعبير عن الكرم والعطاء المغروسين عميقًا في ثقافتهم ودينهم.

ومرارًا قرر من حاورتهم أن كل المشاركين في الحركة يدعمونها ماليًا، بصورة أو بأخرى؛ تبعًا لظروفهم. وثمة اتفاق على نطاق واسع، بين الأفراد في الدوائر المحلِّية المختلفة؛ بأن التبرُّعات تتراوح بين ٥ إلى ٢٠٪، بمتوسط ١٠٪ من الدخل السنوي. لكن مجموعة صغيرة من رجال الأعمال تُسهِمُ بأكثر من ٢٠٪، بما في ذلك من يَقسِمون أرباحهم السنوية إلى ثلاثةِ أجزاءٍ؛ فيعود ثلث إلى العمل التجاري، ويُستخدَم ثلث لتغطية نفقات المعيشة، والثلث الأخير للحركة؛ دعمًا لمشروعٍ خدمي أو أكثر.

ونتيجةً غير مُخططة مسبقًا للعطاء المالي، من جانب كل مؤيدي الحركة تقريبًا؛ ظهر جيلٌ من الملتزمين بالجماعة، وتعاليمها الأساسية، وقيمها، والمشروعات التي تدعمها. ومكمن قوة رئيسي، في الدوائر المحلية؛ هو المناقشة المستمرة لمفاهيم العطاء في القرآن وسنة النبي وأعمال الأستاذ گولن. لذلك؛ فهذه الدوائر توفِّرُ الدافِعَ الروحي للعطاء، لتتجسَّد التبرُّعات بوصفها جُزءًا مِفصَليًا من حياة الفرد الدينية والوطنية. وبالإضافة إلى تحديد المشروعات الجديرة بالدعم، فإن العطاء المالي لا يَدُلُّ على الالتزام تجاه الحركة وأعمالها الصالحة فحسب؛ ولكنه يولِّد مثل هذا الالتزام من خلال خلق شعورٍ بالملكية المشتركة للمشروعات الخدمية.

٣- ما هي الترتيبات المالية المرتبطة بمؤسَّسات حركة گولن، وما هي الطرق التي تربط أنصار الحركة ماليًا بمشروعاتها؟

أولًا، وقبل كل شيء؛ لم يكن للأستاذ گولن أبدًا ثروة شخصية لدعم المشروعات، ومن ثم؛ فجلي أنْ لم تكن أموال المشروعات العديدة، التي ألهمها ابتداءً ويديرها أنصاره؛ لم تكن أبدًا أمواله الخاصة، ولا صارت كذلك اليوم. ففي سنواته المبكرة؛ ظهر في الكثير من حفلات جمع التبرعات، وزار العديد من الأفراد الأثرياء؛ محاولًا إقناعهم بدعم المدارس الممتازة والمشروعات التعليمية في البلاد. ومع ذلك، ففيما عدا تحفيز الجماهير للإسهام ماليًا في المشروعات؛ احتفظ الأستاذ گولن بمسافة من الأمور المالية، وشجّع المجموعات المحلية على جمع المال للمشروعات المحلية، والإشراف على تشغيلها، وهذا النهج رسَّخ ثقةً واطمئنانًا إلى نواياه.

وباستثناء بنك آسيا، الذي كان مشروعًا تجاريًا منذ البداية؛ فإن بقية مشروعات گولن، التي درستُها؛ مُوِّلت جميعها ابتداءً بواسطة أنصار محليين. وبالنظر إلى التنظيم المحلي واللامركزي للحركة؛ فقد كان إطلاق المشروعات وتخطيطها وتمويلها، في كل حالة؛ يبدأ حين يجتمع بعض المؤيدين، غالبًا تشمل رجال أعمال محليين؛ ويقررون حاجة المجتمع إلى مؤسسة معينة. ثم يتعهدون بعدها بتمويلها من أموالهم، ويطلبون من باقي المجتمع التقدُّم خطوة والمساهمة؛ عادة من خلال مؤسسة خيرية أو شركة تجمع التبرعات وتدير المشروعات.

والنمط المعتاد في مؤسسات گولن أنها تعتمد على دعم الرعاة لتشييد المباني الأولى وتشغيل المؤسسة. لكنها خلال سنوات قليلة تصير مشروعات مدعومة ذاتيًا من خلال الرسوم الدراسية، أو الاشتراكات، أو مدفوعات العملاء ...إلخ. وما أن تصبح مدرسة أو مستشفى مُستقِلَةً ماليًا، عن دعم الرعاة؛ حتى يتجه الأنصار إلى بناء مدرسة أو مستشفى جديد في منطقةٍ تحتاج إلى وجود مثل هذه الخدمة، سواء في تركيا أو في بلد آخر.

وفي التسعينيات؛ في دول الاتحاد السوڤييتي السابق؛ كان النمط يقتضي اضطلاع رجل أعمال واحد أو عدة رجال أعمال أتراك، لديهم علاقات تجارية في بلد معين؛ بجمع قادة المجتمع وقادة الأعمال، وتشجعيهم على تحديد احتياجات مناطقهم

المحلية. بعدها يشرع رجال الأعمال بإطلاق وتمويل مشروع محلي، عادة ما يكون مدرسة؛ وذلك بدعم من رجال الأعمال في تركيا. ومع مرور الوقت، وعندما تصير المدرسة مدعومة ذاتيًا؛ تَقِلُّ مشاركة رجال الأعمال، وتنتقل المدرسة إلى إدارةٍ ودعمٍ محليين.

وباختصار؛ فحركة گولن عبارة عن شبكةٍ فضفاضة التنظيم، من التنظيمات المحلية؛ يتفاعل بداخلها الأنصار من خلال اللقاء في دوائر محلية. وفي داخل تلك الدوائر؛ يقرأ الأنصار ويناقشون أفكارًا مُستقاةً من القرآن ومن علماء المسلمين، خصوصًا فتح الله گولن. وبالإضافة إلى ذلك؛ تدعم المجموعة المحلية بعضها بعضًا، سواء كان دعمًا عاطفيًا أو حتى ماديًا عند الضرورة. وتختار المجموعة المشروعات، مثل المدارس، أو الدورات التحضيرية، أو بيوت للطلبة، أو المستشفيات، أو جهود الإغاثة؛ التي تقرّر دعمها من خلال العمل الطوعي والمساهمات المالية. وتولِّد المشاركة في الدوائر المحلية، جنبًا إلى جنب مع التبرعات المالية؛ التزامًا تجاه الحركة نَتَجَ عنه انتشارها في أكثر من مئة دولة في خمس قارات.

وأخيرًا؛ فحركة گولن مبادرة مدنية بدأت أول أمرها في تركيا، خلال الستينيات؛ على يد الأستاذ فتح الله گولن، وتنتشر حاليًا حول العالم عن طريق الجاليات التركية. وتدعو الحركة إلى تعليمٍ جيِّدٍ حديثٍ لكل الشباب، وإلى الحوار بين الأديان والثقافات، والتعاون المتبادَل بين المجموعات الثقافية والدينية. وقد أثمرت هذه الأهداف الأساسية التي تبنتها الحركة، جنبًا إلى جنب مع مساهمات مشروعاتها الخدمية العديدة؛ أثمرت اعترافًا دوليًا بحركة گولن بوصفها لاعبًا مؤثِّرًا في الترويج للتعايُش السلمي والسلام العالمي.

الملحق

أصوات النُّقَّاد

خلال الرحلات الميدانية لتركيا، وأثناء محادثاتي مع المهاجرين الأتراك في هيوستن؛ صار واضحًا لدي أن لحركة گولن نقادها. وفي محاولة لمعرفة طبيعة تلك الانتقادات؛ أجرينا خمسًا وعشرين مقابلة مع مجموعة واسعة من النقاد الأعلى صوتًا، مجموعة شملت أساتذة جامعة، وصحفيِّين، ورجال أعمال، وطلاب دراسات عليا، وعسكريين متقاعدين، ومحامين، وعُمالًا؛ عرفوا جميعًا أنفسهم بأن لهم وجهات نظر واضحة تتعلق بالحركة. وقد أوردت هذه المعلومات في هذا الملحق، وليس في متن الكتاب؛ لأن تصميم البحث الأصلي لم يتضمَّن مقابلات مع مُنتقدي الحركة. إذ فقط حين شرعت في كتابة هذا الكتاب؛ تسنَّت لي الفرصة لمحاورة بعض النقاد. وبالتأكيد؛ لم أُجرِ لقاءاتي مع عيِّنةٍ عشوائية للنقاد، إذ حاورت أعلاهم صوتًا وأكثرهم حدة.

والغرض من هذا الملحق هو الإشارة إلى أن حركة گولن مُثيرة للجدل، سواء في تركيا أو بين أتراك المهجر؛ فضلًا عن بيان بعض المخاوف الرئيسة التي يُبديها النقاد فيما يتعلق بالحركة. وسأعرض الانتقادات الرئيسة، التي ذُكِرَت في تلك الحوارات؛ ثم سأصِفُ المعلومات المعروضة في هذا الكتاب، والمستقاة من لقاءاتي مع أعضاء الحركة، فضلًا عن تصريحات الأستاذ گولن؛ والتي تعالج تلك الانتقادات. وهذا الملحق ليس غرضُهُ تقييم الحركة بحال؛ بل القصد منه الإشارة إلى حقيقة أن ليس كل الأتراك مؤيدين للحركة، بل هناك اعتراضات واضحة على وجودها.

الخوف من دولة إسلامية

الخوف من كون الأستاذ گولن يبني قاعدة قوية من الأنصار، لينقلِب على «العلمانية» التي فرضها أتاتورك على تركيا؛ هو أول هذه الانتقادات وأكثرها تكرارًا. وكما استعرضنا في الفصل الثاني، «الإسلام والدولة عبر التاريخ التركي»؛ فقد مَرَّر أتاتورك، في ٢٩ أكتوبر عام ١٩٢٣م؛ تعديلًا في البرلمان حوَّل البلاد إلى «الجمهورية التركية»، وألغى الخلافة ووزارة الأوقاف ومنصب السلطة الدينية الأعلى (شيخ الإسلام) من البلاد. ثم أغلق البرلمان المحاكم الشرعية، والمدارس الدينية التقليدية، ووضع كل التنظيمات الدينية تحت سيطرة الحكومة، وعطَّل أحكام الشريعة الإسلامية وأحلّ محلّها قانونَ عقوبات جديدًا. وبعد سنواتٍ قَلائِل، في عام ١٩٢٨م؛ حذف البرلمانُ عبارة «الإسلام دين الدولة التركية» من الدستور، وفي عام ١٩٣٧م؛ عُدِّل الدستور لينُصَّ على أن تركيا هي دولة علمانية. وهكذا؛ شُلَّت القدرة على إقامة دولةٍ إسلاميةٍ لصالح شرعية النظام الجمهوري العلماني.[1] لقد آمن أتاتورك بأنه على تركيا التخلي عن ماضيها العثماني، واحتذاء نموذج التقدُّم والتحديث الأوروبي والغربي. ولأكثر من سبعين عامًا؛ حُكِمت الجمهورية التركية باعتبارها دولة علمانية، وحُصِر الدين بصرامةٍ في المجال الخاص، احتذاءً للنظام اللائكي الذي اقتبسه أتاتورك و«الشبان الأتراك» الآخرون من فرنسا. ويتخوَّف نُقَّاد الأستاذ گولن من أن تكون نيته تقويض جمهورية أتاتورك العلمانية، وإقامة دولة إسلامية في تركيا؛ على غرار ما فعله آية الله الخميني في إيران عام ١٩٧٩م. ويخشون أن الحركة تُشكّل تهديدًا ملموسًا للحكومة العلمانية في تركيا، وأن الأستاذ گولن وأنصاره يضعون أساس انقلابهم، من خلال تجييش الأعداد الكبيرة للأتباع وحشد الموارد المالية المعتبرة؛ بنية الانقلاب على الحكومة التركية في وقت ما مُستقبلًا.

وبقراءتي لمئات الصفحات من خطب الأستاذ گولن وكتاباته، وكذا بمحاورة ما يربو على المئة من أتباعه؛ لم أجد دليلًا على أنه ينتوي الاستيلاء على الدولة التركية،

(1) Cetin (2008).

واستبدال دولة إسلامية بالحكومة العلمانية. وفي حقيقة الأمر؛ يَنفر الأستاذ كولن من المجادلات السياسية. وبالمثل؛ فنادرًا ما ينخَرِط أتباعه في مجادلاتٍ سياسيةٍ، أو يُنظِّمون مجموعات عمل سياسي شعبية، ولا ينشغلون بتغيير الهيكل السياسي سواء في تركيا أو في البلاد التي يتواجدون بها. واستنادًا إلى معلوماتي؛ أتفِق مع غراهام فولر، نائب رئيس مجلس الاستخبارات القومي السابق في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية؛ فى أن حركة كولن ليست حركة سياسية، بل حركة اجتماعية تهدف إلى تغيير قلوب وعقول الأفراد باتجاه مزيدٍ من التسامُح والمسئولية الاجتماعية، فضلًا عن تبني إنجازات الحداثة التعليمية والعلمية.

ولا يتحدى كولن وأنصاره إصلاحات أتاتورك، المتعلِّقة بالتحديث وقوة تركيا وأهمية التعليم والتقنية في الإنجازات العلمية؛ بل إن الحركة قومية المنزع، إلى حدٍ كبير؛ حين يتعلَّق الأمر بالتفاني والولاء للشعب التركي. لكن احتجاج الأستاذ كولن مقصور على كون التقدم العلمي والتحديث يمكن أن يسيرا، جنبًا إلى جنب؛ مع التزام الفرد بالهوية والقيم الإسلامية بوصفه مسلمًا ملتزمًا.

وما سمعته مرارًا، في حواراتي مع أعضاء الحركة؛ كان الدعوة لحرية أكبر في ممارسة الدين في الأماكن العامة، بدلًا من هيمنة الدولة الصارمة على المؤسسات والسلوكيات الدينية. وغالبًا ما عُقِدَت المقارنات بين النظام اللائكي التركي (تم وصفه بالتفصيل في الفصل الثاني) المؤسَّس على هيمنة الدولة على الدين، والتأكيد على غياب الممارسة الدينية في الأماكن العامة؛ ونظام الفصل بين الدولة والكنيسة، الذي هو القانون في الولايات المتحدة. ففي نظام الولايات المتحدة الأمريكية؛ يُنظَرُ إلى الدين والسياسة باعتبارهما مجالين منفصلين. فالمؤسسات الدينية، مثلها مثل الأفراد؛ لها حرية كبيرة في ممارسة مُعتقداتها وشعائرها بغير تَدَخُّلِ الدولة. وبالمثل؛ ثمة حدود للمنظمات الدينية فيما يتعلق بالتأثير على شئون الدولة. فالأمريكيّون

أحرار، باستثناء بعض الحالات النادرة؛[1] في ارتداء الرموز الدينية بشكلٍ واضحٍ في المجال العام، فضلًا عن ممارسة حرياتهم الدينية. وباستمرار؛ يُعلّق أنصار گولن أنهم يريدون حرية أكبر في ممارسة شعائرهم علنًا، دون تدخل الدولة.

أما فيما يتعلق بإستراتيجية أتباع گولن السرية في «التسلُّل» إلى أعلى المناصب الحكومية والعسكرية والسياسية، ومناصب الخدمات المدنية الأخرى؛ في خطة بطيئة ومنهجية للاستيلاء على هذه المؤسسات، فإنه من المنطقي وجود بعض أتباع گولن في تلك المؤسسات، بالنظر إلى حقيقة التقديرات التي تُشير إلى أن حوالي ٨-١٠٪ من الشعب التركي مُتَّصِلٌ بالحركة، بطريقة أو بأخرى. واستنادًا إلى الاحتمالات الإحصائية فحسب، ومع الأخذ في الاعتبار مجموع عدد السكان السبعين مليون نسمة، وحقيقة أن كثيرًا من أتباع گولن قد تلقوا تعليمًا جيدًا؛ فمن المنطقي أن يكون لنسبة ٥,٦ -٧ ملايين شخص وظائف في كل هذه القطاعات. ومع ذلك؛ فلم أجد، فيما حصلت عليه من معلومات؛ دليلًا على وجود خطةٍ منهجيةٍ لزرع أتباع گولن في هذه المؤسسات الحكومية، للاستيلاء على السلطة في نهاية المطاف.

وثمة دليل على أن بعض الأحزاب السياسية في تركيا أكثر تعاطفًا مع الأستاذ گولن وأتباعه من غيرها، وأن السياق السياسي التركي يؤثِّر على نمو وأنشطة الحركة سواءٌ داخل تركيا وخارجها. كذا ثمة دليل على أن الأستاذ گولن يدعو الملهَمين بأفكاره ليصيروا جزءًا من كل المؤسسات في المجتمع، بما في ذلك الوكالات الحكومية والجيش؛ وليس إلى التراجع والتقوقع في المدارس القرآنية والقطاعات المعزولة من المجتمع. ومع ذلك؛ فلا أجد أدلةً صلبةً تدعم الادعاء بأن الأستاذ گولن، أو من ألهمهم؛ يزرعون عناصرهم، بصورة منتظمة أو متعمدة؛ في مناصب الحكومة والجيش العليا، بنية الانقلاب التدريجي أو الاستيلاء على السلطة.

---

(١) ثمة استثناءات تتعلق بالأمن؛ مثل القيود المفروضة على السيخ بعدم حمل سيوف أو خناجر خلال أجهزة كشف المعادن، أو حرية ارتداء العمامة في مواطن معينة داخل الجيش. ويُطلب من اليوربا (Yoruba) والأمريكيين الأصليين الحصول على إذن خاص بذبح حيوانات معينة أو استخدام بعض أنواع النباتات (Peyote) في احتفالاتهم الدينية.

گولن بوصفه عميلًا لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية

ثاني أكبر المخاوف التي عبَّر عنها النقَّاد، الذين حاورتهم؛ أن يكون الأستاذ گولن ومشروعاته الخدمية العديدة ممولين من الولايات المتحدة، خصوصًا وكالة الاستخبارات المركزية (CIA). والسبب الذي يتكرر ذكره، تسويقًا لذلك التصور؛ أن الحركة تولِّد مليارات الدولارات، وأن مثل هذه المبالغ الهائلة لابدّ لها من مصادر حكومية. فضلًا عن الادعاء بأن الولايات المتحدة تدعم الأستاذ گولن، وحركته؛ لأنه يُمثّل الإسلام المعتدل، وأن أمل الغرب معقود على هيمنة تلك الرؤية للإسلام على المنطقة، لتصير ترياقًا مُضادًا للإرهاب والإسلام الراديكالي.

وفيما يتعلق بكون الحركة مدعومة ماليًا من بعض الحكومات، ومن بينها وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية؛ فلم أجد أي دليلٍ إمبريقيٍ يدعم هذا الادعاء. بل ثمة بعض المعلومات التي تتحدَّى هذا الافتراض الذي يطرحه النقاد. أولًا أنه خلال العقود الماضية؛ خضع الأستاذ گولن، وحركته والمؤسسات المرتبطة به؛ لمراجعات ومتابعات العديد من الوكالات الحكومية، مثل وزارة الخزانة التركية ومكتب المدعي العام. وفي كل عام تُراجِعُ وزارة المالية السجلات المالية لكل من الشركات الربحية وغير الربحية على حد سواء. وهكذا؛ يُطلَب من كلّ من صحيفة «زمان» وبنك آسيا وتلفاز «STV» ووقف الصحفيين والكُتّاب؛ إتاحة سجلاتهم المالية لمفتشي الحكومة. ولم يحدث مرة واحدة، كما يمكنني تأكيد ذلك؛ أن وجدت أية أموال مشبوهة أو غير واضحة المصدر. وبالمِثل؛ لم يتم اكتشاف أية مخالفات مالية قد تُثير الشكوك بأن ثمة حكومات أجنبية تموّل مشروعات الحركة.

كذلك؛ ظلت الدعوى القضائية ضد الأستاذ گولن مُعَلَّقة لمدة ست سنوات أمام المحاكم التركية. وقد استخرج ممثلو الادعاء المدني أكوامًا من الوثائق، من جميع الأنواع؛ في محاولةٍ للعثور على أدلة، على ارتكاب مخالفات أو أنشطة مشبوهة؛ ضد الأستاذ گولن وحركته. وفي يونيو عام ٢٠٠٧م؛ أُسقِطَت الدعوى نهائيًا نتيجة

نقص الأدلة. فإذا كان ثم حكومات أجنبية ضالعة في تمويل الحركة؛ فقناعتي أن مثل تلك الارتباطات كانت لتكشفها أجهزة الحكومة التركية أو محاموها.

وفي القضية الأخيرة، والمتعلِّقة بطلب الأستاذ گولن بطاقة الإقامة الخضراء (غرين كارد)، للإقامة في الولايات المتحدة (يونيو ٢٠٠٨م)؛ طلب محامي الادعاء الاستشهاد بورقة ألقيتها مع دوغان كوك في كلية لندن للاقتصاد،[1] في خريف عام ٢٠٠٧م؛ لتسويغ رفض طلب گولن، وقد أشار المحامي إلى تلك الورقة بوصفها تشير إلى احتمال تمويل وكالة الاستخبارات المركزية للحركة. وفي الحقيقة؛ فإن الورقة تصرح بأن هذا رأي المعارضين للحركة، الذين يزعُمُون أن وكالة الاستخبارات المركزية تُسانِدُ الحركة ماليًا.

والادّعاء بأن مثل هذا الحجم من المال، المشارِك في دعم المشروعات الخدمية؛ يجب أن يكون مصدره بعض الحكومات، يَبْطُل على ضوء المبالغ المالية التي ساهم بها رجال الأعمال الأثرياء في تركيا، فضلًا عن قاعدة المتبرعين الكبيرة في الحركة. وكما هو مبيَّن في الفصلين الخامس والسادس، «شبكة الدوائر المحلية» و«إمداد الطاحونة بالماء»؛ فإن عديدًا من رجال الأعمال الأثرياء يُساهمون بنسبة ١٠-٥٠٪ من دخلهم السنوي في مشروعات الحركة، مع تبرُّع كثيرين منهم بثلث دخولهم للحركة. وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار حجم دخول رجال الأعمال السنوية، التي تقدَّر بملايين الدولارات؛ فإن المساهمات تتضخم بشكلٍ كبير. وبالإضافة إلى المساهمات المالية؛ فإن العقارات ومواد البناء فضلًا عن العمالة اليدوية الطوعية، التي يتم التبرع بها؛ تُشير إلى حركةٍ ناجحةٍ ماليًا.

وبالإضافة إلى المساهمات الكبيرة من رجال الأعمال الأثرياء؛ فإن ملايين الأعضاء في الحركة يَتبرَّعون بمبالغ أصغر، ومواد وخدمات وعمل طوعي. وتُظهِرُ معلوماتي أن مُتوسِّط مُساهمة هؤلاء هي حوالي ١٠٪ من الدخل السنوي، بِغَضِّ

---

(1) London School of Economics.

النظر عن الوظيفة والحالة الاجتماعية. فإذا عرفنا أن ثمة ٨-١٠ ملايين مشارك في الحركة حول العالم؛ وجدنا أن مبالغ التبرعات لن تكون بالهينة. لذا؛ فدعوى الوجود الحتمي لتمويل حكومي تَسبَّب في تدفُّق كل هذه المليارات من الدولارات، لهي دعوى فارغة في ظل المعلومات الصلبة.

غسيل أدمغة الفقراء والأميِّين

ثالث المخاوف، التي عبر عنها النقاد؛ هو أن الأستاذ گولن وأتباعه غالبًا ما يستغلّون غير المتعلّمين وسكان المناطق الريفية في تركيا، خصوصًا الشباب؛ ويستدرجونهم إلى بيوت الطلبة وبيوت النور المرتبطة بالحركة، ويوفرون لهم منحًا وفرصًا دراسية، ثم يغسلون أدمغتهم بالأفكار المتأصِّلة في الحركة. وقد قالت عضو في الاتحاد النسائي التركي؛ «إن أتباع گولن هؤلاء يساعدون الأسر الفقيرة، ويأخذون الطلاب البارزين من بيوتهم، والذين لا يدركون أي نوع من التعليم يحصلون عليه في مؤسسات هؤلاء التعليمية الخاصة. إنهم يغسلون أدمغة هؤلاء الأطفال، ويعلِّمونهم تلبية لمصالحهم. إن أتباع گولن هؤلاء ليسوا وطنيّين بل مُتدينون».

وكرّر مدير فندق من منتقدي الحركة أفكارًا مشابهة؛ «إنهم ينتقون الطلاب ذوي القدرات الألمعية، ويعلِّمونهم ليصبحوا أقوى. إذ من الأفضل أن يظل هؤلاء الأشخاص فقراء؛ فبهذه الطريقة يستطيعون التحكُّم فيهم بسهولة. إنهم لا يستثمرون بلا مقابل؛ إنهم ينتظرون الكثير في المقابل».

إن حُجة «غسل أدمغة» الفقراء والأميين هي حجة أيديولوجية بشكلٍ أساسي. وقد اتضح ذلك في سلسلة من المقالات، في الثمانينيات؛ عن غسيل الأدمغة في الحركات الدينية الجديدة، أو «العبادات» الجديدة كما أطلق عليها، ومصطلح «غسيل

الدماغ» يحمل إيحاءات أيديولوجية واضحة.[1] فما هو غسيل المخ بالنسبة لمعارضي فكرة روحانية أو فرصة تُنال من مؤيد هذه الفكرة؟ وباستماعي لعشرات من العمال ذوي الياقات الزرقاء، في الدوائر المحلية في تركيا؛ ما سمعت غير امتنانهم للحركة على الفرص التي وفرتها لهم ولأشقائهم وأصدقائهم، لاستنقاذهم من حياة الفقر الروحي، ومن نُظُم التعليم الفقيرة، وإبدالهم بها منحًا دراسية للدورات التحضيرية، والجامعة، وكليات القانون والطب، وفرصة الإقامة في بيوت الطلبة. وبالإضافة إلى فرص العمل؛ كان هؤلاء العمال ممتنّين كذلك لكونهم جزءًا من مجموعة إنسانية تلتقي بانتظام، ويساعد بعضها بعضًا، ويوفِّرون فرصًا لطلاب فقراء آخرين.

إعادة تركيا القهقرى وإعاقة سعيها إلى التحديث

ثمة تخوف من أن بعض أفكار الأستاذ گولن تُبطِنُ عودةً إلى التقاليد، والقيم التقليدية؛ التي لا تتوافق مع التحديث والتطور العلمي والديمقراطية. وتحديدًا، كما علَّق أحد السياسيين؛ قائلًا: «لقد التقيتُ بگولن شخصيًا. وهو شخصٌ لا يصافح النساء. بل ولا ينظر إلى وجوههن. يُلقِي الخطب ويبكي طوال الوقت. إنه يتلاعب بالجماهير بشكلٍ واضح. فهو غير مُتعلِّم؛ لكنه خطيبٌ مؤثر». وذهب صحفي إلى أنه «لا يمكن توقع مردودات إيجابية داخل الحركة، لأنها تريد إعادتنا للوراء؛ إلى الحقبة السابقة على تأسيس الجمهورية. ينبغي لنا أن نستهدف العقل وإثارة الشكوك، لكنهم يصرّون على الدوغما المجافية للعلم. إنهم يحاولون خلق دولة يحكمها الأئمة والمتديّنون. يريدون الحياة في مثل ذلك المجتمع».

وقد عبر أكثر من نصف من التقيناهم من النقاد، ٢٥ شخصًا؛ عن مخاوف مُتعلِّقة بتقييد حقوق المرأة وتشجيع الحجاب، ومنهم كل السيدات السبع اللواتي التقيناهن. فعلى سبيل المثال؛ ذهبت أستاذة جامعية إلى أنهم «يريدون الإسلام

---

(1) Barker (1984); Robbins and Anthony (1990); Bromley and Richardson (1984).

المعتَدِل في تركيا... وفي الإسلام المعتدل يتم الفصل بين الرجال والنساء. وتعمل النساء في المنزل كما في جيل جدتي. يجب مساواة الرجال والنساء في كل جوانب الحياة، مثل الوظائف والترقيات. يمكن للنساء أن يجمعن بين الأمومة والعمل خارج المنزل في نفس الوقت... إذا كانت النساء أقل تعليمًا، لتعرضن للعنف ووقعن تحت ضغط الرجل، في دولةٍ يُهيمن عليها الذكور؛ فلا يمكن أن توجد حرية في مثل هذا المجتمع؛ إن ثقافة الأوامر الدينية تتجنَّب الحرية لأنها ثقافة قمعية».

وفيما يتعلق بأن حركة گولن تعود بتركيا القهقرى، وتعطل مسيرة التحديث والتطوُّر العلمي؛ فكل من خُطب الأستاذ گولن وكتاباته، فضلًا عما تحقّق في المدارس والمستشفيات المرتبطة به؛ تشير إلى الاتجاه المعاكس لذلك تمامًا. فباستمرار؛ يُشجِّع الأستاذ أتباعه على الحصول على أفضل تعليم، والأكثر تطورًا؛ يمكنهم الحصول عليه، خصوصًا في العلوم الطبيعية؛ من أجل المساهمة في تحديث تركيا. وفي المدارس التي زرتها؛ بُهِرتُ بمختبرات العلوم الحديثة التي يتعلم فيها الطلاب، فضلًا عن العديد من الجوائز المعروضة في الردهات، والتي حصل عليها الطلاب الذين تنافسوا في المحافل العلمية الدولية. وليس ثمة شك في أن مدارس گولن توفِّر واحدة من أفضل منظومات التعليم وأكثرها حداثة في تركيا اليوم، وأن كثيرًا ممن يستطيعون تحمُّل نفقاتها؛ يُرسلون أطفالهم إلى تلك المدارس، سواء أكانوا من المنتمين إلى الحركة أم لا.

ومثل ذلك في المستشفيات الثلاثة التي زُرتُها، والمرتبطة بالحركة؛ إذ كانت المعدات المعملية هي الأحدث، وأطباء المستشفيات هم الأفضل تدريبًا في البلاد. فعلى سبيل المثال؛ توجد في مستشفى بهار عيادة عيون تُعَدُّ الأعلى تصنيفًا، ووحدة جراحات قلب مُعَدَّة لإجراء جراحات القلب المفتوح، وآلة ليزر لزوم الفحص بالمنظار غير الجراحي للقولون. وبمعايير التحديث العلمي والتقني؛ فالمؤسسات التابعة لگولن تأتي في طليعة موكب التقدُّم التركي إلى العالم الحديث التنافسي.

أما المساحة الوحيدة التي تُعَدُّ إشكالية، من حيث افتقارها للتحديث؛ في الحركة فهي، في رأيي؛ مسلك الجماعة تجاه دور المرأة في العالم. فالإصرار على ارتداء الحجاب، داخل الحركة؛ أمر ثانوي، ويعد أساسًا مسألة خيارٍ شخصي.[1] الأكثر أهمية؛ أنه في بعض المناطق، مثل هيوسن؛ نادرًا ما تصير النساء شخصيات عامة في الحركة، سواء في الوظائف الهامة، أو الفعاليات العامة، أو في داخل المؤسسات المموَّلة من الحركة. إذ تميل النساء للعمل في خلفية المشهد مُضطلعاتٍ بالمهام التقليدية مثل رعاية الأطفال، وتدبير أمور المنزل، والطهي، والتدريس في المدارس والمساجد؛ ليتأخرن عن أزواجهن في المجالات العامة. وجزئيًا؛ فإن دور النساء تمليه الثقافة التركية، فضلًا عن حقيقة أن العديدات يتبعن أزواجهن للعمل أو الدراسة، وينفرن من استعمال اللغات غير التركية. وبرغم ذلك؛ فكلما اتسع انتشار الحركة في العالم وأصبحت أقل تركيةً، فإن التحدي الأكبر لأهدافها، المتمثلة في التحديث وتبني الثقافات الأخرى؛ هو التعامُل مع دور المرأة في الحركة وفي الثقافة الأوسع. وهذا التحدي مُضطَرِبٌ بين ملاحظات الأستاذ گولن المتناقِضة، الذي قال مرارًا إن المرأة فاعل هام جدًا، لأنها الراعي ووسيط الدمج الاجتماعي الأوَّلي للأطفال الصغار. ويُعَد هذا التصريح جد تقليدي؛ إذ يُثمن دور المرأة بوصفها أمًا وربة منزل، بدلًا من الاعتراف بالمسئولية المزدوجة للرجل والمرأة في تربية الأطفال. وبانتشار الحركة في البلدان الصناعية الحديثة؛ فإنها ستواجَه بتحدٍ مُتمثِّلٍ في إعادة تعريف دور المرأة.

حركة گولن تدعم أتباعها فقط

اتُّهم ما يقرُب من رُبع الأشخاص الذين حاورناهم حركة گولن بالتمييز، وتفضيل أعضائها وتزويدهم بالموارد، مثل المنح الدراسية وفرص التعليم؛ في حين يُهمِلون غيرهم من المعوزين في المجتمع التركي، إذ قال بروفسور تركي «إنهم يحاولون تقسيم البلاد. إذ لا يعرفون التسامُح مع من ليسوا منهم. إن أتباع فتح الله

---

(1) For discussions of the veil, see Read (2004); (2000).

يُقْصون الآخرين؛ فهم يشيدون المدارس ويوفرون المنح الدراسية ويهبون الطعام لأتباعهم فقط». وعلَّق رجل أعمال، بينه وبين أتباع فتح الله معاملات تجارية؛ قائلًا: «قالوا لنا إنهم يساعدون الطلاب المحتاجين، لكنهم يدعمون أتباعهم».

هذا الاتهام بأن الحركة تدعم أعضاءها فقط، وتمارس التمييز ضد غيرهم من المعوزين في المجتمع؛ لا تدعمه البيانات التي جمعتها، ففي كل المدارس التي زرتُها؛ كان أقل من نصف الطلاب ينتمون إلى الحركة. فالعديد من الآباء يُرسِلون أبناءهم للمدارس بسبب سمعتها الأكاديمية الممتازة، بالإضافة إلى أن المدارس تُوفِّر منحًا دراسية للطلاب المعوزين، والمؤهَّلين بمُعدلاتهم الدراسية؛ والذين لا تستطيع عائلاتهم تحمُّل رسوم الدراسة. وفي أغلب تلك المدارس؛ فإن نسبة ٢٠٪ من إجمالي الطلاب هم من الحاصلين على منح دراسية، وكثيرون من المؤهَّلين للمساعدة، الموجهة لأصحاب الحاجة؛ ليسوا من أبناء أعضاء الحركة. وبالمثل؛ يتم دعم نسبة من الطلاب الذين يسكنون بيوت الطلبة بالمنح، التي تتحمل عنهم مصروفات الإقامة؛ وهؤلاء المستفيدون ليسوا بالضرورة أبناء أعضاء الحركة. وقد قال العديد من العمال، الذين حاورتهم؛ إنهم يودون أن يلتحق أبناؤهم بمدارس گولن، أو يقيمون في بيوت الطلبة، ولكنهم لا يقدرون على إرسال أبنائهم إلى تلك المؤسسات. لذلك؛ فالادعاء بأن الحركة تدعم أبناءها فقط هي دعوى لا تؤيدها البيانات الصلبة.

وخلال الأعوام القليلة الماضية؛ سافر المئات من أتباع گولن إلى جنوب شرقي تركيا لمساعدة المحتاجين، والذين يُعانون جرَّاء الصراع مع حزب العمال الكردستاني. وتم جمع آلاف الأرطال من اللحوم والمواد الغذائية الأخرى، وكذلك كميات من الملابس والأموال؛ وأرسِلَت إلى المنطقة لمساعدة المحتاجين. لم يكن المستفيد من تلك المساعدات هم أعضاء الحركة فحسب؛ بل المحتاجين عمومًا، وأيًا كانوا. وبالمثل؛ سافرت فرقٌ من الأطباء للمنطقة؛ لتقييم احتياجاتها الطبية، ونقل المرضى إلى مستشفيات گولن في كُلٍ من بورصة وإسطنبول. وعلى حد علمي، أكرر؛

لم يسأل أحد عما إذا كان هؤلاء الفقراء والمحتاجون أعضاء في حركة گولن. كذلك الضحايا الذين أرسلت لهم المساعدات بعد زلزال ماردين، عام ٢٠٠٤م؛ لم يكونوا فقط من أنصار گولن. وبالتالي؛ فإن اتهام الحركة بأنها تُساعِدُ المنتمين إليها فقط؛ لم يتم تأييده بالمعلومات.

الحركة بوصفها جمعية سرية أو طائفة مذهبية

ثمة تخوف من أن الأستاذ گولن، وأتباعه؛ لديهم خططٌ وأهداف لا يُفصِحون عنها. ويذهب النقَّاد إلى أن ما يُصرِّحُ به أعضاء الحركة علنًا ليس كل شيء، بل ثمة أنشطة سرِّية تجري بغرض الاستيلاء على الحكومة والمجتمع التركيين. فعلى سبيل المثال؛ قال بروفسور: «أنا لست مُعاديًا لأتباع فتح الله؛ إنهم أشخاص صالحون. لكن ما يخيفني هو نواياهم لأنها سرِّية. لا يمكنني رؤية أهدافهم. أنا على ثقة من وجود خطة منهجية خفية».

وحقيقة أنَّ الأشخاص المرتبطين بحركة گولن، بما في ذلك كبار الموظفين في بنك آسيا وصحيفة «زمان» ومحطة «STV» ووَقف الصحفيين والكُتَّاب، فضلًا عن طليعة رجال الأعمال في بورصة وإسطنبول، ومجموعات من المهنيين والعمال ذوي الياقات الزرقاء على حد سواء؛ كانوا جميعًا راغبين وتائقين للتحدث حول الأمور المالية في الحركة هو ما يؤكد لي أن الحركة ليست «سرِّيَّة» كما يدَّعي نقَّادُها. وقد كرَّر الأستاذ گولن نفسه، مؤخرًا؛ إنه من الأهمية بمكان للحركة الحرص على الشفافية المالية. وفي الواقع، في حالة البنك والصحيفة ومحطة التلفاز؛ فإن تقاريرهم المالية عامة ومتاحة على الإنترنت. ويمكن الوصول إلى خُطَب الأستاذ گولن ومقالاته عبر موقع إلكتروني. ويبدو لي أن الاتهام «بالسرِّية» مبنيٌّ على أنشطةٍ مُتخيَّلةٍ، أكثر مما يعتمد على بياناتٍ إمبريقيةٍ تشير إلى أهدافٍ ونشاطاتٍ غير معلنة للحركة.

وباختصار؛ فأنا أحترم المخاوف التي أعرب عنها الكماليون، بأن الحركة قد تمثل تهديدًا لتاريخ الأيديولوجية العلمانية في تركيا، بل والتخوف من أن يتم الإطاحة بهذه الأيديولوجية، على يد زعيم سلطوي وأتباع أقوياء؛ لتُحلَّ محلَّها نموذجَ الدولة الإسلامية القائم في إيران. ومع ذلك؛ لا يسوق النقاد بيانات واقعيّة، ترتبط فيها مخاوفهم بأحداث وسلوكيات فعلية صادرة عن الأستاذ أو أعضاء حركته. إن البيانات الإمبريقية (مثل المقابلات، والزيارات الميدانية، ومراجعة التسجيلات والوثائق) التي جمعتُها على مدى الشهور الاثني عشر التي سبقت كتابة هذا البحث، والمرتبطة بحركة گولن؛ لا تؤيد الاتهامات والمخاوف التي عبّر عنها نقاد الحركة.

مزيدٌ من الأدلَّة

إضافة إلى البيانات الواردة في القسم السابق، والتي تمثِّل تحديات لادعاءات النقَّاد تجاه حركة گولن؛ فإن السمات الرئيسية المفتاحية للجماعة لا تنسجم مع النموذج الوصفي للجماعات الطائفية، التي تهدف لتحدي الوضع الراهن في المجتمع، وترويج أجندتها الخاصة. وتتمثل هذه الخصائص في: غياب نشاطات الحركة عن مجال رؤية المجتمع، وغياب الشفافية، والعزلة، والسيطرة السلطوية، والنزعة التقليدية كنقيض للتحديث، واستخدام العنف لتحقيق أهداف الحركة.[1] ولا تجسد حركة گولن أيًا من السمات السابقة، التي تجعلها أكثر قابلية للتطور إلى جماعة سياسية تستهدف اختراق وإسقاط النظام القائم في المجتمع. والتوصيف التالي للحركة يجلو هذه النقطة:

(1) For examples of such groups, see: Juergensmeyer (2000); Zeskind (1986); Sprinzak (1991); Reader (1996); Das (1990); Madan (1991); Wright (1995); Roy (1996); Stern (1996); Tabor and Gallagher (1995); Friedman (1990); Mumtaz (1991).

١ - الاندماج في المجتمع (نقيضًا للعزلة):

والمجموعات الطائفية التي تستهدف إما تحدّي الهياكل الاجتماعية القائمة[1] أو خلق مجتمعها الخاص والبديل؛[2] تميل إلى أن تكون انعزالية، وذلك بفصل نفسها سكنيًا واجتماعيًا وسياسيًا عن التيار الرئيسي في المجتمع. ولم يكن لحركة گولن قطّ هدف خلق طائفة فريدة أو وحدة جديدة داخل الإسلام أو داخل تركيا. وهي ليست حركةً خارِجةً تتمَحور حول مصلحة أو اعتقاد أو طوبيا مشتركة. فهي لا تتطلب من أعضائها أو مؤيديها العيش بمنأى عن الآخرين في المجتمع. بل، يُشجِّع أعضاء الحركة على الحوار والتفاعُل مع مواطنيهم من جميع المذاهب والأعراق والخلفيات الاجتماعية والاقتصادية.

وباستمرار؛ يُذكِّرُ الأستاذ گولن الجماهير بالاعتماد المتبادل حاليًا بين المجتمعات، وأن أي تغيُّرٍ عميقٍ في بلدٍ ما؛ لن تُحدِّدُهُ تلك الدولة بمفردها، لأننا نشهد حقبة العلاقات التفاعُلية، وهي حالة تُسبِّب تضارُبًا بين الشعوب والأمم. ويحتج الأستاذ بأن اختلاف المعتقدات والأعراق والعادات والتقاليد يُثري العالم، ويجب إقراره لأجل الصالح العام، من خلال العلاقات السلمية والمحترمة.[3] وهذا لا يعني تمييع المعتقدات والممارسات؛ ولكن احترام ما يعتقده الآخرون، جنبًا إلى جنب مع تأكيد الإنسان على اعتقاده الشخصي. وكما قال گولن:

> «يجب أن نتعلم كيف نكون أنفسنا، ثم نظل كذلك. وذلك لا يعني اعتزال الآخرين. وإنّما يعني الحفاظ على هويتنا الأساسية بين الآخرين، وتتبع سبيلنا من بين السبل الأخرى. وفي حين يمثل تعرُّفنا إلى أنفسنا

---

(1) For example: Branch Davidians, Christian Identity Movement, Aum Shinrikyo. See: Wright (1995); Juergen Smeyer (2000); Kaplan and Marshall (1996).

(2) For example: Amish, Fundamentalist Latter Day Saints, Unification church. See: Hostetler (1993); Weaver-Zercher (1999); Gallagher (2008); Berker (1984).

(3) Gülen (2004).

ضرورة؛ إلا أنه يتعين علينا تلمُّس طرق التكامُل العالمي. فالعزلة عن العالم ستؤدي إلى الفناء».[1]

وعلى عكس الطوائف أو العبادات التي تميل إلى عزل أعضائها عن المشاركة المجتمعية، جنبًا إلى جنب مع التركيز على الانضباط الصارم، والقيادة السلطوية، وطقوس العضوية؛ فليس للحركة تَسلسُل هرمي أو قيادة رسمية. وليس لها إجراءات أو احتفالات أو طقوس انضمام لنيل العضوية، وبالمثل؛ لم يعتبر العامة أو وسائل الإعلام الحركة مُتطرِّفة أو مُهَرطِقة، سواء في تركيا أو خارجها.[2]

وبرغم عقد ما يقرب من مئة جلسة استماع في المحاكم الابتدائية، والتي انطوت على إطلاق أحكام ضد الأستاذ گولن والحركة، تستند في المقام الأول إلى اتهامه هو وأتباعه بأنهم يمثلون تهديدًا للجمهورية العلمانية؛ فقد كانت محصلة الرأي الذي اتفقت عليه هذه المحاكم هو أن الاتهامات غير صحيحة، ولا أساس لها، وغير مدعومة بدليل.[3] بل على العكس؛ تؤكِّد الحركة على احترام الحكومة، والمشاركة في الحياة المدنية في تركيا، وفي البلدان التي يقيم فيها أتباع الحركة.

ومع مشاركتها في التعليم والحوار بين الأديان والثقافات والمشروعات العابرة للقومية؛ فإن حركة گولن تلعب هذا الدور من خلال المؤسسات والأنشطة الفاعلة في المجتمعات التي يعيش فيها أعضاؤها. وتتَّبعُ مدارسها، في جميع أنحاء العالم؛ منهج الدولة المضيفة وتلتزم بمعاييرها التعليمية. كذا تجتذب فعالياتُ الحوار بين الأديان والثقافات، التي ترعاها الحركة؛ أشخاصًا من جميع المشارب ومن كل الأديان. وبدلًا من الانعزال عن المجتمع؛ يؤكد الأستاذ گولن وأتباعه على المشاركة والإسهام في مؤسسات المجتمع.

---

(1) Gülen (1996).

(2) Interview with journalist and author Abdullah Aymaz, January, 2005, conducted by Muhammed Cetin and described in Cetin (2007).

(3) Webb (2000).

٢- التحكُّم السلطوي:

ونموذج الحركات الدينية أو الطائفية تُهيمن عليه سلطة القائد «الملهَم»، الذي يحق له تقرير ما يجب أن يفعله الأتباع في جميع أمور حياتهم، الخاصة والعامة؛ إذ يَدين الأتباع بالطاعة والاحترام المطلقين للقائد الملهَم. ويصوَّر هذا القائد باعتباره شخصًا يمتاز ببصيرة وفضائل استثنائية، وهو الذي نُطْقه أمر وحقه ألا يُسأل عما يفعل.[1]

وفي حين يحترم المشاركون في الحركة الأستاذ گولن، ويدرسون كتاباته وخطبه، ويستشيرونه في القضايا والمشروعات الكبرى، ويحاولون العيش وفق المبادئ التي يُلقنها؛ إلا أنه لم يقبل أبدًا وصف نفسه بالقائد الملهَم للحركة.[2] وهو يمنع أتباعه دومًا من الإشارة للحركة باسم «حركة گولن»، بل يُفضِّل تسميتها بـ«حركة الخدمة». وهو بالمِثل يرفض وسم «مدارس گولن». وبدلًا من ذلك؛ يفضل التشاور الجماعي، والإجماع، ويحتج بأن ملايين المشاركين في الحركة هم الذين يستحقون أن يُنسَب لهم الفضل في نجاح المشروعات، التي تعتبر خلاصة رؤية مشتركة للعالم تحدوها روح الالتزام. وقد رفض الأستاذ گولن، أول الأمر؛ شهادة دكتوراه فخرية، من جامعة ليدز في لندن؛ بحجة أن الملايين من الأشخاص المتفانين في الحركة، هم الذين يُنجِزون المشروعات الخدمية الاجتماعية والتعليمية المميَّزة. ولم يقبل الدكتوراه إلا حين أُهديت آخر الأمر؛ باسم الحركة.[3]

وليس للجماعة أي هيئة إدارية أو هيكل هرمي يُصدِرُ الأوامر أو يمارس السيطرة على الأعضاء أو الأنشطة. وبدلًا من ذلك؛ يتم اتخاذ القرارات داخل المجموعات المحلية من خلال النقاش والإجماع. وإذ تنشأ الاحتياجات في مناطق مختلفة من دولة ما، أو حتى عالميًا؛ يُطلَب من المؤيدين الانتقال لمد يد العون حيث ظهرت الحاجة إلى

(1) Barker (2002).

(2) Akman (1995).

(3) Interview with Y. Alp Aslandogan, April, 2008.

خبراتهم أو مهاراتهم. فعلى سبيل المثال؛ يُطلَب من المعلِّمين الانتقال إلى منطقة تُفتتح فيها المدارس الجديدة. وبصورة منتظمة؛ يطلب من الأفراد، الذين لديهم خبرات في تخطيط الفعاليات أو تنظيم الأنشطة، الانتقال إلى مدينة تحتاج فيها مجموعة محلية إلى مثل تلك المهارات. هذا الانتقال المتكرر لأنصار گولن؛ يقضي على احتمال تحول أي شخص إلى شخصية ذات سلطة مركزية قوية.

٣- الشفافية/ الوضوح:

بالنظر لانتماء الملايين إلى الحركة، والذين يمكن العثور عليهم في كل قطاع من قطاعات المجتمع؛ فإن الحركة بكل تأكيد ليست سرًا محفوظًا. وفي الواقع؛ فإن خُطب الأستاذ گولن وكتاباته يُمكِنُ الوصول إليها على شبكة الإنترنت، كما تُباع كُتبه مطبوعة في المكتبات حول العالم. ولذلك؛ يَسهُل على أيٍ من المهتمين بقيم الأستاذ گولن، وبالحركة التي يُلهِمُها؛ الوصول بسهولة لكتاباته وللأنشطة والفعاليات التي ترعاها مئات من المؤسسات التابعة لگولن، والتي تنتشر على نطاقٍ قُطريٍ في العديد من الدول. فعلى سبيل المثال؛ أنشأ أتباع گولن معهد الحوار بين الأديان (IID) في هيوستن، تكساس؛ والذي يستهدف جمع الطوائف الدينية «لتعزيز التعاطُف والتعاون والشراكة والخدمة المجتمعية من خلال الحوار بين الأديان»، والحوار بشكل عام.وقد كُرِّس المعهد لتشجيع دراسة التقاليد الروحية للمجتمعات حول العالم؛ من زاوية تُراعي الدقة والتقدير والاحترام،[1] وتوجد مؤسسات محلية مماثلة في عدَّة مدن في أنحاء الولايات المتحدة. وترعى هذه المجموعات المحلية فعاليات مثل: عشاء الحوار بين الأديان، ومؤتمرات عن القضايا التربوية والحوارية بين الأديان، ورحلات الحوار بين الأديان والثقافات إلى تركيا، ومآدب الغذاء مع قادة المجتمع المدني والسياسيين المحليين. وهذه الفعاليات عامة، وتُستخدم كوسيلة لفتح أبواب شراكة مع المجتمعات التي يعيش فيها أتباع گولن للعمل والدراسة.

(1) From the Website of the Institute of Interfaith Dialog, Houston, Texas.

ومؤخرًا تأسس «معهد گولن» كمبادرة مشتركة بين جامعة هيوستن، تكساس؛ ومعهد الحوار بين الأديان. ويستهدف المعهد «تعزيز البحث الأكاديمي، فضلًا عن نشاط اجتماعي مُتجذِّر يؤدي لتغيير اجتماعي إيجابي، وتحديدًا؛ ترسيخ سلام مستقر، وبناء عدالة اجتماعية، وخلق تناغم اجتماعي؛ من خلال العناية بأمور التعليم والعمل الطوعي والمبادرات المدنية». وينظِّم المعهد مآدب غذاء شهرية مع شخصية بارزة كمتحدِّثٍ رئيسي. وتضم قائمة المتحدِّثين السابقين جيمس بيكر ومادلين أولبرايت، وزيريْ الخارجية الأمريكية الأسبقين؛ والرئيس الحالي لشرطة هيوستن، ومُقدّمي برامج بارزين في محطات التلفاز المحلية. ولا يرتبط أي من هؤلاء بالحركة. وخلال حواري مع العديد من تلك الشخصيات رفيعة المستوى؛ علمتُ أنهم وَكّلوا مساعديهم للتحقّق جيدًا من حركة گولن، قبل قبول دعوتها لإلقاء كلمة في فعالية علنية. ولقد أثنى كل هؤلاء المتحدثين على «معهد گولن» وجهوده للحوار والسلام العالمي. وعلاوة على ذلك، في سبتمبر عام ٢٠٠٨م؛ ألقى الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون رسالة مصوَّرة في الإفطار الرمضاني الذي أقيم في مدينة نيويورك، في المركز الثقافي التركي؛ والذي رعته مؤسسة محلّية تابعة لگولن. إذ أشاد بجهود أعضاء حركة گولن المبهرة في تعزيز السلام في أنحاء العالم.

واشتراك مثل هؤلاء القادة السياسيين وقادة المجتمع المدني البارزين، في فعاليات گولن؛ يدل على شيئين: أولًا؛ وضوح وشفافية الحركة، وثانيًا؛ حقيقة أن هذه الشخصيات القيادية العامة قد تحقّقت بعناية من الحركة، لأنهم لا يستطيعون تأييد جماعة قد تمثل «تهديدًا» أو «خطرًا» على الصالح العام.

وبالمثل؛ وجدتُ درجةً عاليةً من الشفافية إبّان تحقيقاتي في الأمور المالية المتعلِّقة بمشروعات وشركات كُبرى مُتصلة بالحركة. فلم تكن الإدارة العليا على استعداد لإنفاق وقتها في الإجابة على عدد لا يُحصى من الأسئلة فحسب؛ بل أتاحوا لي كذلك سجلاتهم المالية لأقوم بمراجعتها. وكان المشارِكونَ صرحاء ومنفتحين فيما يتعلق بإسهاماتهم في المشروعات الخدمية التي ترعاها الحركة.

٤- التحديث (ضد نبذ العلم لصالح القيم التقليدية):

المثال الأوضح على موقف الأستاذ گولن تجاه القيم الحديثة للعلم الطبيعي والتكنولوجيا والعقلانية، وتقدير الذات الفردية؛ يتجلى في أنواع المدارس التي دعا لها في الثمانينيات، حينما افتُتِحت أولى مدارس گولن في تركيا. فقد انتقد المدارس الدينية، التي كانت تدرِّس الإسلام؛ والتكايا، المدارس غير الرسمية للطرق الصوفية التقليدية؛ لأنها أكدت القيم الروحية والإنسانية والميتافيزيقية، على حساب التدريب العلمي والتقدُّم. ومن ناحية أخرى؛ انتَقَد گولن المدارس العلمانية التركية والأكاديميات العسكرية؛ لأنها تنقل المعرفة العلمية الحديثة، والمهارات التقنية؛ لكنها تفشل في نقل القيم الروحية والأخلاقية التي حملتها التقاليد الإسلامية. ورأى أن جذور المشكلة تكمُن في الافتقاد للتكامُل بين الجديد والقديم، وبين الحداثة والتراث، وبين المعرفة العلمية والدينية، وبين المهارات التقنية وبناء الشخصية.[1] واقترح الأستاذ گولن إنشاء مدارس توفِّر تعليمًا ممتازًا في حقول العلوم الطبيعية والتقنية، جنبًا إلى جنب مع القيم الأخلاقية والروحية، التي تُنمي الإنسان بجُملته. كان هدفه تأسيس مدارس من الدرجة الأولى؛ تجمع أحدث الإنجازات التقنية مع تشكيل الشخصية بإيجابية، والالتزام بقيمٍ عليا.

ويُعارِضُ الأستاذ گولن مساواة التحديث بالتغريب، كما يفترض بعض المثقفين في تركيا والعالم الإسلامي. ويرفض مزاعم البعض بأن الإسلام دينٌ «رجعي» يُمثِّل عقبةً في طريق التقدم. ويرى بدلًا من ذلك أن الإسلام هو «الطريق الوسط»، الذي لا يرفض أو يُدين النهج العلمي الحديث، ولا يؤلِّه كذلك.[2] وحتى يُشارِك الفرد في الحداثة من منظور نقدي؛ روَّج الأستاذ گولن لأهمية المعرفة والتدريب بأحدث الوسائل في مجالات العلوم الطبيعية والتقنية، جنبًا إلى جنب مع التحول الشخصي

(1) Michels (2005).

(2) Gülen (1999).

إلى القيم الأخلاقية العليا، وحب الإنسانية، والشخصية الإيجابية، وشجاعة العمل على تحسين ظروف المجتمع. وهذا يتلخَّص في كلمات الأستاذ التالية:

«لو كان للمثقفين والمؤسسات التعليمية ووسائل الإعلام من مهمة حيوية يضطلعون بها لأجل خير البشرية؛ فلن تكون سوى نقل الدراسات العلمية الحديثة من المناخ الملوَّث بالتطلُّعات المادية القاتلة، والتعصُّب الأيديولوجي؛ وأن يوجّهوا العلماء إلى القيم الإنسانية الحقيقية».

وتوفِّر مدارس گولن، حول العالم؛ تعليمًا ممتازًا في مجالات العلوم الطبيعية والتقنية الحديثة، جنبًا إلى جنب مع تلقين القيم؛ وذلك من خلال معلِّمين ومديري مدارس يمثلون القدوة، وأكثرهم مشاركون في الحركة وقد تشبعوا بالقيم التي يروِّج لها الأستاذ گولن.

٥- اللاعنف:

وعلى مدى حياته، بوصفه داعية ومعلمًا؛ استنكر الأستاذ گولن باستمرار استخدام العنف وسيلةً لتحقيق هدف سياسي. وفي رأيه أن الأوضاع الاقتصادية، وفساد الدولة، والمبررات الأيديولوجية؛ ليست مسوغًا أبدًا للعنف. وهو يُشجِّعُ مستمعيه وقرَّاءه على احترام حكم القانون، والسعي للحل السلمي لأي صراع، سواء بين الأفراد وبعضهم، أو بين الدولة والفرد، أو بين مجموعات من الأفراد والدولة.[1] وأحد المبادئ الأساسية، التي تَنضَح بها جميع خُطب الأستاذ گولن وكتاباته؛ هي تجنُّب الصراع السياسي والأيديولوجي.

ومرارًا يُكرّر الأستاذ گولن الرسالة التي أفرد لها قبل ذلك صفحة كاملة في صحيفة نيويورك تايمز، في اليوم التالي على هجمات ١١ سبتمبر؛ «الإرهابي لا يمكن أن يكون مسلمًا، ولا يمكن لمسلم حقيقي أن يكون إرهابيًا». إذ يؤكد باستمرار أن «الإسلام يأمر بالسلام، والمسلم الحقّ لا يكون إلا رمزًا للسلام والحفاظ على

---

(1) Aslandogan and Cinar (2007).

الحقوق الإنسانية الأساسية... إذ يصرِّح القرآن بأنه: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾،[1] ويقول الرسول ﷺ:[2] *«المسلم مَنْ سَلِمَ الناس من لسانه ويده»*.[3] ويتمادى رافضًا الفلسفة التي تعتبر العنف وسيلة مشروعة لغاية سائغة، وفي خطاب له بعد تفجيرات مترو لندن، والهجمات الانتحارية في إسرائيل؛ انتقد أولئك الذين يتغاضون عن تلك الأفعال؛ قائلًا: «للأسف يتغاضى البعض عن التفجيرات الانتحارية، زاعمين أنه ليس من وسيلة أخرى. فإذا كانت هذه هي الوسيلة الوحيدة التي يملكها المسلمون؛ فادفنوا هذه الوسيلة عميقًا في التراب، إلى جوار من يستخدمونها».[4]

والحل الذي يطرحه الأستاذ گولن، للسخط والصراعات الإنسانية؛ هو تغيير الفرد من الداخل. ولحل المشكلات الاجتماعية، مثل غياب التعليم، والفقر، والظلم الاجتماعي والصراعات السياسية والأيديولوجية؛ يدعو الأستاذ گولن إلى التعليم، والاحترام المتبادَل، وتوفير الفُرَص للجماهير، وزَرْع الأمل في تحسين حياة الفرد، وبالتالي المجتمع في نهاية المطاف. ولتحقيق هذه الأهداف؛ يُشجِّع الأستاذ أولئك الذين يستمعون إليه على إنشاء المدارس، التي ستُمثِّل أملًا لتطور الشباب، وتعزِّز الحوار بين الأديان والثقافات وتدعم الاحترام. وهدفه أن توفِّر هذه المدارس بديلًا للتجنيد في المجموعات الإرهابية، وهو ما سيُثمِرُ حلًا دائمًا للصراع الاجتماعي العنيف.

---

(١) سورة المائدة؛ آية ٣٢.

(٢) حديث صحيح، رواه البخاري ومسلم وغيرهما بألفاظ مختلفة.

(3) Http://en.fGülen.com/content/view/968/2/.

(4) Gülen, ‹Tolerance, Bombs, and Religious Minorities› available online at http://www.herkul.org.

وختامًا؛ فإن مخاوف النقَّاد من احتمال طعن المجموعات الدينية المتطرفة، التي تُفَضِّلُ دولة إسلامية؛ في الأيديولوجية العلمانية، أحد أسس الجمهورية التركية؛ أمر يمكن تفهُّمُهُ بالنظر للتاريخ التركي. ولكن بالتأمُّل في البيانات الواردة في هذا الكتاب؛ لا يُمكنني الوقوف على دليل تبني حركة گولن مثل تلك الأهداف. وفي حين يتعذَّر الزعم القطعي بأن الحركة لن تصير «راديكالية» أبدًا، وتهدف للإطاحة بحكومة شرعية؛ إلا أنه نظرًا لحقيقة افتقاد الحركة لخصائص الحركات الطائفية؛ فإن ذلك يجعل من غير الوارد بالمرة أن تشهد الحركة تطورًا في مثل هذا الاتجاه. إن كون الحركة مرئية للجميع وشفَّافة، وتهدف للتكامل مع المجتمع بدلًا من العزلة، وهيكلها غير سلطوي، ولا ترفض التحديث لصالح التمسُّك بالتقاليد، وتُدين العنف إستراتيجيةً لتحقيق الأهداف؛ فإن ذلك كلَّه يُقلِّل احتمالات انحراف الحركة لتبني أو تطوير الصفات المميزة للجماعات الطائفية أو تلك التي يُحتَمَل أن تمثل خطرًا على المجتمع. بل، وكما يتضح من دعوة گولن لإلقاء كلمة رئيسية في البرلمان العالمي للأديان، في ملبورن بأستراليا عام ٢٠٠٩م؛ فإن حركة گولن قد حظيت باعتراف الكثيرين في العالم بوصفها حركة تروِّج للحوار والسلام العالمي.

المصادر

Abu-Rabi IM (2008) Editor's introduction. In: Abu-Rabi IM (ed) Contemporary islamic conversations: M. Fethullah Güllen on Turkey, Islam and the West. State University of New York Press, New York

Agai B (2003) The Gülen Movement's Islamic Ethic of Education. In: Yavuz M, Esposito JL (eds) Turkish Islam and the Secular State: The Gülen Movement. The Syracuse University Press.

Agai B (2005) Discursive and Organizational Strategies of the Gülen Movement. Paper presented at: Islam and the Contemporary World: the Fethullah Gülen movement in thought and practice. Rice University, Houston, TX, November

Akman N (1995) Interview with Fethullah Gülen. In Sabah, January 27

Aktay Y (2003) Diaspora and stability. In: Yavuz M, Esposito JL (eds) Turkish Islam and the Secular State: The Gülen Movement. The Syracuse University Press, Syracuse, NY

Akyol M (2008) The context of the Gülen movement: the exceptional story of Turkish Islam. Paper given at the Conference on Islam in the Age of Global Challenges: Alternative Perspectives of the Gülen Movement, Georgetown University

Aras B, Bacik G (2000) The national action party and Turkish politics. Nation Ethnic Politics 6(4):48–64

Aslandogan YA (2006) Defamation as a smoke screen: a case study in modern Turkey. Paper presented at the Second Annual Conference on Islam in the Contemporary World: The Fethullah Gülen Movement in Thought and Practice. The University of Oklahoma in Norman, OK

Aslandogan YA, Cetin M (2006) The educational philosophy of Gülen in thought and practice. In: Hunt RA, AslandoganYA (eds) Muslim citizens of the globalized world: Contributions of the Gülen movement. The Light, Somerset, NJ (Chapter 2)

Aslandogan YA, Cinar B (2007) "A Sunni Muslim scholar's humanitarian and religious rejection of violence against civilians." Paper delivered at the Muslim World in Transition: Contributions of the Gülen Movement Conference, London

Axelrod R (1984) The evolution of cooperation. Basic Books, New York

Aymaz A (2006) Article in Zaman, March 21

Bacik G, Aras B (2002) Exile: a keyword in understanding Turkish politics. Muslim World 92: 387–418

Balci B (2003) Fethullah Gülen's missionary schools in central Asia and their role in the spreading of Turkism and Islam. Religion State Soc 31(2):151–116

Balci T (2007) Turkish Nationalism during the Cold War: The Turkish-Islamic Synthesis. Unpublished dissertation, Claremont Graduate University

Barker E (1984) The making of a Moonie: choice or brainwashing?. Basil Blackwell, New York, NY

Barker E (2002) Introducing new religious movements. Fathom Knowledge Network. Available from: www.fathom.com/feature/121938 (May, 2006, 11.11)

Baskan F (2004) The political economy of Islamic finance in Turkey: the role of Fethullah Gülen and Asya Finans. In: Henry CM, Wilson R (eds) The politics of Islamic finance. pp 216–239 (Chapter 10) Edinburgh: Edinburgh University Press

Bolukbas E (2008) Interview with the coordinator of information processing. Kimse Yok Mu Solidarity and Aid Association. D. Koc interviewer Istanbul, Turkey April 2007

Bosworth CE, van Donzel E, Heinrichs Wp, Lecomte C (eds) (1997) Encyclopedia of Islam, vol 9. Boston, MA: Brill Publishers
Brewer MB, Kramer RM (1986) Choice behavior in social dilemmas: effects of social identity, group size and decision framing. J Personality Social Psychol 50:543–549
Bromley D, Richardson JT (eds) (1984) The brainwashing/deprogramming controversy. Mellen, Lewiston, NY
Buchanan B (1974) Building organizational commitment: socialization of managers in work organizations. Adm Sci Q 19:533–546
Buechler SM (1999) Social movements in advanced capitalism. Oxford University Press, London
Byrne P (1997) Social movements in Britain. Routledge, London
CAIR (Council on American-Islamic Relations Research Center).(2006). American public opinion about Islam and Muslims. Research Report available at www.cair.com
Cardona P, Lawrence BS, Bentler PM (2004) The influence of social and work exchange relationships on organizational citizenship behavior. Group Organ Manage 29:219–247
Carroll BJ (2007) A dialogue of civilizations: Gülen's Islamic ideals and humanistic discourse. The Light, Somerset, NJ
Cetin M (2005) Mobilization and countermobilization: the Gülen movement in Turkey. Proceedings from Islam in the contemporary world: The Fethullah Gülen movement in thought and practice. Rice University, Houston, TX
Cetin M (2007) The Gülen Movement: its nature and identity. Muslim world in transition: contributions of the Gülen movement. International Conference Proceedings, Leeds Metropolitan University Press, London
Cetin M (2008) Collective identity and action of the Gülen movement: implications for social movement theory. Ph.D. dissertation, Derby University, UK
Cetin M (2009) The Gülen movement: civic service without borders. Blue Dome Press, New York, NY
Collin CS (1960) In: Gibb HAR, Kramers JH, Levi-Provencal E, Schacht J (eds) Encyclopedia of Islam, vol 1. Boston, MA: Brill Publishers
Cook SA (2007) Ruling but not governing: the military and political development in Egypt, Algeria and Turkey. Johns Hopkins University Press, Baltimore, MD
Curtis R, Zurcher LA (1974) Social movements: an analytical exploration of organizational forms. Social Problems 21:356–370
Das V (ed) (1990) Mirrors of violence: communities, riots and survivors in South Asia. Oxford University Press, Delhi
Delaney CL (1991) The seed and the soil: gender and cosmology in Turkish village society. University of California, Berkeley
Della Porta D (1995) Social movements, political violence and the state. Cambridge University Press, Cambridge
Della Porta D, Diani M (1999) Social movements: an introduction. Oxford and Blackwell, London
Diyanet Islam Ansiklopedisi (2002) Ankara
Doney PM, Canon JP, Mullen MR (1998) Understanding the influence of national culture on the development of trust. Acad Manage Rev 23:601–620
Ebaugh HR, Koc D (2007) Funding Gülen-inspired good works: demonstrating and generating commitment to the movement. In: Yılmaz İ et al. (eds) International conference proceedings. Muslim World in transition: contributions of the Gülen/Hizmet movement. London conference
Eck D (2001) A new religious America: how a 'Christian Country' has become the most religiously diverse nation on earth. Harper San Francisco, San Francisco
Edwards B, McCarthy JD (2004) Resources and social movement mobilization. In: Snow DA, Soule SA, Kriesi H (eds) The Blackwell companion to social movements. Blackwell, Malden, MA
Ergene ME (2007) Tradition witnessing the modern age: an analysis of the Gülen movement. The Light, New Jersey. Originally published in Turkish as Geleneğin Modern Çağa Tanıklığı: Gülen Hareketinin Analizi (2005)

Ergun ON (1922) Mecelle-I Umur-I Belediye. Istanbul
Eyerman R, Jamison A (1991) Social movements: a cognitive approach. Polity, Cambridge
Fine GA (1986) Friendship in the workplace. In: Derlega VJ, Winstead BA (eds) Friendship and social interaction. Springer, New York
Fireman B, Gamson W (1979) Utilitarian Logic in the Resource mobilization Perspective. In: Zald MN, McCarthy JM (eds) The dynamics of social movements. Winthrop, Cambridge, MA, pp 8–45
Freeman J (1979) Resource mobilization and strategy. In: Zald MN, McCarthy JM (eds) The dynamics of social movements. Winthrop, Cambridge, MA, pp 167–189
Friedman R (1992) Zealots for Zion: inside Israel's West Bank movement. Random House, New York
Fuller G (2008) The New Turkish Republic: Turkey as a pivotal state in the Muslim world. United States Institute of Peace Press, Washington, DC
Gallagher EV (2008) FLDS, Texas O. Religion in the news. Trinity College, Hartford
Gamson WA (1975) The strategy of social protest. Dorsey, Homewood, IL
Garner R (1996) Contemporary movements and ideologies. McGraw-Hill, New York
Gerlach L, Hines V (1970) People, power, change. Bobbs-Merrill, New York
Gülen F (1993) Bahari Soluklarken. Nil Yayinlari, Izmir, p 39
Gülen F (1994) Yitirilmis Cennete Dogru, Towards the Lost Paradise. Izmir, TOV
Gülen F (1998) Toward the lost paradise. Kaynak, Izmir
Gülen F (1999) The relationship of Islam and science and the concept of science. The Fountain Magazine Published by The Light, Inc. Somerset, NJ October–December
Gülen F (2004) In true Islam, terror does not exist. In: Capan E (ed) Terror and suicide attacks: an Islamic perspective. The Light, New Jersey
Gülen F (2005) The state of our souls: revival in Islamic thought and activism. The Light, Somerset, NJ
Gurr T (1970) Why men rebel. Princeton University Press, Princeton, NJ
Hales C (1993) Power, authority and influence. In: Harris A, Bennett N, Preedy M (eds) Organizational effectiveness and improvement in education. Open University Press, Buckingham, Philadelphia
Henry CM, Wilson R (2004) The politics of Islamic finance. Edinburgh University Press, Edinburgh
Hostetler J (1993) Amish society. The John Hopkins University Press, Baltimore, MD
Howard DA (2001) The history of Turkey. Greenwood, Westport, CT
Howe M (2000) Turkey today: a nation divided over Islam's revival. Westview Press, Boulder, Colorado
Hunt RA, Aslandogan YA (eds) (2006) Muslim citizens of the globalized world: contributions of the Gülen movement. The Light, Somerset, NJ
Jacobsen C (1988) Expecting consideration: further insights. Israeli Soc Sci Res 6:83–86
Jenkins JC (1983) Resource mobilization theory and the study of social movements. Ann Rev Sociol 9:527–553
Joireman J, Daniels D, Kamdar D, Duell B (2006) Good citizens to the end? It depends: empathy and concern with future consequences moderate the impact of a short-term horizon on organizational citizenship behaviors. J Appl Psychol 91:1307–1320
Jurgensmeyer M (2000) Terror in the mind of God: the global rise of religious violence. University of California Press, Berkeley, CA
Kalyoncu M (2008) A civilian response to ethno-religious conflict: the Gülen movement in southeast Turkey. Light, NJ
Kanter RM (1968) Commitment and social organization: a study of commitment mechanisms in utopian communities. Am Sociol Rev 33:499–517
Kanter RM (1972) Commitment and community: communes and utopias in sociological perspective. Harvard University Press, Cambridge, MA
Kaplan DE, Marshall A (1996) The cult at the end of the world: the terrifying story of the Aum Doomsday cult. Crown, New York
Karakas v (2002) Nicin Zekat? (Why Zakat?). Timas Yayinlari, Istanbul
Kendall D (2005) Sociology in our times. Thomas Wadsworth, Belmont, CA
Klandermans B (ed) (1989) Organizing for Change: Social movement organizations across cultures. JAI Press, Greenwich, CT

Knoke D (1981) Commitment and detachment in voluntary associations. Am Sociol Rev 46:141–158
Koc D (2008) Generating an understanding of financial resources in the Gülen movement: 'Kimse Yok Mu' Solidarity and Aid Association. Paper presented at the Georgetown Conference, Washington, DC
Komecoglu U (1997) A sociological interpretative approach to the Fethullah Gülen community movement. M.A. thesis (unpublished). Sociology Department, Bogazici University, Istanbul
Konovsky MA, Pugh SD (1994) Citizenship behavior and social exchange. Acad Manage J 37: 656–669
Kraybill DB, Nolt SM (2004) Amish enterprise: from plows to profits. John Hopkins University Press, Baltimore
Kuru AT (2003) Fethullah Gülen's search for a middle way between modernity and Muslim tradition. In: Yavuz MH, Esposito JL (eds) Turkish Islam and the secular state: the Gülen movement. University of Syracuse Press, Syracuse, NY
Kuru AT (2005) Globalization and diversification of Islamist movements: three Turkish cases. Pol Sci Q 120(2):253–274
Madan TN (1991) The double-edged sword: fundamentalism and the Sikh religious tradition. In: Marty ME, Appleby RS (eds) Fundamentalisms observed. University of Chicago Press, Chicago
Magnarella PJ (1974) Tradition and change in a Turkish town. Halsted, New York
Mardin S (1989) Religion and social change in modern Turkey: the case of Bediuzzaman Said Nursi. The State University of New York Press, Albany, NY
Mason W (2000) The future of political Islam in Turkey. World Pol J XVII(2):56–67
McAdam D, McCarthy JD, Zald MN (1988) Social movements. In: Smelser NJ (ed) The handbook of sociology. Sage, Beverly Hills, CA, pp 695–737
McAdam D, McCarthy JD, Zald MN (1996) Introduction: opportunities, mobilizing structures and framing processes – Toward a synthetic, comparative perspective on social movements. In: McAdam D, McCarthy JD, Zald MN (eds) Comparative perspectives on social movements: political opportunities, mobilizing structures and cultural framings. Cambridge University Press, Cambridge
McCarthy JD, Wolfson M (1996) Resource mobilization by local social movement organizations: agency, strategy and organization in the movement against drinking and driving. Am Sociol Rev 61:1070–1088
McCarthy JD, Zald MN (1977) Resource mobilization and social movements: a partial theory. Am J Sociol 82:1212–1241
McChesney RD (1995) Charity and philanthropy in Islam: institutionalizing the call to do good. Indiana University Press, Indianapolis
Mecham RQ (2004) From the ashes of virtue, a promise of light: the transformation of political Islam in Turkey. Third World Q 25(2):339–358
Melucci A (1999) Challenging codes: collective action in the information age. Cambridge University Press, Cambridge, UK
Michel T (2003) Fethullah Gülen as Educator. In: Yavuz MH, Esposito JL (eds) Turkish Islam and the Secular State: the Gülen movement. Syracuse University Press, Syracuse, NY (Chapter 4)
Michels T (2005) Sufism and modernity in the thought of Fethullah Gülen. Muslim World 95(3):341–358
Michels T (2008) Welcoming address, presented at: Islam in the Age of Global Challenges Conference. Georgetown University, Washington, DC, November
Morris AD, Staggenborg S (2004) Leadership in social movements. In: Snow DA, Soule SA, Kriesi H (eds) The Blackwell companion to social movements. Blackwell, Malden, MA
Mumtaz A (1991) Islamic Fundamentalism in South Asia: Jamaat-i-Islami and Tablighi Jamaat of South Asia. In: Martin M, Appleby RS (eds) Fundamentalisms observed. University of Chicago Press, Chicago (Chapter 8)
Nugent PD, Abolafia MY (2006) The creation of trust through interaction and exchange: the role of consideration in organizations. Group Organ Manage 31:628–650
Oberschall A (1973) Social conflict and social movements. Prentice Hall, Englewood Cliffs, NJ
Oliver P, Marwell G (1992) Mobilizing technologies for collective action. In: Morris A, Mueller C (eds) Frontiers of social movement theory. Yale University Press, New Haven, CT, pp 251–172
Olson EA (1965) The logic of collective action. Cambridge University Press, Cambridge, MA

Ozdalga E (2000) Worldly asceticism in Islamic casting: Fethullah Gülen's inspired piety and activism. Critique: Crit Middle Eastern Stud 17:84–104
Park W (2007) The Fethullah Gülen movement as a transnational phenomenon. In: Yılmaz İ et al. (eds) International conference proceedings. Muslim world intTransition: contributions of the Gülen movement. Leeds Metropolitan Press, London
Piece JE (1964) Life in a Turkish village. Holt, Rinehart and Winston, New York
Pope H (2005) Sons of the conquerors: the rise of the Turkish world. Overlook Press, New York, NY
Read JG (2004) Culture, class and work among Arab-American women. LFB Scholarly Publishing, New York
Read JG, Bartowski JP (2000) To veil or not to veil: a case study of identity negotiation among Muslim women in Austin, Texas. Gender Soc 14(3):395–417
Reader I (1996) A poisonous cocktail: Aum Shrinrikyo's path to violence. Nordic Institute of Asian Studies, Copenhagen
Rioux SM, Penner LA (2001) The causes of organizational citizenship behavior: a motivational analysis". J Appl Psychol 86:1306–1314
Robbins T, Anthony D (eds) (1990) In Gods we trust. Transaction, New Brunswick, NJ
Roy JT (ed) (1996). False patriots: the threat of antigovernment extremists. Southern Poverty Law Center, Klanwatch Project, Montgomery, Alabama
Sakin M, Albayrak M (2007) *Zaman* newspaper, p 5
Salamon LM, Sokolowski W, List R (2003) The Johns Hopkins comparative nonprofit sector project. Johns Hopkins Center for Civil Society Studies, Baltimore, p 70
Saritoprak Z (2005) An Islamic approach to peace and nonviolence: a Turkish experience. Muslim World 95(3):413–428
Saritoprak Z, Griffith S (2005) Fethullah Gülen and the 'People of the Book': a voice from Turkey for interfaith dialogue". Muslim World 95(3):329–340
Sevendi N (1997) The New York interview with Fethullah Gülen. Sabah Kitaplari, Istanbul
Sevendi N (2008) Contemporary Islamic conversations: M. Fethullah Gülen on Turkey, Islam and the West. State University of New York Press, New York
Singer A (2002) Constructing Ottoman beneficence: an imperial soup kitchen in Jerusalem. SUNY, New York
Smelser NJ (1962) Theory of collective behavior. Free Press, New York
Snow DA, Zurcher LA, Ekland-Olson S (1980) Social networks and social movements: a microstructural approach to differential recruitment. Am Sociol Rev 45:787–801
Solberg A (2005) The Gülen schools: a perfect compromise or comprising perfectly? Paper read at the Kotor Network Conference
Sprinzak E (1991) The process of delegitimization: towards a linkage theory of political terrorism. In: McCauley C (ed) Terrorism and public policy. Frank Cass, London
Stern KS (1996) A force upon the plain: the American militia movement and the politics of hate. New York University Press, New York
Tabor JD, Gallagher EV (1995) Why Waco: cults and the battle for religious freedom in America. University of California Press, Berkeley, CA
Tapper R (1991) Introduction. In Tapper R (ed). Islam in Modern Turkey: Religion, politics and literature in a secular state. I.B. Tauris, London
Tekalan SA (2005) A movement of volunteers. Proceedings from Islam in the contemporary world: the Fethullah Gülen movement in thought and practice. Rice University, Houston, TX
The Book of Dede Korkut (1974) Translation, introduction and notes by Geoffrey Lewis. Penguin, New York
Tilly C (1978) From mobilization to revolution. Addison-Wesley, Reading, MA
Tolson J (2008) Finding the voices of moderate Islam. Faith Matters (www.usnews.com)
Turam B (2004) A bargain between the secular state and Turkish Islam: politics of ethnicity in Central Asia. Nations Nationalism 10:353–374
Turner R, Killian L (1972) Collective behavior, 2nd edn. Prentice Hall, Englewood Cliffs, NJ
Unal A (2007) The Qur'an with annotated interpretation in modern English. The Light Publ, Somerset, NJ

Unal A, Williams A (2000) Fethullah Gülen: advocate of dialogue. The Fountain, Fairfax, VA
Van VM, DeCremer D (1999) Leadership in social dilemmas: the effects of group identification on collective actions to provide public goods. J Pers Soc Psychol 67:126–141
Weaver-Zercher D (1999) Putting the Amish the work: Mennonites and the Amish culture market, 1950–1975. Church Hist March 68:1
Webb LE (2000) Fethullah Gülen: is there more to him than meets the eye?. Mercury, Izmir
Weller P (2006) Fethullah Gülen, religions, globalization and dialogue. In: Hunt RA, Aslandogan YA (eds) Muslim citizens of the globalized world: Contributions of the Gülen movement. The Light, Somerset, NJ
Woodhall R (2005) Organizing the organization, educating the educators: an examination of Fethullah Gülen's teaching and the membership of the movement. Proceedings from Islam in the contemporary world: the Fethullah Gülen movement in thought and practice. Rice University, Houston, TX
Wright SA (ed) (1995) Armageddon in Waco: Critical perspectives on the Branch Davidian conflict. University of Chicago Press, Chicago
Wuthnow R (2005) America and the challenges of religious diversity. Princeton University Press, NJ
Yavuz MH (1999) Search for a new social contract in Turkey: Fethullah Gülen, the virtue party and the kurds. SAIS Rev 19(1):114–143
Yavuz MH (2002) The Gülen movement: The Turkish Puritans. In: Yavuz MH, Esposito JL (eds) Turkish Islam and the secular state: the Gülen movement. Syracuse University Press, Syracuse, NY (Chapter 2)
Yavuz MH (2003a) Islam in the Public Sphere: the Case of the Nur Movement. In: Yavuz MH, Esposito JL (eds) Turkish Islam and the Secular State: the Gülen movement. Syracuse University Press, Syracuse, NY (Chapter l)
Yavuz MH (2003b) The Gülen Movement: The Turkish Puritans. In: Yavuz MH, Esposito JL (eds) Turkish Islam and the Secular State: the Gülen movement. Syracuse University Press, Syracuse, NY (Chapter 2)
Yavuz MH (2005) Cleansing Islam from the public sphere. Posted on the website for the Sunni Razvi Society International, General Islamic Topics, on March 2, 2005
Yavuz MH, Esposito JL (2003) Introduction. In: Yavuz MH, Esposito JL (eds) Turkish Islam and the secular state: the Gülen movement. Syracuse University Press, Syracuse, NY
Yediyıldız B (2003) XVIII. Yüzyılda Türkiyede Vakıf Müessesi, Bir Sosyal tarih İncelemesi [A Socio-historical analysis of waqf institutions in 18th century Turkey]. Türk Tarih Kurumu, Ankara
Yilmaz I (2003) Ijtihad and Tacdid by conduct. In: Yavuz MH, Esposito JL (eds) Turkish Islam and the secular state: the Gülen movement. Syracuse University Press, Syracuse, NY
Yilmaz I (2005) State, Law, Civil Society and Islam in Contemporary Turkey. The Muslim World, vol 95, No. 3. Special Issue: Islam in Contemporary Turkey: the Contributions of Gülen: 385–412
Yousef TM (2004) The *Murabaha* Syndrome in Islamic finance: laws, institutions and politics. In: Henry CM, Wilson R (eds) The politics of Islamic finance. Edinburgh University Press, Edinburgh, England, pp 63–80 (Chapter 3)
Zald MN, Ash R (1966) Social movements organizations: growth, decay and change". Soc Forces 44:327–340
Zald MN, McCarthy JD (eds) (1979) The dynamics of social movements: resource mobilization, social control and tactics. Winthrop, Cambridge, MA
Zeskind L (1986) The "Christian Identity" Movement: analyzing its theological rationalization for racist and anti-Semitic violence. Division of Church and Society of the National Council of the Churches of Christ in the U.S.A., New York
Tuncer F Foundations of the intellectual development of Fethullah Gülen. Translated by Aslandogan YA

الإسلاميون والعسكر

صدر حديثا

شهادة ضابط مخابرات جزائري

هذا الكتاب وثيقة غاية في الخطورة؛ فمؤلِّفُه ليس مُجرَّد شاهد عيان، بل هو فاعل أصيل وجُزء لا يتجزأ من روايتِه، وربَّما كان هذا -بنظر البعض- دافعًا لردِّ شهادته التاريخيَّة، إمَّا باعتباره موتورًا، أو باعتباره جُزءًا من الواقع التاريخي المعاصر؛ ومن ثمَّ فهو ما زال محجوبًا بحجاب المعاصرة، وغير قادر على تجاوز التجربة للحُكم عليها.

وهذا كُلُّه مردود عليه بأن أهميَّة الشهادة التي يَضُمُّها هذا الكتاب تتجاوز قيمتُها السرديَّة المباشرة إلى ما وراء ذلك بكثير؛ إلى الأنماط التي يُمكن تجريدها منها، فهذه الشهادة تصلُح كنواة لنموذج تفسيري لعلاقات العسكر والإسلاميين، فيما بين المحيطين، وذلك مُنذ بدء حقبة الانقلابات العسكريَّة أواخر الأربعينيَّات.

وإذا كان تاريخ الحركات الإسلاميَّة ما بين السبعينيَّات والتسعينيات لم يُكتب بشكل جاد بعدُ، فإن هذا الكتاب يُمكن اعتبارُه توثيقًا لنمط مُتكرر وبارز، لا يُمكن بدونه فهم علاقات الإسلاميين والعسكر في الثلث الأخير من القرن العشرين.



وبهذا المنظور، فالكتاب ليس فقط تأريخًا لما سُمِّي بالعشريَّة الحمراء في الجزائر، ولا هو عن جبهة الإنقاذ التي انقلب عليها "جنرالات فرنسا" فحسب، ولا هو مُخصص لأزمة الإسلاميين مع الممارسة الديمُقراطيَّة، بل هو فوق كُلِّ ذلك، وقبله وبعده؛ عن علاقة الإسلاميين بالعسكر.



ضابط مُخابرات جزائري سابق، شغل وظائف عدَّة بأجهزة أمنيَّة مُختلفة في الفترة ما بين عام ١٩٧٨ وحتَّى استقالتِهِ من منصبه عام ١٩٩٦ احتجاجًا على جرائم النظام الحاكم التي ارتُكبت بعد انقلاب العسكر على الديمقراطيَّة (عام ١٩٩٢). وهو لاجئ سياسي في ألمانيا منذ استقالته، وقد أسس حركة "رشاد" المعارضة للنظام الجزائري في عام ٢٠٠٧.

أنجيل رابسا
إف. ستيفن لارابي

صعود الإسلام السياسي في تركيا

صدر حديثًا

سلسلة تقارير
مؤسسة راند

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وإعلان الحرب الأمريكيّة على ما سُمّي بـ"الإرهاب"؛ تنامت الموجة العدائيّة للولايات المتحدة. وقد تسبب ذلك الوضع في اضطراب وتخبُّط السياسات الأمريكية لعدة سنوات؛ خصوصًا بعد اكتشافها مدى تر "الحُلفاء" القدامى. ومن ثَمّ؛ بدأت رحلة البحث عن حُلفاء جُدد، أكثر شبابًا وأوفر قُدرة.

تزامن ذلك مع صعود حزب العدالة والتنمية في تركيا، والذي كان الغرب يرقُبه بدهشة لا تخلو من إعجاب، بل وتشجيع بدأ ع استحياء وانتهى علنيًا. كان أردوغان وصحبه العامل الحاسم الذي أعاد تشكيل الإستراتيجيّة الأمريكيّة في الشرق الأوسط. ف حققوا الإجماع الشعبي اللازم لدعم مشروعاتهم العلمانيّة ذات الطبيعة "المحافظة" في بلد ذي أغلبيّة مسلمة، وازداد اندماجُ في المنظومة الرأسماليّة الغربيّة بتوالي نجاحاتهم في تفكيك الدولة الشوفينيّة الصلبة، بفسادها، لحساب دولةٍ رخوة؛ بغ تهديد لعلمانيّة النظام الديمقراطي. والأهم من ذلك كُلّه أنهم ليسوا معادين للغرب، ولا لقيمه، ولا لنمط معيشته الاستهلاكي، يطمعون في اللحاق بركبه. فكانت هذه هي نقطة التحوّل، التي أثبتت إمكان دعم وتطوير "إسلام ديمقراطي مدني" متوافق "الحداثة الغربيّة"؛ "إسلام أمريكاني".

ويتتبع هذا الكتيب رحلة الصعود منذ مراحلها الحرجة والمبكِّرة، وسياقاتها، وخلفيّاتها، والمصاعب التي اكتنفتها. كما ير تغيُّر ميزان القوى بين النخب الكمالية من ناحية والتيار الاجتماعيّ الجديد، خلال العقد السابق على صعود نجم أردوغان وصحبه. ويتناول بالتحليل علاقة الدولة بالدين في ضوء تغيُّر المعطيات السياسيّة والاجتماعيّة بصعود حزب ذي جذور "إسلاميّة" إلى سُدّة الحكم في ظل هيمنة الأيديولوجيّة العلمانيّة للدولة، وذلك على خلفية الجدل الذي أضرمه ذلك الصعود حول الحدود الفاصلة بين العلمنة والدين في المجال العام.



والغرض الرئيس من هذه الدراسة هو تقييم التحديات الجديدة والفرص الوليدة التي تواجه صانع القرار الأمريكي في البيئة السياسية التركية المتغيرة، وتحديد المبادرات والأنشطة التي يتعين على أميركا الاضطلاع بها لاستثمار الظرف التاريخي وتعزيز وجودها في ظل نظام صديق، مستقر وعلماني وديمقراطي؛ وجودًا يُعزز التحالُف القديم مع إحدى الدول المحوريّة في المنظومة الأمنيّة الأمريكية، ويُسهم بشكلٍ فعّالٍ في نشر وترويج "الإسلام الديمقراطي المدني".

الطريق إلى مكة

صـدر حـديثـاً | كتاب جديد

هذه بعض فصول سيرة رحالة يهودي أوروبي من أصل نمسوي. جاب العالم العربي والإسلامي في مطلع القرن العشرين بحثًا عن الذات، أو بحثًا عن الله. فقد وجد الله حين وجد ذاته. حين وجد ذاته الفطريّة الأصليّة، وليست تلك التي اكتسبها بالتنشئة.

إن هذا الكتاب ليس سردًا لوقائع رحلة حج إلى البيت الحرام، ولا حتى تأمُّلاً في رمزيّتها وروحانيتها وفلسفتها، بل هي بعض معالم رحلة البحث التي قطعها ليوبولد فايس ليصل إلى الله، أو ليِصل إلى محمد أسد؛ سيّان. إذ أن ليوبولد فايس قد صار محمد أسد حين عبّد نفسه لله مُختارًا، عن وعي وإدراك وإرادة.



إن الطريق إلى مكّة رمزٌ للرحلة الشاقة التي قطعها الكاتب من اليهودية إلى الإسلام، ومن ليوبولد فايس إلى محمد أسد، ومن أوروبا إلى مكة. إنها وقائع رحلة عودة قلبٍ إلى حقيقة فطرته، رحلة انسلخ فيها فايس رويدًا رويدًا من كل موروثه الحضاري والثقافي، ليُقبل على عالم جديد، ويكتشفه بلا مُعطياتٍ مُسبقةٍ تشوِّش عليه.

وبرغم أن أسد قد نشر كتابه هذا في مطلع خمسينات القرن العشرين، باللغة الإنكليزية؛ موجهًا بالأصل للقاريء الغربي، إلا أن الكتاب قد صار برغم ذلك أحد أهم كلاسيكيات القرن العشرين، فهو عملٌ لا تبلى جدّته، ولا تُمَلُّ قراءته.

إن أحوج الناس لقراءة هذا الكتاب اليوم هم الجمهور الذين لم يستهدفهم أسد: جماهير العرب والمسلمين. وفي طيات الكتاب يكمُن ما يكفي من الأسباب، التي يلزمك تلمُّسها بنفسك قارئنا العزيز.

الفكر السياسي الإسلامي المعاصر حميد عنايت

صـدر حـديثـاً

أفضل ما كتب في موضوعه
في القرن العشرين

تمثِّل الصحوة الإسلاميَّة، والثورة الإيرانية كأحد محطاتها الرئيسيَّة؛ حالة مُركَّبة ومعقدة غيَّرت مَعَالم المشهد السياسي في العالم الإسلامي بشكل جذري.

في هذا الكتاب؛ يتتبع حميد عنايت الأفكار الرئيسيَّة التي غذَّت المشهد الجديد وساهمت في تشكيله، فيوصِّف ويُفسِّر ويُحلل الإنتاج الفكري الذي طوره الإيرانيون والمصريون بشكل رئيسيٍّ؛ جنبًا إلى جنبٍ مع أفكار بعض مُنَظِّري الباكستان والهند ولبنان وسوريا والعراق.

كما يتناول الفروق السياسية الرئيسيَّة بين السنة والشيعة بالدرس، ويرصد مراحل تطور أفكارهما التي نقلت المدرستين، رُبَّما بغير وعي؛ من مرحلة المواجهة إلى التلاقي على الأرضيَّة النظريَّة.

ثم يختبر مفهوم الدولة الإسلامية في سياقاته، ورد فعل المسلمين على التحدي الذي مثلته الأيديولوجيات المستوردة مثل القومية والديمقراطية والاشتراكية، ويختم بتجريد الإطار النظري الذي تمخَّض عن تجديد الفكر السياسي الشيعي، وهو الجانب الذي يتم تجاهله في الأدبيات الغربية والعربية على حدٍّ سواء.

ولهذا الكتاب مزيتان رئيسيَّتان قَلَّ نظيرهما في غيره، ورُبَّما كانتا إحدى حسنات رؤية المؤلف العلمانيَّة. فهو لم يُبدد جهده في إثبات أن السلطة السياسيَّة جزء لا يتجزأ ومكوِّن أصيل من مكونات الإسلام؛ على غرار ما فعل أكثر الإسلاميين الذين كتبوا في هذا الموضوع. كما كان في طرحه أكثر نُضجًا من أن يؤصل لفصل الإسلام عن المجال السياسي؛ كما يفعل الكُتَّاب العلمانيون. بل تجاوز هذا وذاك؛ وتعامل مع لزوم السلطة السياسية للإسلام كمُسَلَّمة بدهيَّة لا تستحق عناء الإثبات أو النفي، وسعى لدراسة تجليَّاتها المختلفة.



أما المزية الثانية، فهي أنه تكاد لا تظهر خلفيَّة الكاتب المذهبيَّة في طرحه، والذي غلبت عليه اللغة الأكاديميَّة والاطراد المنهجي، بغض النظر عن النتائج التي قد يصل إليها هذا الإخلاص في البحث. ولذا أثمر جهد عنايت وجديَّته الملحوظة عملًا يعتبر أبرز الكلاسيكيات في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر بعد عُمدة الكتب في هذا الموضوع؛ كتاب محمد ضياء الدين الريس: "النظريات السياسية الإسلامية"، والذي نُشر في أربعينيَّات القرن العشرين.

هذا كتاب لا ينقصه وضوح الرؤية وإحكام الطرح ولا جديَّة القراءة للفكر السياسي الإسلامي المعاصر، وهو ما يجعل منه سِفْرًا لا غنى عنه لدارسي الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، وللمثقفين الجادِّين.